

نحو منه صَوِّجَ للحقائق الإسلامية

الإسلام والأديان المسيحية هذا أن لا يجتمعان

تأليف

إلى عبد الله الصادق بن عبد الله الهاشمي

الطبعة الثانية

دار المنبر



سلسلة كتب الشيخ (١)

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبع والتجليد

Step Ajans Matbaa Ltd. Şti
Göztepe Mah. Bosna Cad. No: 11 Bağcılar / İstanbul Tel: 0212 468 84 6
Sertifika No: ٤٥٥٢٢

عنوان دار المنبر

Yamanevler Mah. Küçüksu Cad. Bildircin Sok. No: 9 Dükkan: 1 Ümraniye / İstanbul

رقم الهاتف

00905397626695

bilgi@kureselkitap.com

www.kureselkitap.com

موقع الشيخ الإلكتروني: الحكمة والأثر

www.hekmaa.net

الطبعة الثانية

إسطنبول ١٤٤٤ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مدخل الكتاب﴾

أخي القارئ الكريم/ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أما بعد:

فإن بُعِدَ بعض العباد عن الوحيين: الكتاب والسنة؛ سبب خللاً في فهم بعض المفاهيم الإسلامية على الوجه الصحيح؛ مما سبب مزيداً من التخليط وفُشُو التَّخَبُّط في فهم حقائق هذا الدين العظيم؛ فأخذ بعض الناس في التقديرات العشوائية لبعض المفاهيم الإسلامية، فهذا يَفْهَمُهَا حسب عاداته وتقاليده، والآخر حسب هواه وشهواته، وثالث حسب عقله وتصوراته الخاصة.

ومن هنا ظهر هذا الخلط الرهيب في بعض المفاهيم الإسلامية، ومشاركةً منا في الدعوة إلى الله ﷻ، ونصحاً للأمة، وبياناً لحقيقة

هذه المفاهيم، وفقاً للكتاب والسنة بما يكون إعداراً عند الله ﷻ، ورحمةً للعباد، وإقامةً للحجة، وقطعاً للعدر، وبياناً لوجه الحق المشرق الوضاء، عزمنا على التكلم حول مفهوم خطير ومسوخ جديد في حروفه قديم في مضمونه، وقع فيه تلبس كبير ولبس عظيم، حتى سرى هذا الخبث في كثير من العامة، وقدر ليس بالقليل من الخاصة، وصار له منظرّون ومعدّرون ومروّجون، نسأل الله العافية والسلامة، وشعارهم في ذلك إنقاذ المسلمين، وكفالة الحريات، وحقوق الإنسان وكرامته، إلى غير ذلك من زخرف القول الذي يوحى به شياطين الجن لشياطين الإنس، وهي كلها من لحن القول عياداً بالله، وما كان ملبساً بالحق مُشَبَّهاً به من ذلك فلا يخرج عن قول علي رضي الله عنه: «كلمة حق أريد بها باطل». رواه مسلم في صحيحه.

والله وحده أسأل أن يبلغنا مرادنا، وأن يوفقنا إلى نيل رضاه عنا، وأن يجعل كلامنا نافعا لكل من قرأه، حاوياً على الحق والصواب، والسداد والرشاد، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وقبل الخوض في غمار هذا الفتنة العمياء البكما الصماء لابد من مقدمة نتكلم فيه عن معنى الحرية في الإسلام وحقيقتها، لأن الاغترار بهذا المعنى كثير، وهو يدغدغ مشاعر كثير من الناس، ولهذا استعمله المبطلون سبيلا وطريقا للترويج لوحي الشيطان، مُكَمِّعين

إياه بزخرف القول وسحره المأفون، تعذيرا وتميرا، وتمييعا وتبريرا، نسأل الله تعالى العفو العافية.

● فأقول وبالله التوفيق:

إن الحرية مطلبٌ يتطلع إليه كل العباد، وتستشرفه النفوس، وتشرب إليه الأعناق، ولهذا نسمع الجميع هنا أو هناك ينادون به، ويطالبون بتحقيقه، ولكن المتأمل لأقوال الناس حول هذه الحرية؛ يجد أن هناك تبايناً شاسعاً في فهمها، وفهم أبعادها، وحقائقها.

فمنهم من يطالب بحرية الأديان عياداً بالله من ذلك؛ ليعود الناس إلى صورة الإشرار الصراح، المبني على تعدد الآلهة، كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١].

ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

● ومنهم من يطالب بحرية التفكير، وحرية التصرفات

والتوجهات، وآخرون منهم يطالبون برفع ما يسمونه القيود الدينية، والمساواة بين العباد كلهم، حسب ما يسمونه بالمواطنة، أو على أنهم كلهم أبناء آدم؛ ليصبح العباد عباداً لأهوائهم، كما قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۖ﴾ (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

إلى غير ذلك من مفاهيم بعض العباد، والخلط الرهيب الحادث في هذه الكلمة، وإننا بإذن الله تعالى بصدد بيان المعنى الجلي للحرية الحقيقية، وبيان أبعادها وفقاً للكتاب والسنة؛ لأن الدين الإسلامي هو دين الحرية الحَقَّة، وهو الدين الذي جاء؛ ليحرر الإنسان حقيقة من كل القيود، والتبعية للعباد أمثاله؛ ليكونوا جميعاً عباداً لله الواحد القهار، قولاً، وعملاً، واعتقاداً.

فالحر حقاً هو الذي لا يقبل من عبد مثله: أن يشرع له، ولا أن يخطط له منهج حياته، ولا يرضى بحال أن يُعَيَّر عقله للآخرين؛ ليفكروا له، ويخططوا له.

الحر حقاً هو الذي لا يرتضي أن يكون تبعاً للعباد أمثاله، ينقو بما ينقون به، ويجاريهم فيما يتجارون فيه.

هذا هو المفهوم الحقيقي للحرية، وهذا هو الإنسان الحر حقاً،

ولهذا قال ربعي بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكسرى أنوشروان لما سأله لماذا جئتم؟ قال له ربعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة».

وعليه؛ فإن العبد إنما ينال أسمى مراتب الحرية، وأعلى درجاتها، يوم أن يتحرر من رقه للعباد أمثاله؛ ليكون عبداً حقيقياً لرب العباد، يأتّم بأمره لا بأمر العباد أمثاله، يتصرف، ويفكر، ويحيا كما يحب الله ويرضى.

وبهذا تتحقق عزة المسلم الحقّة، فمن أراد العزة والكرامة، والحرية الحقّة؛ فليطلبها عند الله عَزَّ وَجَلَّ بالمسارعة والمسابقة في مرضيه تبارك وتعالى، ولهذا قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئِنَّهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩].

وقال جل وعلا: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

ومن هنا نعلم يقيناً أن فهم كثير من الناس للحرية، هو مفهوم خاطئ، فالإنسان خلقه الله عبداً، ولا بد له أن يعبد، فهو لم يخلق نفسه، ولا يصلح له أن يعيش حيواناً بهيمياً، فمن أراد الحرية، فهي في المنهج الشرعي ولا شيء غير ذلك.

وعليه؛ فلا يصح لطالب الحرية أن يقول إذا أُمرَ بطاعة الله ورسوله: أنا حر أو هذه حرية شخصية أو أنا عبد مأمور؛ لأن الحرية الحقيقية كما تقدم هي في اتباع الكتاب والسنة، والتحرر من رق الهوى، والشهوات، والعبودية للعباد، ولن تبلغ أيها الإنسان أن تكون حرّاً، حتى تتحرر من كل ما سوى الله ﷻ؛ لتكون عابداً له تبارك وتعالى وحده لا شريك له، هذا هو المفهوم الصحيح للحرية وما عدا ذلك فخطأ محض، وضلال مبين، وانتكاس في الفطرة.

وما أحسن ما قال الشاعر:

ومما زادني شرفاً وتيهاً وكدت بأخمصني أطأ الثرىا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبياً

وإن من أخطر الدعوات التي ينادي إليها دعاة الحرية الجاهلية اليوم المناداة بالديمقراطية، والتي حقيقتها أن يكون الحكم للشعب، لا لله ورسوله على فهم السلف الصالح فعند هؤلاء ما أقره الشعب إما بالإجماع أو الغالبية فهو المحكم، فعند هؤلاء الضالين المنحرفين إرادة الشعوب فوق كل شيء، حتى لو طالب الشعب بحكم الطاغوت، فليكن كذلك فهذه حرية الشعوب التي ينادون بها اليوم، وما هي إلا وجه آخر للحكم بالطاغوت وتميرير للأهواء الضالة المضلة، والسعي الحثيث في إرضاء الشيطان وأعوانه من الجن والإنس.

وإنه وللأسف الشديد كم من المسلمين افتتن اليوم بهذا الشعار البراق الملمع! والذي كرس له جهود، وفرغت له أوقات، وأهدرت في سبيله الأموال الطائلة من المفسدين في الأرض، وكم نفخ الإعلام المشوه الخرب في هذا البوق منادياً بتحرير الشعوب! وإنما المقصود الأعظم التحرر من سلطان الله في أرض الله وعباد الله؛ حتى يعود حكم الطاغوت مسيطراً على العباد، ولكن هيهات هيهات، فقد قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقُؤُنَهَا اللَّهُ تَكْوِينًا عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنفال: ٣٦، ٣٧].

فكل من سعى في ركاب دعاة الديمقراطية بمعناها هذا، فإنه لا يعدو أن يكون جاريًا في ركاب المفسدين في الأرض الذين قال الله تعالى فيهم:

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يُحْسِبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ قُلْ لَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون: ١-٤].

ولهذا قال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُتَفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨﴾
الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئْسَ الْفِتْنَةُ عَنْهُمْ
الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ
أَیْتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ
غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا
۝١٤٠﴾ الَّذِينَ يَرَبُّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْنَةٌ مِنَ اللَّهِ فَالَوْ أَلَمْ نَكُنْ
مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ فَأَلَوْ أَلَمْ نَسْحُودْ عَلَيْكُمْ وَتَمْنَعُكُمْ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۝١٤١﴾ إِنَّ الْمُتَفِقِينَ يَخِذُّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا
إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢﴾
مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ
لَهُ سَبِيلًا ۝١٤٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ۝١٤٤﴾ إِنَّ
الْمُتَفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝١٤٥﴾ إِلَّا
الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ
مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٤٦﴾ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٤٦﴾ مَا
يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا
عَلِيمًا ۝١٤٧﴾ [النساء: ١٣٨ - ١٤٧].

ولن يبلغ العبد أن يقوم بحق لا إله إلا الله؛ إلا إذا حقق أنواع

التوحيد الثلاثة، توحيد الرب تعالى بأفعاله، وتوحيده وإفراده بأفعال العباد وعباداتهم، وإفراده تعالى بأسمائه وصفاته، وإثباتها على وفق ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة على فهم الصحابة - رضي الله عنهم وأرضاهم - وسلف هذه الأمة الأطهار الأخيار.

وإن مما يجب التنبيه عليه والتنبيه له: أن بعض العباد يظن أنه إذا اجتنب شرك القبور وتعظيم القبور أنه بذلك قد حقق التوحيد، وقام بحق رب العبيد تبارك وتعالى، ولو كان موالياً لأعداء الله، مطبقاً لغير شرع الله، ولو كان حاصراً للعبادة في دور معينة، فيعزل لا إله إلا الله عن باقي مناحي الحياة، فلا دخل لها في السياسات، ولا في الاقتصاد، ولا في علاقات الدول، إلى غير ذلك من صور الإشراك الصُّراح، والكفر البواح، وهي المعروفة اليوم «بالعلمانية»، التي معناها باختصار: تعدد الآلهة، فإنه للاقتصاد، وآخر للسياسات، وآخر للتقاليد والعادات، مع إله حق يُصَلَّى له ويُصَام، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

فهيهات هيهات؛ فإن هؤلاء هم من أجهل العباد بمعنى لا إله إلا الله التي جاءت لتبسط هيمنتها على جميع حياة العباد فهي منهج متكامل للحياة ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٧﴾ [المنافقون: ٧].

ولهذا؛ فإن هؤلاء يصرحون بحصر عبادة الله في المساجد، وعبر طقوس معينة، وأما باقي الوقت فتعبد فيه الهوى، فهم ينادون

اليوم بعبادة الهوى، وليس هذا بأمر غريب، ولا جديد منهم، فإنه ما من نبي ولا رسول بعثه الله تعالى، إلا وقابله قومه بالعلمانية، التي هي المناداة إلى تعدد الآلهة؛ ولهذا قال تعالى عن العلمانية الأوائل، الذين هم المشركون بالأمس، والمنافقون اليوم: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ وَقَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَلَنُطَلِّقَ الْمَلَأَ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ إِلَهِتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْلَاقٌ ﴿٧﴾ [ص: ٤-٧].

بل وذكر الله تعالى قول العلمانية المعاصرين على لسان أسلافهم من المشركين في كتابه العزيز وذلك في قصة شعيب، حيث قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَفْقَهُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْفُسُوا أَلْمِيَّاتِ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرِيدُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ ﴿٨٤﴾ وَيَقَوْمِ أَوفُوا أَلْمِيَّاتِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلَوْتَنَا تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ [هود: ٨٤-٨٧].

فانظر إلى قوم شعيب، كيف اعترضوا على شعيب عليه السلام، لما أمرهم بتحقيق العبودية التامة العامة لله الواحد القاهر، في شتى وجميع مناحي الحياة، كيف أنهم أبوا ذلك ورفضوه، وقالوا: ما دخل الدين في الأموال؟ والمعاملات والعلاقات؟.

وهكذا المشركون المعاصرون، والمنافقون المتسربلون باسم الدين، ينادون اليوم إلى ما نادى به أسلافهم من المشركين؛ ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

ولهذا قال النبي ﷺ محذراً من الفتنة بأمثال هؤلاء، كما في «الصحيحين» من طريق أبي إدريس الخولاني، أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟. قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ، قَالَ: «نَعَمْ وَفِيهِ دَخْنٌ»، قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟. قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟. قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَكَلِّمُونَ بِاللِّسَانِ»، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي أَنْ أُدْرِكَنِي ذَلِكَ؟. قَالَ: «تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ

يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟. قَالَ: «فَاعْتَرَلْ تِلْكَ الْفَرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعْصَ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ».

فالحذر الحذر عباد الله!، فإن الأمر جد خطير، والفتنة بهؤلاء تذهب الدين وما أكثر الهالكين في آخر الزمان من المفتونين بدعاة على أبواب جهنم!، من أجابهم إليها؛ قذفوه فيها، نسأل الله العافية والسلامة آمين.

كما أن هناك مَنْ اغتر بما يعرف اليوم بالحرية الشخصية فكل واحد حر في تصرفاته وتعاملاته وهذا فرع عما تقدم تقريره، فكم هدمت من الشرائع وانتشرت من الرذائل والمنكرات تحت دعوى وغطاء الحرية الشخصية والحرية الفكرية مما يعرف اليوم بـ«حرية التعبير».

ويكفي للرد على هؤلاء بيان قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا كَثِيرًا أَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ [يس: ٦٠-٦٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].

ونحو ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودخول الناس في السلم كافة لتحقيق العبودية العامة التامة لله رب العالمين، والله أعلم.

• الرَّحْمَةُ الْمَهْدَاةُ:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال ﷺ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١٨] إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٦] هَذَا بَصِيرَةٌ لِّلنَّاسِ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١٨ - ٢٠].

وفي «صحيح مسلم» عَنْ عِيَّاضِ الْمُجَاشِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُم مَّا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلُّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ عَرَبِيَّتُهُمْ وَعَجَمَتُهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لَأَبْتَلِيَّكَ وَأَبْتَلِيَّ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرُؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَان...». الحديث.

فالآيات والأحاديث جاءت مُدْكِرَةً بهذه النعمة العظمى، وهي

بعثة سيد الناس عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وجاءت مبينة ما كان عليه العالم قبل بعثة النبي المصطفى، والحييب المجتبى، والرحمة المهداة، محمد بن عبد الله ﷺ، ليعلم الناس كيف كانوا، وإلى ماذا صاروا؛ لِيَقْدُرُوا هذه النعمة حق قدرها، ويشكروا نعمة الله عليهم بها بحقيقة الشكر، وهو الذي يكون بالأقوال والأعمال، ظاهرًا وباطنًا، كما قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: ١٣].

فإذا علمنا قدر هذه النعمة وجب علينا وتعين الاستمسك بها، والحرص عليها، والدخول في السلم كافة فيها، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [٢٨] فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٩﴾ [البقرة: ٢٠٨، ٢٠٩]، بل وعليهم أن يَدْعُوا إليها، وأن يرفعوا رأسًا بها، وأن يفخروا ويفاخروا بها، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٦١] قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَىٰ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا زُرُورًا وَزُرَّ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ [الأنعام: ١٦١ - ١٦٤].

بل وفرض عليهم أن ينابدوا الطاغوت، وألا يقبلوا منه صرفاً ولا عدلاً، وأن يقدموا التضحيات في سبيل المحافظة على هذا الدين العظيم الذي هو أعظم نعم الله تعالى على عباده، وألا يقدموا أدنى التنازلات، قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقُلُوبُهُ مَظْمِنَةٌ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ [النحل: ١٠٦ - ١٠٩].

حقاً إنها الرحمة المهداة، لقد كان العالم في حالة بئيسة مظلمة، يعيش جميع أنواع الانحلال الأخلاقي، وتمارس فيه الفواحش والمنكرات، ويعيش شريعة الجاهلية وشريعة الغاب، حتى بلغ بهم الحال أن سخط الله عليهم، بل ومقتهم أجمعين، إلا من كان مستمسكاً بأصل دين الرسل، وهم الذين كانوا يعرفون بالحنفاء، وهم الموصوفون المُسْتَشْنُونَ في خبر عياض السابق ﷺ.

● وَعْدٌ وَوَعِيدٌ وَتَرْغِيبٌ وَتَهْدِيدٌ:

إن الحقيقة المقررة في الكتاب والسنة أنه: بالشكر تقر النعم،

وَيَكْفُرُهَا تَفَرًّا، وَعَلَىٰ هَذَا جَرَىٰ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَجَاءَ التَّرْغِيبُ وَالتَّهْدِيدُ، وَإِلَيْكَ مَا يَفِيدُكَ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ وَيَقْرُرُهَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَىٰ، وَسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَثَارِ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَكُفُّمُ الْبَيِّنَاتِ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٢٨ - ٣٠].

وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٢، ٤٣، ٤٤].

وقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأنعام: ١٢٣، ١٢٤].

وقال: ﴿كَتَبَ أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لَتُنذِرَ بِهِ
وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن
دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا
بَيْتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٣﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا
كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٥﴾
فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٦﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن
ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٧﴾ وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ
الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٨﴾ وَلَقَدْ مَكَتَكُم فِي
الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُم فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٢-١٠].

وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ
وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿١١﴾ ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى
عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّن
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٣﴾ أَفَأَمِنَ
أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٤﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن
يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿١٥﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ
مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٦﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُوبُوا أَلَّا يَأْمَنُوا
مِن بَعْدِ أَهْلِهِمَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٧﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ

وقال: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيبَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُمْتَمِنَةً
يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ
لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ

رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا
مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴿النحل: ١١٢ - ١١٤﴾.

وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ
﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ
كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ
بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ
وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾ [النور: ٥٤ - ٥٧].

وقال: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً قَرَيْهِ أَمْرًا مُّتَرَفِّهَا فَفَسَفُوا فِيهَا فَحَقَّ
عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ
وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبٍ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ [الإسراء: ١٦، ١٧].

وقال: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾
لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ
أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ

وَالْأَرْضُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِئَا بِشَايَةِ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴿٥﴾ مَا ءَامَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِينَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴿[الأنبياء: ١-٦].

وقال: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ﴿٤١﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرِينَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبُرُّ مُعْطَلَةٌ وَقَصِرَ مَشِيدُ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرِينَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَتَّبِعُنَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ ﴿[الحج: ٤١-٥١].

وقال: ﴿وَقَالُوا إِنْ تَنْبِئْ أَهْدَىٰ مَعَكَ تَنْخَطِفَ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمَ

نُمْكِنَ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ زَرْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنِلَّاكَ مَسَكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رُّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ [القصص: ٥٧ - ٥٩]، والآيات في هذا المعنى متكررة.

ومن السنة ما في «الصحيحين» عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٠٢﴾.

وفي «صحيح البخاري» من طريق عمرو عَنْ عَطَاءٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾، قَالَ: «هُمْ وَاللَّهُ كُفَّارُ قُرَيْشٍ». قَالَ عمرو: هُمْ قُرَيْشٌ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نِعْمَةُ اللَّهِ، ﴿وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ ﴿٢٨﴾، قَالَ: النَّارُ يَوْمَ بَدْرٍ.

وفي «سنن سعيد بن منصور» من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ مَدَائِنُ قُبُرُسَ، وَقَعَ النَّاسُ يَقْتَسِمُونَ السَّيِّئَ، وَيُفَرِّقُونَ بَيْنَهُمْ وَيَبْكِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَتَنَحَّى أَبُو الدَّرْدَاءِ، ثُمَّ احْتَبَى بِحِمَائِلِ سَيْفِهِ، فَجَعَلَ يَبْكِي، فَأَتَاهُ جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ، فَقَالَ: مَا

يُبَيِّكَ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ؟ أَتَبْكِي فِي يَوْمٍ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ؟
وَأَذَلَّ فِيهِ الْكُفْرَ وَأَهْلَهُ، فَضَرَبَ عَلَى مَنْكِبِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «تَكَلَّتْكَ أُمُّكَ يَا
جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ، مَا أَهْوَنَ الْخَلْقَ عَلَى اللَّهِ إِذَا تَرَكَوْا أَمْرَهُ، بَيْنَا هِيَ أُمُّ قَاهِرَةٍ
ظَاهِرَةٍ عَلَى النَّاسِ، لَهُمُ الْمُلْكُ حَتَّى تَرَكَوْا أَمْرَ اللَّهِ، فَصَارُوا إِلَى مَا
تَرَى، وَإِنَّهُ إِذَا سُلِّطَ السَّبَاءُ عَلَى قَوْمٍ فَقَدْ خَرَجُوا مِنْ عَيْنِ اللَّهِ، لَيْسَ لِلَّهِ
بِهِمْ حَاجَةٌ».

● فاحذر الحذر من التلاعب بحق الله تعالى، فإن أخذه أليم شديد.

والحذر الحذر من التسويف، وأماني إبليس، فإن سنة الله تعالى لا
تحابي أحداً..

● الله الغني والعباد الفقراء:

وعلينا أن نعلم ونتذكر كمال غنى الله تعالى عن خلقه كلهم،
وأنهم إنما ينفعون أنفسهم فيعتقونها أو يوبقونها، وتأمل في هذا
الحديث القدسي الذي في «صحيح الإمام مسلم»: «قال الله تعالى: يَا
عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرْيَ فَتَضُرُّوَنِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي!
يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ
رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا! يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ
وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ
ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا...» الحديث.

● ولنتفكر في هذه الآيات:

قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤١﴾ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ، مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ ﴿٤٢﴾ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلْأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الروم: ٤٢ - ٤٥].

وقوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [يونس: ٢٣].

وقوله: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنَى عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [الزمر: ٧].

وقوله: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم: ٧ - ٨].

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ تَكْفُرًا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾﴾ [النساء: ١٣١].

وتأمل هذا التهديد والتحذير الذي طياته الترغيب في الإيمان:
﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ
وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾
[النساء: ١٧٠].

وفي «صحيح مسلم» عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ
اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ،
وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ
عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا».

● الديمقراطية ورطة العالم اليوم «الثورات الشعبية»:

فصل في بيان ورطة المسلمين مع الديمقراطية الكافرة الجائرة:
أما أولئك الذين ينادون بخلع الحاكم لدكتاتوريته؛ لِيُنْصَبُوا حَاكِمًا
ديمقراطيًا، يروق لهم وباختيارهم، فهؤلاء إنما مثلهم كحال
المستجير من الرمضاء بالنار.

بل إن الأمر في حقهم مع هذه الدعوة الخبيثة صار أشد وأخطر،
إذ إنهم كانوا بالأمس يرزحون تحت نِيرِ الطاغوت المتسلط المتجبر:
﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ
عَنَّهُمْ ؕ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٨، ٩٩]، وكانت لهم مندوحة

ومخرج - إن كانوا مكرهين- في قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل: ١٠٦)، أما مع هذه الدعوة إلى الديمقراطية فإنهم يأتون الكفر اختيارًا ويُقبلون عمداً إليه إقبالاً.

أما علموا أنه لا فرق بين الدكتاتورية والديمقراطية من جهة كون أن الجميع كفر بالله العظيم، إذ إن المُشْرِع في حالة الدكتاتورية هو طاغوت متسلط - حزباً أو فرداً - بدستور جاهلي كلاً أو بعضاً، وأنَّ كفرًا ببعض الكتاب ككفر بالكتاب كله.

والديمقراطية هي أن يختار الشعب - أحزاباً أو تجمعات - تشريعاً من عند نفسه ليحكم به الشعب، وفي كلٍّ من الحالتين فالحاكم ليس هو الله رب العالمين، وهذا هو الشرك الصُّراح والكفر البواح، عياداً بالله من الخذلان.

● وما الدكتاتورية والديمقراطية أو العلمانية أو الوطنية أو الدولة المدنية، ونحوها

إلا أسماء وأوجه، من صنع البشر، يضاھنون بها قول الذين كفروا من قبل، كما قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣١).

وقد قص الله تبارك وتعالى علينا قصة أزمة أهل مصر في زمان يوسف عليه السلام، وأنَّ ورطتهم العظمى كانت في التشريعات الجاهلية، وتأليه البشر - فردًا كان أو جماعة - فقال تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَحِي السَّحَنَ عَازِبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَاسِقُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٣٧ - ٤٠].

● الظلم الذي سيملاً الأرض:

وتلك هي ورطة العالم في آخر الزمان، حينما يخيم الطاغوت بتشريعاته الجاهلية على الأرض، فلا تبقى دولة في الأرض تقوم بشرع الله تعالى وتحمل لواءه ليكون الحكم كله، والدين كله لله رب العالمين.

وذلك هو الظلم الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم أنه يملأ الأرض في آخر الزمان، ونحن فيه الآن؛ إذ إن من المقطوع به أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقصد أنه لا يوجد عدل في الأرض ألبتة، وإنما أراد امتلاء الأرض بهذا الشرك الأكبر

والظلم العظيم: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

كما في «سنن الترمذي» وأبي داود وغيرهما واللفظ لأبي داود من طريق عاصم عن زر عن عبد الله: عن النبي ﷺ قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطَوَّلَ الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً مني» (أو) من أهل بيتي يُوَاطِئُ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئَتْ ظُلماً وجوراً». قال الترمذي عقبه: هذا حديث حسن صحيح.

ولنعلم أنه ما عُبِدَ الشيطان في هذا الزمان بشيء، هو أشد وأفظع وأضرخ من هذا التواطؤ العالمي على صرف حق التشريع من الإله الحق العظيم الحكيم العليم الخبير إلى المخلوقين، والله تعالى يقول في محكم التنزيل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ① ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ② ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ ③ [الناس: ١-٣].

فالإله الذي يُسْتَعَاذُ به هو الرب الحق المبين الذي يحيي ويميت ويرزق ويخلق، وهو نفسه ﷻ الذي يملك الناس وإليه حُكْمُهُمْ، كما أنه إليه خلقهم ومصيرهم وعنده رزقهم، هذا هو الإله الذي لا إله سواه، ولا معبود بحق إلا إياه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٤٢].

● لا خيار، فإما الكفر أو الإسلام:

فعلينا جميعاً أن نعلم علم اليقين أنه لا خيار للمؤمنين سوى أن يخلعوا الكافر والمشرِك - شخصاً كان أو نظاماً ودستوراً - إن كان ثمة شوكة؛ ليقموا حكم الله تبارك وتعالى وشرعه، وينشروا توحيد الله تعالى في أرضه وبين خلقه، كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وإن لم نفعل ونحن قادرون فقد هددنا الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٤٦) وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ هُمْ الْخَافُ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعَيْنَ (٤٩) أَفَى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ آتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠)﴾ [النور: ٤٦-٥٠].

ثم بين الله تبارك وتعالى بعد ذلك الخيار المطروح للمؤمنين،

وَبَيْنَ مِنْ هُمَ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ٥٢﴾ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ أُمِرْتُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٥٦﴾ [النور: ٥١-٥٦].

● رُبُوبِيَّةُ الشَّعْبِ:

وعلينا أن نعلم جميعاً، أن مجرد الدخول في العملية الانتخابية، وقبول الديمقراطية هو تسويغ لأن يكون الاختيار للعباد فيما يحكمون به، وهذا في حد ذاته كفر أكبر ناقل عن ملة الإسلام، وهو من تأليه الشعوب بعضهم بعضاً، فلتنبه لهذا المقام الخطير.

فإن العملية الديمقراطية إنما تقوم على تأليه الشعب للشعب،

فالخلق فيها لله، ولكن الأمر والحكم والاختيار للشعب، حيث تُطِيعُ الأقليةُ الأغلبية، وتُسَلِّمُ لها أَرْمَةُ الأُمُور، والكل محكوم بالدستور الجاهلي العام، الذي هو طاغوت من وضع البشر.

● وتَلَمَسْ هذه المعاني في هذه الآيات:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِلْبَشَرِ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا اللَّاتِئِكَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَجْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران: ٧٩ - ٨٣].

وقال ﷺ: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْكَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

● نداء إلى علماء المسلمين الصادقين الربانيين:

فيا علماء المسلمين ودعاتهم، بَصُرُوا شعوب المسلمين بخطورة ما يتعاطونه ويطالبون به من الأسماء والمسميات الجاهلية، التي ما أنزل الله بها من سلطان، وأْمُرُوهُمْ وَوَجِّهُوهُمْ إلى المطالبة بشرع الله تعالى لا ييغون عنه حَوْلًا، ولا يقبلون بسواه بديلاً، مهما كانت التكاليف والتبِعَات، فإن هذا من أوجب الواجب عليكم اليوم، فإن كثيراً منهم غافلون عن هذه الحقائق الحساسة الخطيرة، بدليل ما سمعناه من مطالبة صريحة بعدم تطبيق الأصولية الإسلامية!! ويا عجباً لهؤلاء!! أما علموا أن الأصولية تعني الرجوع إلى الأصول، وهل للمسلمين أصول غير الكتاب والسنة على فهم الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟!

وعلى أمة الإسلام أن تحذر من الانجراف وراء الأهواء والآراء الشخصية، التي ربما يتبناها إسلاميون، وربما كانوا متتبعين إلى السلف، يحاولون إقناع الأمة بأنه لا طريق إلى تغيير هذا الواقع المر، إلا بالتداول السلمي للسلطة، حتى يصل الأمر إلى الإسلاميين.

فتراهم يُدَسَّسُونَ مشروع الانتخابات، وَيُقْلَقُونَ الأمة إليها إقلاقاً، وَيَغْرُونَهُمْ وَيَغْرُونَهُم بالدخول في العملية الديمقراطية والانتخابات الشعبية، عبر مؤسسات التشريعات الجاهلية، والقوانين الوضعية، التي ترعاها البرلمانات الكفرية، وكل هذا من الدخول في الكفر الصراح والشرك البواح.

● الجامعات والتشريعات الجاهلية:

﴿فصل﴾

واعلم أُرشدك الله، أن من الصور الصارخة، التي يمارس فيها، تطبيق طاغوت التشريعات الجاهلية، ما يسمى اليوم بالجامعات، فإن من المعلوم لدى الصغير والكبير أن لهذه الجامعات دساتيرها الخاصة بها، والتي يضعها مجموعة من البشر، بمشارب وأهواء مختلفة، وتكون هذه الدساتير ملزمة لكل من انضم وانخرط تحت لواء هذه الجامعة أو تلك، فالكل خاضع للدستور، والدستور هو المهيمن على الجميع، وليس لأحد أن يقحم من عنده شيئاً فيه، إذ له الحصانة والصيانة العامة التامة، وكل من أتى ليلتحق بهذه الجامعات، معلماً كان أو متعلماً، ليس له خيار في هذا الدستور، بل عليه الانقياد والإذعان التام له، والويل لمن تسول له نفسه مخالفة الدستور أو الخروج عليه، شأنه في ذلك شأن الدساتير الأخرى التي يخضع لها

الناس ويذلون وينقادون، ثم الكل محكوم مربوب بالدستور العام الذي يحكم البلاد.

نعم، هكذا هو طاغوت الدستور، له من الجلالة والمهابة، ما ليس لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، بل ليس لشرع الله تبارك وتعالى أي سيطرة أو تحكم أو حكم على هذه الدساتير الجامعية، بل هي تحكم الشرع وتقتنه، وتقبل منه وترفض، وتختار منه وتعزل، فالحكم لها، لا لله رب العالمين.

ومن الإجرام والمكر الكبار، تلك التسمية الطاغوتية التي أطلقوها على هذه الجامعات، ألا وهي «الحرم الجامعي»، وهذه التسمية إن أريد بها أنها حرم بمعنى الحرم الشرعي كالذي لمكة والمدينة؛ فهذا كفر صراح بواح، لأنه من التشريع الجاهلي، وهذا ليس ببعيد عليهم أن يقصدوا ذلك، فالتشريع من دون الله تعالى هو شعار تلك المستنقعات.

وإن أريد بها أنه لا أحد يملك أن يحكمها بالشرع، بل الحلال الجائز ما أحله الدستور، والحرام الممنوع ما حرمه الدستور، فهذا هو التشريع الجاهلي الكفري الذي اتفق الصحابة والأئمة على أنه شرك أكبر مخرج من الملة، عيادًا بالله من الخذلان، وهو من الكفر البواح الصراح.

وليس سرًّا أنه مهما بلغ العبد من الصلاح والتقوى والورع، إذا التحق بهذه الجامعات دارسًا أو مدرسًا، لا خيار له إلا أن يذلل وينقاد لهذا الدستور العلماني الجاهلي، مهما رأى من المنكرات والكفريات والضلالات، وإن غاية ما يملكه أن يلتمس وبكل لطف من صاحب المنكر أن يترك منكروه، وصاحب المنكر له مطلق الحرية والخيار في أن يقبل هذا التوسل والالتماس أو يرفضه.

وليس لهذا المُنكر عليه أدنى أدنى سلطة، لأن الكل محكوم بالدستور الجامعي الجاهلي، القائم أصالة على كفالة الحريات، للجميع، بكل ما تحمله كلمة الحرية من معنى، بل المقصود الأول والأعظم من كفالة الحريات، نزع كل هيمنة أو هيبة للدين الإسلامي على العباد، وأنه ليس هناك شيء من الشرع ملزم لأحد في هذا الـ«الحرم الجامعي»، وكما تقدم فالشرع محكوم لا حاكم، فتأمل!!.

حتى إنه يملك كل صاحب فكر أن ينشر فكره، وأن يدعو إليه، فالشيوعي، والعلماني، والنصراني، والشيطان الرجيم، الكل له الحق المكفول تمامًا في الدعوة إلى كفره وضلاله، والترويج لتوابع ذلك من الخبائث، ولا يملك أحد أن يمنعه من هذه الزندقة، إلا أن يبادلها المناظرات.

● مثال صارخ:

ومن الأمثلة الصارخة في هذا الصدد: ما يعرف باتحاد الطلاب أو ما شابه ذلك، وهي دائرة تُعْنَى بحظٍّ من شئون الطلاب في هذه الجامعات، كالدخليات والطعام والشراب والأنشطة الطلابية المتنوعة، حيث تُدار الانتخابات لتنصيب من يتولها لمدة معلومة من قَبْلِ أحد الأحزاب هناك، وهنا تأتينا الحقيقة الصادمة، وهي أنه لا فرق في بين الأحزاب التي تسمى نفسها إسلامية، وتلك التي تسمى نفسها شيوعية أو ديمقراطية، أو غير ذلك؛ لأن الكل محكوم بدستور الجامعة الجاهلي القائم على كفالة الحريات، وتساوي الحقوق باعتبار المواطنة، والانتساب للحرم الجامعي، وعليه فلا يعدو ذلك الحزب المتولي لهذا الاتحاد أن يكون حزبًا يقدم الأمور الخدمية فحسب، أما الأمور الفكرية فمن حق كل حزب، أن يدعو إلى منهجه وأساسه جهارًا نهارًا، حتى وإن انتسب إلى الشيطان صراحة، وليس من حق مَنْ وَقَعَ عليه الاختيار لتولي أعمال هذا الاتحاد أن يعترض على أي برنامج مقدم من قبل هذه الأحزاب، طالما أنها في إطار القانون الجامعي.

وليس سرًّا أن تعلم أن الحزب الإسلامي إذا ما تولى هذا الاتحاد، ثم قدم له الشيوعيون الكفرة، أو غيرهم من المفسدين في

الأرض، طلبا لإقامة حَفْلَةٍ، أو ندوة، أو أي برنامج فكري كفري خبيث، فليس من حق هذا الحزب الإسلامي أن يعترض، أو يُوقِفَ هذا النشاط الفكري الكفري، طالما أنه في إطار الدستور الجامعي، فتجد هذا الحزب الإسلامي يُوقِّعُ على هذا الطَّلَب المقدم، بل وهو في بعض الأحيان مسئول عن تقديم الأمور الخدمية كذلك، نعوذ بالله من الخذلان والضلال.

هذا مثال مُصَغَّرٌ لواقع الديمقراطية حيث يمارسها الإسلاميون، وهو كذلك في الإطار العام؛ إذ الكل يدور في فلك الدستور العام المحكوم بالديمقراطية الكافرة المأفونة.

● إنها بحَقِّ جامعات الشَّرِّ، لقد جَمَعَت الشَّرَّ من أَطرافِه...

● خلل في التصور وقصور في الفتوى:

ولنعلم جميعاً أن حصر قضية تحريم الجامعات في مسألة الاختلاط، وجوداً وعدماً، هو من اختزال القضايا، والتلاعب بعقول البسطاء والسذج، فإن الاختلاط وإن كان منكراً عظيماً، إلا أنه لا يقارن أبداً بالذاتير الجاهلية، التي تخيم على الجامعات كلها، المختلطة منها وغير المختلطة.

فمن العبث ما نسمعه من الفتاوى هنا أو هناك، أنه إذا كانت

الجامعة مختلطة فالالتحاق بها حرام، وإلا كانت جائزة، في تعام واضح عن الشرك الصراح الذي يدار في تلك المستنقعات الآسنة، وتغافل عن قضية اجتناب الطاغوت واعتزاله، بل والسعي في إزالته.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يزدرون مثل هذه المقامات التي يُغفل فيها الأمر الأعظم الجَلَل، ويُسْأَغَل فيها بالأمر الأدنى، كما في «صحيح البخاري» من طريق ابن أبي نُعمٍ، قَالَ: كُنْتُ شَاهِدًا لابْنِ عُمَرَ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ دَمِ الْبُعُوضِ، فَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟. فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ. قَالَ: انْظُرُوا إِلَيَّ هَذَا يَسْأَلُنِي عَنْ دَمِ الْبُعُوضِ وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا».

● سؤال مهم وملح:

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه، كيف التحق هؤلاء الصالحون، من دعاة وعلماء وطلبة علم بهذا الخبث، مع هذا الزخم العظيم، والركام الهائل، من الزندقة في هذه الدساتير الجاهلية؟!!

ومن العجائب، والعجائب جمّة في زمن التخبط والضياع، أن تسمع الفتاوى القوية، في تحريم الالتحاق بالأمم المتحدة، ولو في وظيفة إغاثية، وإن كان المتقدم لهذه الوظيفة ممن عنده حصانة علمية، وقدر مُقدّر معتبر من الفقه والحكمة، بل ويهددون بأن هذا الالتحاق قد يصل بالعبء إلى حد الكفر بالله تعالى، وهذه فتوى صائبة موفقة.

ولكن وفي نفس الوقت تجد نفس هذا المفتي أو ذاك، إذا سئل عن الالتحاق بالجامعات ذات الدساتير الجاهلية، بادر وبلا أدنى تردد أنه لا حرج في ذلك، بل هو بنفسه يلتحق بها معلماً، بل ويتولى فيها المناصب؟!!. أما علم هؤلاء أن التشريع من دون الله تعالى هو المهيمن على دساتير الأمم المتحدة ودساتير الجامعات، وليس هناك فرق إلا من جهة كثرة المواد التشريعية وقيمتها، وهذا أمر طبيعي، فدستور الأمم المتحدة يحكم جمهور بلدان العالم، وأما دستور الجامعة فيحكم جامعة معينة، إلا أن الكل يُحَكَّمُ فيه شريعة الطاغوت.

والطاغوت العام يسعى جاهداً في دفع الناس نحو هذه المدارس والجامعات بدعوى محاربة الأمية ومحوها، وكذبوا، بل مراده حمل الناس على الاعتداد بآرائهم وعقولهم بما يسمى بالثقافة والتعلم المدني والحضاري؛ لينزعوا منهم تعظيم أمر الله ورسوله، حتى أصبح البعض يستدرك على شرع الله تعالى، ويقدح وينتقد السلف الصالح وفهمهم وعلومهم، حتى قال بعضهم: هم رجال ونحن رجال، وكذبوا، بل نقول لهم: بل هم رجال وأنتم من الذُّكْرَانِ.

فمراد الشارع تبارك وتعالى أن نحارب الجهل بدينه جل وعلا،

وأن نحارب الاعتراض على شرعه ﷺ، وأما الطاغوت فمراده محاربة الأُمّية، لا ليتعلم الناس الكتابة والقراءة كما يزعم، وإنما ليجعلهم مُعْتَدِّينَ بِآرَائِهِمْ وعقولهم في مقابلة الكتاب والسنة، وانخدع المسلمون بذلك؛ فصاروا إلى ما ترون من التخبط والضياع، فالكل يقرأ ما يريد وينظر ما يشتهي، في تَعَامٍ وتَغَافُلٍ عن شرع الله تبارك وتعالى، فالْمُعْظَمُ هو العقل والرأي، عيادًا بالله من الخذلان.

ولنعلم أن الأُمّية ليست وصفًا ذميًّا، بل على العكس تمامًا، فإن في أصحابها من الطوعية والانقياد لشرع الله تبارك وتعالى ما ليس عند غيرهم، وقد قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

والطاغوت إذ يفعل ذلك يعلم يقينًا أنه إن بقي المجتمع متطهرًا؛ فستكشف نجاسة الطاغوت؛ وعليه فلا بد أن يتلطح الجميع أسوة به، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾ [٨٢] [الأعراف: ٨٢].

نعم، هكذا هو الْمُتَلَطِّحُ دائمًا، لا يطيق أن يرى المتعطفين الطاهرين من حوله، فإما أن يَتَسَخَّوْا مثله، أو سيرميهم بالعظائم، وتأمل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾ [٨٢]، فسبحان الله تأمل

كيف صار التطهر عند هؤلاء المفسدين جريمة!!.

● وللمدارس حظ عظيم من التهينة لهذا الخبث:

إن المتأمل يجد أن من أهم السَّلاَيم التي يصعد عليها المبتطلون، لإيجاد قناعات حقيقية بهذا الخبث والباطل «العلمانية - الديمقراطية»، هي تلك المدارس التي تعلم الناشئة منذ نعومة أظفارهم، ولهذا تجد أنهم يولونها إهتماماً كبيراً لا من قبيل الحرص على تعليم المسلمين وتوعيتهم، ولكن لتدجينهم، وترويضهم، على تلقي وتلقف هذا الخبث، بل ويطمعون في وأد جذوة الإيمان في قلوبهم وتخريب فطرتهم، حتى يسلكوا سبل الشياطين طائعين، فرحين، بل وربما صاروا أبواقاً تدافع جهاراً نهاراً عن هذا الخبث، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، في تنكروا واضح للحقائق الشرعية، من تحقيق التوحيد العام التام لله رب العالمين، والاستمسك بعقيدة الولاء والبراء، والاعتزاز والافتخار بقدوات الأمة الكبار أعني الصحابة الكرام رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان.

وأختصر المقال في هذا المقام بنقلين أذكرهما في هذا المقام، أحدهما عن عالم من علماء المسلمين اليَقِظِينَ المُسْتَبْصِرِينَ بخطورة هذه المدارس، والآخر عن خبيث كافر يقدم شهادة على عظيم المكر الذي يريده الطاغوت من وراء نشره لهذه المدارس والاهتمام به

والإنفاق الطائل عليها:

قال الشيخ عبد الرحمن الدوسري رَحِمَهُ اللهُ: «لَوْ عَلِمَ فرعون بالمدارس، لما احتاجَ إلى قَتْلِ بني إسرائيل». اهـ.

وقال المجرم الدُّوق الحاكم العام على الجزائر أثناء الاحتلال: «إِنَّ المدرسة تُساوي كِتَابَةً مِنَ الْجَيْشِ فِي عَمَلِيَّةِ التَّهْدِثَةِ». اهـ.

وهناك غير هذه النقولات، ولكن فيما ذكر كفاية لمن يعقل، ومن أراد المزيد فهو مَبْثُوثٌ في مَظَانِّهِ، فليراجعهُ من أراد، واللبيب تكفيه الإشارة، وفي الواقع خير شاهد على ذلك للمستبصر.

فيا أيها المسلمون نابذوا هذا الخبث، واخرجوا من هذه الجامعات والمدارس التي تكرس الطاغوت.

● المرجئة والمفتنون والمغرر بهم يتهمون ابن عباس رَحِمَهُ اللهُ زوراً وبهتاناً:

وذلك أنهم ينسبون زوراً وبهتاناً إلى ترجمان القرآن، أنه يقول بأن صرف التشريع لغير الله تعالى لا يعدو أن يكون كفرًا دون كفر، ولا يكون كفرًا مخرجًا من الملة إلا بشرط الاستحلال، أو الجحود ويجعلونه عملاً قليلاً.

وخلاصة قولهم: أنهم يزعمون ويدَّعون أن ابن عباس رَحِمَهُ اللهُ

عَلَّقَ الحكم بعدم الكفر على الإقرار، ثم يفسرون الإقرار بأنه عمل قلبي؛ وعليه فعندهم أن العبد مهما شَرَعَ من التشريعات الجاهلية فإنه لا يكفر ويخرج من الملة إلا إذا لم يقر، أما إن أقر فهو كفر دون كفر، ثم ينسبون هذه البائقة إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وإليك بطلان هذا المعنى من كتاب الله تعالى بأوضح ما يكون، لتعلم معنى الإقرار على وجهه الصحيح، وأن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول بمثل ما قال به إخوانه من الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما في «تفسير الطبري» عن حذيفة في قوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] قال: «نعم الأخوة لكم كل حلوة ولهم كل مرة ولتسلكن طريقهم قدئى الشراك».

وكذلك ابن مسعود، كما في «تفسير الطبري»: «عَنْ عَلْقَمَةَ، وَمَسْرُوقٍ: أَنَّهُمَا سَأَلَا ابْنَ مَسْعُودٍ عَنِ الرَّشْوََةِ، فَقَالَ: مِنَ الشُّحْتِ. قَالَ: فَقَالَا: أَفِي الْحُكْمِ؟ قَالَ: ذَاكَ الْكُفْرُ. ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾».

كما في «صحيح مسلم»: «عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِيَهُودِيٍّ مُحَمَّمًا مَجْلُودًا فَدَعَاهُمْ ﷺ، فَقَالَ: «هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ». قَالُوا: نَعَمْ. فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ فَقَالَ: «أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى أَهَكَذَا

تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ». قَالَ: لَا وَلَوْلَا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرَكَ نَجْدَهُ الرَّجْمَ وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقْمَنَّا عَلَيْهِ الْحَدَّ، قُلْنَا: تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعَ عَلَى شَيْءٍ نَقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ». فَأَمَرَ بِهِ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَتَأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْرُوكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنْ أُوْتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ يَقُولُ: اثْنَا مُحَمَّدًا ﷺ، فَإِنْ أَمَرَكُمُ بِالْتَّحْمِيمِ وَالْجَلْدِ فَخُذُوهُ وَإِنْ أَفْتَاكُمُ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٤٤)، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٤٥)، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤٧). فِي الْكُفَارِ كُلُّهَا.

● معنى الإقرار في سياقات التشريع والعهد:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تُشْهَدُونَ﴾ (٨٤) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِلَافَةِ وَالْعَدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَقْتُلُوهُمْ وَهُمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ

فَمَا جَرَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ
الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴿البقرة: ٨٤ - ٨٦﴾.

وقال ﷺ: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا
أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا
ءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ
لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا
أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٦﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٧﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴿آل عمران: ٨٠ - ٨٣﴾.

● ويل للمرجئة:

● معنى الإقرار في السياق القرآني:

تأمل هذين الموضعين من كتاب الله؛ ليتبين لك بكل جلاء
ووضوح معنى الإقرار، في مسائل العهد والميثاق وطاعة الرسول ﷺ:
فمن هذه الآيات علمنا يقيناً أن ما ينفي الإقرار وينقضه هو

التولي عن الالتزام به والنكول عن العمل، وأن الإقرار هو في مقابلة التولي، كما هو صريح في هذه الآيات المباركات، وبهذا يتضح معنى الإقرار في كلام ابن عباس رضي الله عنه والسلف رحمهم الله.

فابن عباس رضي الله عنه يتكلم عن حاكم مُقَرَّرٍ بالشرع، أي: ملتزم به ولم يَتَوَلَّ عنه، بل هو عاملٌ به في محاكمه وسياسة ملكه، فبالشرع تُفَضُّ النزاعات وإليه الرَّد في الخصومات، ثم إن هذا الحاكم يحيد عن الشرع اتباعاً لهواه في بعض الأحيان العارضة، والتي لم يجعلها حالة مستقرة ولا شرعاً يرد إليه وتُفَضُّ به النزاعات؛ فهذا الذي قال فيه الجمهور إنه كفر دون كفر، أما تبديل الشرائع، وتقنين القوانين التي تُحكم بها البلاد، ويُقَضَّى بها بين العباد، فهذا هو الكفر الأكبر البواح الصراح، وهذا محل إجماع بين أهل السنة والجماعة، خلافاً للمرجئة والجهمية، عياداً بالله منهم.

وهذا هدم آخر للبيان الإرجائي، ينهدم به ركن من أركان مرجئة طواغيت الحكم في هذا الزمان، يضاف إلى الركن الأول الذي تم هدمه من قبل في كتابي «إسعاف السئول»، ألا وهو معنى «الجحود»؛ حيث لعبوا بعقول الأتباع فقرروا لهم تقريراً فاسداً باطلاً، وبَنَوْا على ذلك عقيدة إرجائية فاسدة، تَقَوَّى بها الطاغوت، ومضَى قُدماً يَنَازِعُ الله تعالى في حَقِّ هو من أخص حقوقه ﷻ، وصفة هي من

لوازم ربوبيته، تتجلى فيها أحد أبرز معاني الربوبية، ألا وهو التشريع. وهنا أذكر القاعدة الإرجائية الخبيثة ألا وهي: «أن كلاً من الجحود والإقرار عمل قلبي بحت، وأن من زعم الإيمان وترك العمل فقد تحقق منه الإقرار وإن لم يلتزم العمل». وكذبوا، بل هما عملاقان ظاهران من أعمال الجوارح وكسبها.

فلله الحمد والمنة، على ما هدى، وما فتح من البصيرة والبصر، وأسأله لي ولكم المزيد من فضله وإحسانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى»: «فَصُلِّ: وَكَذَلِكَ لَفْظُ «الْمَعْصِيَةِ» وَ«الْفُسُوقِ» وَ«الْكُفْرِ»: فَإِذَا أُطْلِقَتِ الْمَعْصِيَةُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ دَخَلَ فِيهَا الْكُفْرُ وَالْفُسُوقُ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ ﴿١٢٢﴾».

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ﴿٥١﴾. فَأُطْلِقَ مَعْصِيَتُهُمُ لِلرُّسُلِ بِأَنَّهُمْ عَصَوْا هُودًا مَعْصِيَةً تَكْذِيبَ لِحْجَسِ الرُّسُلِ فَكَانَتْ الْمَعْصِيَةُ لِحْجَسِ الرُّسُلِ كَمَعْصِيَةٍ مَنْ قَالَ: ﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾.

وَمَعْصِيَةٍ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿١٦﴾.

أَيُّ: كَذَّبَ بِالْخَيْرِ وَتَوَلَّى عَنْ طَاعَةِ الْأَمْرِ، وَإِنَّمَا عَلَى الْخَلْقِ أَنْ يُصَدِّقُوا الرُّسُلَ فِيمَا أَخْبَرُوا وَيُطِيعُوهُمْ فِيمَا أَمَرُوا. وَكَذَلِكَ قَالَ فِي فِرْعَوْنَ: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ (٦١). وَقَالَ عَنْ جِنْسِ الْكَافِرِ: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ (٦٢) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٢٣﴾.

فَالْتَكْذِيبُ لِلْخَيْرِ وَالتَّوَلَّى عَنِ الْأَمْرِ، وَإِنَّمَا الْإِيمَانُ تَصَدِيقُ الرُّسُلِ فِيمَا أَخْبَرُوا وَطَاعَتُهُمْ فِيمَا أَمَرُوا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرُّسُلَ.

وَلَفْظُ «التَّوَلَّى» بِمَعْنَى التَّوَلَّى عَنِ الطَّاعَةِ مَذْكُورٌ فِي مَوَاضِعَ مِنَ الْقُرْآنِ، كَقَوْلِهِ: ﴿سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَتِّلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٦) وَدَمُّهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ مَنْ تَوَلَّى؛ دَلِيلٌ عَلَى وَجُوبِ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنَّ الْأَمْرَ الْمُطْلَقَ يَقْتَضِي وَجُوبَ الطَّاعَةِ وَدَمَّ الْمُتَوَلَّى عَنِ الطَّاعَةِ؛ كَمَا عَلَّقَ الدَّمَّ بِمُطْلَقِ الْمَعْصِيَةِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرُّسُلَ﴾. اهـ.

● عيسى بن مريم ﷺ سيهدم الديمقراطية ويكسر الصليب:

كما في «الصحيحين» وبُوبَ عَلَيْهِ فِي «صحيح مسلم»: «باب نَزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ»: ثم ساق حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ

لِيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ حَكَمًا مُقْسَطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنَزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ».

قال النووي في «شرح مسلم» في شرح هذا الخبر: «(ليوشكن) ليقربن «حكما» أي حاكما بهذه الشريعة لا ينزل نبياً برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل هو حاكم من حكام هذه الأمة «مقسطاً» المقسط العادل يقال أقسط إقسطاً فهو مقسط إذا عدل والقسط العدل وقسط يقسط قسطاً فهو قاسط إذا جار «فيكسر الصليب» معناه يكسره حقيقة ويبطل ما يزعمه النصراني من تعظيمه «ويضع الجزية» أي: لا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام ومن بذل الجزية منهم لم يكف عنه بها بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل» اهـ.

فهذا الحديث العظيم، فيه دليل صريح على أن عيسى بن مريم وَعَلَيْهِ السَّلَامُ ستكون من أعظم مهامه الكبار وَعَلَيْهِ السَّلَامُ، أنه سيهدم أركان الديمقراطية الكافرة المأفونة، وأنه سيسعى في القضاء على كل دين إلا دين الإسلام، وسيكسر الصليب، ولا يقبل إلا الإسلام.

وفي «صحيح مسلم» عن طارق بن أشيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي وَعَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرَّمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

قال شيخ الإسلام محمد بن سليمان التميمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وهذا من

أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله، فإنه لم يجعل التَّلَفُظَ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا مَعْرِفَةَ معناها مع لَفْظِهَا، بل ولا الإِقْرَارَ بذلك، بل ولا كَوْنَهُ لا يَدْعُو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شكَّ أو تَرَدَّدَ لم يَحْرُم مَالَهُ وَدَمُهُ.

فَيَا لَهَا من مسألة ما أَجَلَّهَا، وَيَا لَهُ من بَيَّانٍ ما أَوْصَحَّه، وَحُجَّةٍ ما أَقْطَعَهَا للمنازع». انتهى.

● المصالح والمفاسد والدين الجديد:

فصل: واعلم أن قضية تحديد المصالح والمفاسد أمرها إلى حكم الشارع الحكيم لا إلى أهواء الناس واجتهاداتهم الخاصة، فما أمر به الشارع فلا شك أنه يتضمن المصلحة العليا، وإن رأى من رأى من أهل العلم خلاف ذلك، وما نهى عنه الشارع لا شك أنه يتضمن المفسدة، ويتعين اجتنابه وتركه، وإن توهم من توهم أن المصلحة في إتيانه وفعله، ولا يمكن أن تتحول المصلحة التي اعتبرها الشارع إلى مفسدة، والعكس، بدعوى يَدَّعِيهَا مَنْ يَدَّعِيهَا من الناس.

وإلا تحول الشرع إلى أهواء وآراء يتجاذبها العباد، فلا تبقى ثوابت في الدين، بل وسيصير الأمر إلى أنه إذا ثبتت المصلحة أو المفسدة عند هؤلاء أو أولئك بآرائهم واجتهاداتهم الخاصة؛ أخذوا بها

مطوحين بالدين، مع أن هناك مَنْ ينازعهم في ما زعموه، من أهل العلم، ولكنهم بدعوى المصلحة والمفسدة ينازعون أمر الله ورسوله، والله تعالى يقول في محكم التنزيل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ۝١٥﴾ [النساء: ١٥]،

وقال ﷺ: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ۝٦١﴾ [المؤمنون: ٧١].

• ولهذه الأسباب قال بعض المحققين:

إن هذا دينٌ جديد، يُدشَّنُ باسم المصالح والمفاسد، فهي كلمة حق أريد بها باطل.

وبناء على هذا التطويح في ميزان المصالح والمفاسد، جَوَّزُوا اعتماد الوطنيات عوضاً عن الولاء والبراء، والديمقراطية بدلاً عن الاستسلام لشرع الله، والتَّصْويت عوضاً عن الشورى وأهل الحلِّ والعقد، والشعب معبوداً عوضاً عن الله تعالى، فصاروا إلى تدشين الكفر، وهم يدعون أنهم يريدون نصر الإسلام، والإتيان بالشرعية عبر الديمقراطية، وصناديق الاقتراع، ومواثيق الأمم المتحدة الملحدة، خابوا وخسروا وشاھت الوجوه، فقد صرنا إلى زمان صار فيه بعض

الخواص لا يميزون ملة إبراهيم، حتى كأنهم لم يسمعوا بها من قبل، بل وأصبح الذين كانوا يحاربون التشريعات الجاهلية، من خلال محاربة البرلمانات، والديمقراطية، والدساتير الجاهلية، صار ينافع عنها ويدافع، ويدعو إليها ويجادل عنها، حتى بلغ الحال ببعضهم، إلى أن صار يصرح بأنه لا سبيل إلى نصر الدين إلا بهذه السبيل، بل وقال بعضهم: إن الدعوة إلى تطبيق الشريعة في ظل هذه الظروف فتنة، يجب أن تحارب ويُقضى عليها، والله تعالى يقول: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعُ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ [القصص: ٥٧]؛ فشابهوا المشركين والمنافقين في أقوالهم، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، ويقولون: ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى»: «فَإِنَّ الشُّرَكَ وَالْقَوْلَ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ وَالْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالظُّلْمَ: لَا يَكُونُ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَصْلَحَةِ». اهـ.

قال الشاطبي في كتابه «الموافقات»: «وأما الأسباب الممنوعة؛ فأمرها أسهل؛ لأن معنى تحريمها أنها في الشرع ليست بأسباب، وإذا لم تكن أسباباً لم تكن لها مسببات؛ فبقي المسبب عنها على أصلها من المنع، لا أن المنع تسبب عن وقوع أسباب ممنوعة، وهذا كله ظاهر؛ فالأصل مطرد والقاعدة مستتبة، وبالله التوفيق». اهـ.

وقال أيضًا: «المسألة الحادية عشرة: الأسباب الممنوعة لأسباب للمفاسد لا للمصالح، كما أن الأسباب المشروعة أسباب للمصالح لا للمفاسد». اهـ.

وقال أيضًا: «والمقصود أن الأسباب المشروعة لا تكون أسبابًا للمفاسد، والأسباب الممنوعة لا تكون أسبابًا للمصالح؛ إذ لا يصح ذلك بحال». اهـ.

● التوحيد أعظم المصالح والشرك أعظم المفاسد:

وعليه؛ فلنعلم أن أعظم المصالح التي يجب تحقيقها، هو إقامة التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وأن أعظم المفاسد التي يجب درؤها، هو الشرك بالله تعالى، وتأمل في هذه الحادثة التي وقعت في زمان النبي ﷺ لتعلم حقيقة ذلك.

● مثال نبوي عظيم دال على أن درء مفسدة الشرك لا تعدلها

مصلحة:

قال ابن القيم في «زاد المعاد»: «بعث المغيرة وأبي سفيان لهدم اللات: وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية، وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين فأبى رسول الله ﷺ عليهم فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم حتى سألوه شهرًا واحدًا بعد قدومهم فأبى عليهم أن

يدعها شيئاً مسمى، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة يهدمانها، وقد كانوا يسألونه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة وألا يكسروا أوثانهم بأيديهم.

فقال رسول الله ﷺ: «أما كسر أوثانكم بأيديكم، فسنعفيكم منه وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه» فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً، أمر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان من أحدثهم سنّاً، وذلك أنه كان من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن، فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا إلى بلادهم راجعين بعث رسول الله ﷺ معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية، فخرجوا مع القوم حتى إذا قدموا الطائف، أراد المغيرة بن شعبة أن يقدم أبا سفيان فأبى ذلك عليه أبو سفيان فقال: ادخل أنت على قومك، وأقام أبو سفيان بماله بذى الهدم فلما دخل المغيرة بن شعبة، علاها يضربها بالمعول وقام دونه بنو معتب خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة وخرج نساء ثقيف حسراً يبكين عليها، ويقول أبو سفيان - والمغيرة يضربها بالفأس -: «واها لك واها لك» فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحليها، أرسل إلى أبي سفيان مجموع مالها من الذهب والفضة والجزع». اهـ.

﴿فصل﴾

في بيان أن القوم غلطوا على ابن تيمية في مسألة المصالح والمفاسد لتبرير وتمير هذه الديمقراطية المأفونة، ومداخلة الطاغوت:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٢٨ / ١٢٩):
«وَجَمَاعُ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي «الْقَاعِدَةِ الْعَامَّةِ»: فِيمَا إِذَا تَعَارَضَتْ الْمَصَالِحُ
وَالْمَفَاسِدُ وَالْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ أَوْ تَزَاحَمَتْ؛ فَإِنَّهُ يَجِبُ تَرْجِيحُ
الرَّاجِحِ مِنْهَا فِيمَا إِذَا ازْدَحَمَتْ الْمَصَالِحُ وَالْمَفَاسِدُ وَتَعَارَضَتْ
الْمَصَالِحُ وَالْمَفَاسِدُ.

فَإِنَّ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَإِنْ كَانَ مُتَضَمِّنًا لِتَحْصِيلِ مَصْلَحَةٍ وَدَفْعِ
مَفْسَدَةٍ فَيَنْظَرُ فِي الْمُعَارِضِ لَهُ فَإِنْ كَانَ الَّذِي يَقُوتُ مِنَ الْمَصَالِحِ أَوْ
يَحْصُلُ مِنَ الْمَفَاسِدِ أَكْثَرَ لَمْ يَكُنْ مَأْمُورًا بِهِ؛ بَلْ يَكُونُ مُحَرَّمًا إِذَا كَانَتْ
مَفْسَدَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ مَصْلَحَتِهِ؛ لَكِنَّ اِغْتِيَارَ مَقَادِيرِ الْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ هُوَ
بِمِيزَانِ الشَّرِيعَةِ.

فَمَنْ قَدَّرَ الْإِنْسَانُ عَلَى اتِّبَاعِ النُّصُوصِ لَمْ يَغْدِلْ عَنْهَا وَإِلَّا
اجْتَهَدَ بِرَأْيِهِ لِمَعْرِفَةِ الْأَشْبَاهِ وَالنَّظَائِرِ وَقُلْ أَنْ تُغَوَّرَ النُّصُوصُ مَنْ يَكُونُ
خَبِيرًا بِهَا وَبِدَلَالَتِهَا عَلَى الْأَحْكَامِ». اهـ.

● اجتناب الطاغوت فريضة لازمة في الإيمان:

﴿فصل﴾

في معنى اجتناب الطاغوت والكفر به، وكيفية تنزيله في أرض الواقع: إن المتأمل في نصوص الكتاب والسنة، يجد وبكل جلاء ووضوح، أن أخص خصائص الإيمان ولوازمه، الكفر بالطاغوت واجتنابه، والبراءة منه ومن أهله.

وإن من العجائب العلمية أن تجد أقوامًا من أهل العلم والإيمان، يقررون في دروسهم وكتاباتهم، ضرورة اجتناب الطاغوت واعتزاله، ثم هم يُفتُّون بجواز مداخلته، وتولي المناصب له!! ولا أقول: إنهم لم يفهموا معنى اجتناب الطاغوت بهذا الاعتبار، ولكنهم تأثروا بأقوال لبعض أهل العلم من المتأخرين، لِمَا حباهم به الله تعالى من الفهم والتدقيق، والاستقراء والتحقيق، مما علا به كعبهم في العلم، وصار لهم بفضل الله تعالى وتوفيقه قدم صدق في هذه الأمة، إلا أنه يبقى هذا العالم أو ذلك، غير معصوم من الخطأ والذهول والنسيان.

ومن استصحب معه هذا الأصل الأصيل؛ سيدرك ولا محالة بإذن الله تعالى، مواضع الزلل والخطأ والنسيان والذهول في كلام أهل العلم.

وإن من الجناية الكبرى على الشريعة أن تُحاكِم نصوص الكتاب والسنة إلى أقوال الخلف، مع وجود أقوال وأحوال للسلف، في بيان ذلك وتفصيله، بل ومع ظهور دلالات الكتاب والسنة في هذا الشأن أو ذاك، فكيف بهذه المسألة الأصولية الكبرى، المتعلقة بأخطر القضايا وأكبرها، ألا وهي مسألة: كيفية تحقيق الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، والتي هي العروة الوثقى التي لا تقوم للإيمان قائمة بدونها، وإن كثرت صلاة المرء وعباداته.

وإن مما ينبغي أن يتنبه له أهل السنة والجماعة: أنهم يقررون دائماً في دروسهم وكتاباتهم وخطبهم ومواعظهم، أنهم إنما يأخذون دينهم من الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة.

وهذا من الأصول المتفق عليها بين أهل السنة والجماعة؛ فعلى كل من انتسب إلى هذا الأصل، أن يكون عاملاً به، مفتخراً بذلك، لا يَنكُل عنه ولا يتنصل منه، ولا يتنكر له باعتبارات وأعذار واهية، كمن يقول: كيف خفي ذلك على العالم الفلاني؟!، أو قولهم: وهل هذا العالم لم يحقق في هذه المسألة المتعلقة بأصل الدين والإيمان؟!، ونحو ذلك من الأقوال، فإن هذا من مواقع الزلل والجهل، والمخالفة الصريحة لما يدين الله تعالى به من الاعتداد بالأصل المتقدم تقريره.

وإن مما ينبغي أن نتذكره دائماً أنه ليس من حقنا أبداً أن نتخذ من الخلف سلفاً؛ لنعترض به، ونعارض أقوالاً وأحوالاً للسلف الصالح، أهل القرون الثلاثة المفضلة؛ فتأمل!

والم تأمل في الساحة الدعوية في هذا العصر؛ يجد أن أقواماً انتحلوا ذلك؛ فاتخذوا من الخلف سلفاً، وجعلوا أقوالهم قاضية وحاكمة على كل حال، وإن خالفت أقوال السلف، بل وإجماعهم، فالله المستعان، ونعوذ به من العمى والخذلان.

كما أن من المتقرر لدى أهل العلم، أن العالم لا يسعه التقليد، وهو قادر على البحث والتنقيب عن الحق لإصابته، فكيف بمسائل العقيدة، فإن الأمر أعلى وأجل.

وإن قضية اجتناب الطاغوت، هي من القضايا التي كثرت معالجتها في الكتاب والسنة، تارة بالتحذير الصريح، وتارة بالثناء على مجتنب الطاغوت، وتارة بالحث على اجتنابه، وتارة بذكر نجاة من اجتنب الطاغوت وهلاك وبوار من لم يفعل.

كما أن المتأمل يجد أن الألفاظ قد تنوعت، وتنوعت العبارات والسياقات في هذا الصدد كذلك، كل هذا إمعاناً في بيان خطورة هذا الشأن العظيم، والخطب الجلل.

فهناك الأمر بالتَّرك، وهناك الأمر بالاعتزال، وهناك النهي عن الركون، وهناك الأمر بالبراءة، وهناك الحث على المنابذة، بل وجاء التصريح بالأمر بالمقاتلة، مع وجود الشوكة؛ لإزالة الطاغوت، حتى تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

وجميع هذه الألفاظ، قاضية وبكل صراحة ووضوح، أنه لا يحق لعبد مهما بلغ من العلم والديانة والتقوى والورع، أن يكون مداخلًا للطاغوت، فضلاً عن أن يكون خادماً له؛ إذ كيف يتصور ذلك مع تحقيق المنابذة، والسعي في المقاتلة والإعداد لذلك، والقيام بالاعتزال التام والبراءة المعلنة، بل كيف يتأتى ذلك مع تحقيق معنى الترك والاجتناب وعدم الركون؟!.

لا شك أن هذا من أبطل الباطل، ومن أقبح أنواع السعي الحثيث في الجمع بين المتناقضات؛ فإن الإيمان لا يكون دائماً إلا في حد في مقابلة الطاغوت على كل حال، فلا تقارب ولا ركون ولا مداخل، بل هو الاعتزال والاجتناب، والحرب المعلنة، والتحدي إن أمكن ذلك، والبراءة من الطاغوت ومتعلقاته، فإنما هو الاجتناب للعباد والمعبود من دون الله تعالى، بكل ما تحمله هذه المعاني من الضرورات والإلزامات.

وقصص الأنبياء والصديقين واضحة المعالم في الكتاب

والسنة، كلها دالة وقاضية بتقرير هذا المقام الكبير الخطير، فلا تجد نبياً، ولا رسولاً، ولا صديقاً، إلا وهو محقق لمعنى هذا الاجتناب، من خلال الاعتزال والتَّرك، والبراءة والتَّحدي، والمحاربة إن أمكن ذلك، وغير ذلك من المعاني الكبار المتعلقة بهذا الأمر العظيم.

وإنَّ أي مداخله للطاغوت، أو محاولة لإيجاد قواسم مشتركة معه، وإن كانت بدعوى تقليل الباطل أو الظلم، يصب مباشرة في باب التلبس في الدين، وعدم منابذة الطاغوت، فالحذر الحذر.

وإنَّ من أعظم الأمور التي جرت إلى تشييت الطاغوت وبقائه، مداخلته وتولي المناصب له؛ إذ إن الواجب على المسلمين السعي في إزالته، فلما داخلوه وركنوا إليه؛ مسهم العذاب، حيث رَقَّتْ مسائل الشرع عندهم، بل تناسوا الطاغوت، بل وصاروا معذرين عنه؛ لأنهم والحالة هذه إنما يعذرون عن أنفسهم وواقعهم المر الذي يعيشونه، ترى ذلك على حالهم ومقالهم، فمن قائل: أتريدنا أن نعتزل المجتمع؟، وآخر يقول: نريد الإصلاح، ومن قائل: هذا ولي أمرنا وتجب طاعته!!... إلخ.

أما علم هؤلاء أن الطاغوت هو عبارة عن مؤسسات وكيانات يمرر من خلالها الطاغوت حكمه الجاهلي بدستوره الكفري!!.. وهو بحاجة ماسة إلى من يُكَمِّعُ له حاله، ويروج له، وبدخول هؤلاء

معه تم له ما يريد.

والسؤال الكبير الذي يطرح نفسه، أليس من القواعد المتفق عليها- عند هؤلاء الذين يزعمون مداخله الطاغوت بدعوى الإصلاح وتقليل الشر- أخذهم بقاعدة: «أن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأمرنا بتقديم خير الخيَرَيْن بتفويت أدناهما، وبدفع شر الشرَّين باحتمال أدناهما؟!».

فنقول لهم ولغيرهم: أليس من المقطوع به: أن أعظم الشر على الإطلاق هو الكفر والشرك بالله تعالى، وهو الطاغوت المأمور باجتنابه والكفر به، والبراءة منه ومن أهله؟!

فنسألهم، ما هي المفسدة التي هي أعظم من الطاغوت، التي قادتكم إلى الركون إلى الطاغوت ومداخلته؛ لتدفعوا الأعلى بالأدنى. ولا شك أنه وبهذا الاعتبار والتصور، أن الأدنى هنا هو الطاغوت، والأعلى هو ذلك الشيء الذي لأجله داخلوا الطاغوت محتملين إياه؛ لدفع ذلك الأعلى!!.

فنعود ونقول: ما هو هذا الأمر الذي هو أعظم من الطاغوت؟!.. حتى دفعتم الأعلى باحتمال الأدنى «الذي هو اجتناب الطاغوت في هذه الحالة»؟!..

إن المتأمل في واقع هذه المداخلات، يجد أن الأمور التي يذكرونها، والتي بسببها دخلوا الطاغوت، كانت على كل حال أدنى بكثير كثير من الطاغوت، بل وفي كثير من الأحيان إن لم يكن دائماً، تكون هذه المداخلات؛ لتقليل ضرر وقع على الناس في دنياهم، من مأكّل ومشرب وملبس، ووظائف ونحو ذلك من أسباب المعاش.

ولا شك أن هذه الأشياء، لا يحل معها أبداً بحال من الأحوال مداخلات الطاغوت، المأمور باجتنابه ومحاربته، واعتزاله وتركه، والكفر به والبراءة منه ومن أهله، بل وعدم الركون إليه في قليل ولا كثير.

بل لا يحل أبداً مداخلته مهما كان الأمر؛ لأننا لم نؤمر بهذا فيما يتعلق بالطاغوت، كما هو بين من النصوص الصريحة، وتعامل الأنبياء والصديقين في محكم التنزيل.

ولكنها اللوثة التي أخذت بعض القوم، في ترفيق مسائل التوحيد، والتي تولى كبرها في هذا الزمان بعض الطوائف والأحزاب المنتسبة إلى العمل الإسلامي والدعوة إلى الله؛ حيث يكون المعظم عند هؤلاء غالباً دنيا الناس لا دينهم.

ومن المقطوع به أن هذا التصور مخالف، بل ومصادم تماماً لدعوة الأنبياء والمرسلين، بل ومناهض على طول الخط لملة إبراهيم

الخليل الحنيف ﷺ، الذي أمر الأنبياء من بعده أن يأخذوا بها،
ويسيروا على منوالها، لا يرغبون عنها، ولا يلتفتون إلى غيرها أبداً.
● لا يجوز عرض الكفر على الأمة تحت أي دعوى أو شعار

﴿فصل﴾

في بيان أنه لا يجوز عرض الكفر على الأمة، وحثهم عليه،
بدعوى نصرته الإسلام، وميزان المصالح والمفاسد؛ إذ أعظم المفاسد
كما تقدم الشرك والكفر بالله جل وعلا، فلا مصلحة تُرجى بعد ضياع
التوحيد والتمكين للكفر.

واعلم أن كل ما يستدل به دعاة الديمقراطية منتقد مُطَرَّح، فهو
إما دليل ضعيف الإسناد، أو صحيح غير صريح الدلالة؛ لِطُرُوءِ
الاحتمال القوي فيه وَوُجُودِهِ عليه، في مقابلة الأدلة الواضحة البينة
الجلية الدالة على المنع من ذلك، ومما يزيد الأمر وضوحاً أنك لا
تجد في سبيل المؤمنين قط - النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - أنهم قبلوا
عرض الكفر على الأمة بدعوى الحفاظ على الإسلام أو نصرته، وأنى
يكون هذا؟!..

بل قد جاءت الأدلة الواضحة البينة الدالة على أنه لا يجوز
عرض الكفر على الأمة مطلقاً، وأن هذا ليس محلاً للمساومات

والأخذ والعطاء، والقبول وأنصاف الحلول، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا
الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ
﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ
وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون: ١-٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى»: «فإنَّ الشُّرْكَ
وَالْقَوْلَ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ وَالْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالظُّلْمَ: لَا
يَكُونُ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَصْلَحَةِ» اهـ.

فالأمة مأمورة أبداً بعدم قبول الكفر، بل هي مأمورة بأن تأخذ
دينها بجِد وتستمسك به وتأخذ بأحسنه، وتأمل في قصة أصحاب
الأخدود وما قاموا به من الثبات على الإسلام، وعدم الرضوخ
للطاغوت، حتى قُتِلُوا جميعاً، وسمى الله تعالى ذلك فوزاً عظيماً،
وتأمل قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا يَفْؤَةً وَأَمْرٌ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا
سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَنَسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف: ١٤٥].

وقال: ﴿فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿١٢٢﴾ وَأَنْذِرْ
عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١٢٣﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ابْتِغَاكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
﴿١٢٤﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَبِّكُمْ وَمِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الشعراء: ٢١٣-٢١٦].

وقوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيََا إِلَيْكَ لِنَفْتَرِي عَلَيَْا غَيْرُهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلَا ۖ ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن تَبْنَتَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئَا قَلِيلَا ۖ ﴿٧٤﴾ إِذَا لَا ذُقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرَا ۖ ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥].

وقوله: ﴿فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِّبِينَ ۖ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۖ ﴿٩﴾﴾ [القلم: ٨-٩]، وقوله: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ۖ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ۖ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ۖ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۖ ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت: ١٠-١٣].

وأما الاحتجاج بالشرط المذكور في قصة قتل كعب بن الأشرف فسيأتي الكلام عليه عند ذكر الحديث الذي فيه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ». فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: أَتَذُنُّ لِي فَلَأُقْتَلَ قَالَ: «قُلْ». فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ وَذَكَرَ مَا بَيْنَهُمَا وَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَرَادَ صَدَقَةً وَقَدْ عَنَّا. فَلَمَّا سَمِعَهُ قَالَ: وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمْلُئَنَّهُ.

قَالَ: إِنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ الْآنَ وَنَكْرَهُ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ أَمْرُهُ... الحديث.

● سراب الشبهات:

واعلم رحمك الله، أن شبهات المبطلين، وأصحاب الهوى، لن تنقضي، فإن زخرف القول الفاتن يُطَوَّفُ به الشيطان هنا وهناك، ولهذا كلما أتوا بشبهة فردها عليهم أهل الحق بنور الوحيين وسبيل المؤمنين عمدوا إلى أخرى، وهكذا دواليك؛ ولهذا يجب معرفة الأصول الكبار التي تهدم صرح الباطل وتعريه، لنرد إليها كل شبهة تأتي، ونبين أن أصحابها إنما يتبعون وحي الشيطان، وزخرف قوله، والذي سينهار حتماً عند الرد إلى اليقين المحكم من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ على سبيل المؤمنين وعلى رأسهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

ولكن لا بأس أن نُعَرِّجَ على بعض هذه الشبهات، والتي كنت قد ذكرت حظاً منها والرد عليها في كتابي «فتنة العصر التشريع»، وكتابي «إسعاف السؤل».

● الرد على شبهة قصة قتل كعب بن الأشرف:

كما في «الصحيحين» واللفظ لمسلم عن جابر رضي الله عنه، قال: قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ». فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: ائْذَنْ لِي فَلَأَقُلَّ. قَالَ: «قُلْ». فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ وَذَكَرَ مَا بَيْنَهُمَا، وَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَرَادَ صَدَقَةً وَقَدْ عَنَانَا. فَلَمَّا سَمِعَهُ، قَالَ وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمْلُئَنَّهُ. قَالَ: إِنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ الْآنَ وَنَكَرَهُ أَنْ نَدْعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ أَمْرُهُ قَالَ: وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تُسَلِّفَنِي سَلَفًا قَالَ فَمَا تَرْهَنُنِي؟ قَالَ: مَا تُرِيدُ. قَالَ: تَرْهَنُنِي نِسَاءَكُمْ، قَالَ: أَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ أَنْتَرْهَنَكَ نِسَاءَنَا، قَالَ لَهُ: تَرْهَنُونِي أَوْلَادَكُمْ. قَالَ: يُسَبُّ ابْنُ أَحَدِنَا فَيُقَالُ: رُهْنٌ فِي وَسْقَيْنِ مِنْ تَمْرٍ. وَلَكِنْ تَرْهَنُكَ اللَّأَمَةُ - يَعْنِي: السَّلَاحَ - قَالَ: فَنَعَمْ. وَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالْحَارِثِ وَأَبِي عَبْسٍ بْنِ جَبْرِ وَعَبَادِ بْنِ بِشْرِ قَالَ: فَجَاءُوا فَدَعَوْهُ لَيْلًا فَتَزَلَّ إِلَيْهِمْ قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ غَيْرُ عَمْرٍو قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: إِنِّي لَأَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ صَوْتُ دَمٍ قَالَ: إِنَّمَا هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعُهُ وَأَبُو نَائِلَةَ إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ لَيْلًا لَأَجَابَ. قَالَ مُحَمَّدٌ: إِنِّي إِذَا جَاءَ فَسَوْفَ أَمُدُّ يَدِي إِلَى رَأْسِهِ فَإِذَا اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ فَدُونَكُمْ قَالَ: فَلَمَّا نَزَلَ نَزَلَ وَهُوَ مُتَوَشِّحٌ فَقَالُوا: نَجِدُ مِنْكَ رِيحَ الطَّيِّبِ قَالَ: نَعَمْ تَحْتِي فَلَانَتْ هِيَ أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ. قَالَ: فَتَأَذَّنُ لِي أَنْ أَشَمَّ مِنْهُ، قَالَ نَعَمْ: فَشَمَّ. فَتَنَاولَ فَشَمَّ ثُمَّ قَالَ أَتَأَذَّنُ لِي أَنْ أَعُودَ قَالَ: فَاسْتَمَكَنْ مِنْ رَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ: دُونَكُمْ! قَالَ: فَفَقَتَلُوهُ.

● هذا الحديث لا يسعفهم أبداً، وإليك بيان ذلك من وجوه:

● أولاً: أن المخالف لا يستطيع فعل هذا اليوم بعين ما فعل من قبل؛ أي: لا يستطيع أن يقول في حق النبي ﷺ لينصر الدين؛ فإن هذا منه ردة والعياذ بالله، ولأن النبي ﷺ أذن، وهذا لا نملكه نحن، فإنه قد مات ﷺ؛ قلنا إذن عاد الأمر إلى إذن الشارع، فمن أذن لكم أنتم؟!.

● ثانياً: أنه إذا كنا لا نستطيع أن نأتي بالأصل الذي عليه اعتمدنا في الحكم دل ذلك على الخصوصية، فتعميم ذلك والحالة هذه ممتنع فاسد؛ فإن الأصل إذا انهدم فالفرع أولى وأحرى.

● ثالثاً: أن هذه قضية خاصة تَمَّت سرّاً، فأين هذا من الدعوة العامة للأمة إلى الكفر وقبول الدخول في خطة الكافرين؟!.

ولهذا لا يمكن أن تجد صورة عامة لمثل هذا المثال الذي يضربونه مجادلةً بالباطل - وإن لم يتعمدوا ذلك-، فلا تجد كما تقدم أبداً مثلاً يُعرض فيه الكفر على العباد، بل ويزين لهم، بل ويجعلونه السبيل الوحيدة، بل بعضهم يراها المثلى والأنفع والأنجع، عياداً بالله من الخُذْلان.

● رابعاً: أن هذا تم في وقت عزة الإسلام؛ بحيث لا يُخشى على الأمة من جراء ذلك، بخلاف الحال اليوم.

• خامساً: أن القول لم يكن صريحاً، وإنما هو القول المحتمل الموهوم، وإنما الحرب خدعة، كما ثبت بذلك الخبر عن النبي ﷺ، كما في «الصحيحين» من حديث علي وأبي هريرة وجابر رضي الله عنهم، بخلاف الديمقراطية التي فيها عهود ومواثيق، يتم التوقيع عليها والإقرار بها، وتقدم الضمانات الكافية على الالتزام بها، والشعب يراقب ذلك، والمجتمع الدولي بالمرصاد.

• سادساً: أن نصر الإسلام بذلك كان مقطوعاً به، بخلاف الديمقراطية التي ما جيء بها إلا لهدم الإسلام، وضمان عدم قيامه في العالمين، إلا إسلاماً مختزلاً مُقْصَصَ الأطراف «الإسلام الأمريكي الذي يقدمه جماعة الإخوان المسلمين، كما في تركيا وتونس والسودان».

فالبون شاسع بين الحالتين والهوةُ سحيقة، ومما هو متقرر لدى أهل العلم أن الفارق إذا كان أكبر من الجامع بين الأصل المُقاس عليه والفرع المقيس؛ فَسُدَّ القياس وطُرح، وكان إمضاؤه والحالة هذه من أبطل الباطل، واتباعاً صريحاً للهوى وطرحاً للهدى.

فإذا علمنا هذا، فلنعلم أن المتقرر المقطوع به عند أهل العلم، وجوب ترك المتشابه والأخذ بالمحكم، ووجوب طرح المحتمل والأخذ باليقين.

فقد جاء في «الصحيحين» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ الْأَلْبَابُ﴾ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَأَحْذَرُوهُمْ».

● الرد على شبهة الاحتجاج بحلف الفضول:

وأما الاحتجاج بحلف الفضول أو المطيبين - على خلاف في هل هما شيء واحد أم لا - فإن الاحتجاج به غير تام؛ لأن الأسانيد لا تخلو من مقال^(١)، والراجع أن الخبر مرسل.

(١) جاء في «موسوعة أقوال الإمام أحمد»: «وقال المروزي: قلت لأبي عبد الله: فعبد الرحمن بن إسحاق، كيف هو؟ قال: أما ما كتبنا من حديثه، فقد حدث عن الزهري بأحاديث، كأنه أراد، تفرد بها. ثم ذكر حديث محمد بن جبير في الحلف، حلف المطيبين، فأنكره أبو عبد الله. وقال: ما رواه غيره. «سؤالاته». اهـ. قلت: وهذا هو المعتمد من كلام الإمام أحمد في هذا الخبر أنه ينكره، فيحمل المحتمل من كلامه على هذا، كالمدارسة التي جرت بينه وبين أحمد بن صالح وذكر فيها حلف المطيبين، والله أعلم.

وجاء في كتاب «التعديل والتجريح» لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح» للحافظ أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد ابن أيوب الباجي

وعلى كل؛ فالدخول في أحلاف مع الكفار ثابت شرعاً، ولكن بالضوابط والأدلة الشرعية الصحيحة، والتي دلت على أن أي حلف، أو أي شرط لا يقوم على أصل تعظيم حق الله تعالى وتقديمه وصيافته فهو باطل، كما في «الصحيحين» في قصة بريرة مع عائشة رضي الله عنها قال النبي ﷺ: «مَا بَالُ رِجَالٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ، مَا

= المالكي: «قال أحمد بن حنبل لأحمد بن صالح: فهات حتى نتذكر ما روى الزهري عن أولاد أصحاب رسول الله ﷺ فجعلنا يتذكرون إلى أن قال أحمد بن حنبل لأحمد بن صالح: عندك عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف: أن النبي ﷺ قال: «ما يسرنى أن لي حمر النعم وأن لي حلف المطيبين...» الحديث، فقال أحمد بن صالح لأحمد بن حنبل: أنت الأستاذ وتذكر مثل هذا فقال أحمد: هذا رواه عن الزهري رجل مقبول، وهو عبد الرحمن بن إسحاق أبو شيبه الواسطي، وحدثناه عن ذلك الرجل شيخان ثقتان بشر بن مفضل وإسماعيل بن عليه فقال أحمد بن صالح: سألتك بالله ألا ما أملتته علي فقال: من الكتاب فقام وأخرج الكتاب وأملاه عليه فأعجب به أحمد بن صالح وقال: لو لم أستفد بالعراق إلا هذا الحديث لكان كثيراً ثم ودعه وخرج من عنده». اهـ.

قلت: وهذه القصة كما ترى استغرب فيها أحمد بن صالح هذا الخبر، ونفى الغرابة الإمام أحمد بن حنبل، وكما هو معلوم أن نفي الغرابة لا يعني الصحة؛ ولهذا ومع أن أحمد بن حنبل نفى الغرابة إلا أنه قطع بالنكارة في رواية المروزي كما تقدم، والله أعلم.

كَانَ مِنْ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَإِنْ كَانَ مِائَةً شَرْطٍ قَضَاءُ اللَّهِ أَحَقُّ وَشَرْطُ اللَّهِ أَوْثَقُ وَإِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ».

وفي «صحيح البخاري» في قصة صلح الحديبية قال النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا».

فهذا هو الأصل الأصيل الذي تفتقده العملية الانتخابية والخطة الديمقراطية مطلقاً، بل هي على النقيض من ذلك تماماً، فإنما تقوم على تضييع حق الله تعالى والاستخفاف بالشرعية الربانية.

فَدَعُونَا مِنْ هَذِهِ الْمُمَاحَكَاتِ وَالتَّرْقِيعَاتِ، الَّتِي تَفْضِي إِلَى التَّلَاعِبِ بِحَقِّ الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَفِيقُوا فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ لَا يَنْتَصِرُ إِلَّا بِالْكِتَابِ الْهَادِي وَالسِّيفِ النَّاصِرِ.

● الرد على من شبه ذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أماكن

الخبث:

وذلك أن البعض يُشَبِّه مسألة الدخول في البرلمان، بحالة الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في أماكن المنكرات، فهو يدخل وينكر، يقول: ونحن كذلك ندخل لِنُنْكِرَ، والجواب على هذه الشبهة المتهالكة من وجوه:

● **الوجه الأول:** أن الإنكار مع الانتساب لمكان المنكر والدخول في خطته ومنظومته، يختلف تمامًا عن حال الذي لا يتسبب إليه، وليس له به أدنى صلة أو علاقة، بل هو دخول محض للإنكار، ﴿فَمَنْ أَهْتَكَدَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ﴾ [الزمر: ٤١]، وهذا فارق عظيم كبير بين الأصل والفرع، يبطل به هذا القياس ويفسد.

● **الوجه الثاني:** أن الدخول في البرلمانات يسبقه الاعتراف بها، والقسم على احترامها والإخلاص في ذلك، بخلاف الذي يدخل دخولاً محضاً، لا إلزام معه بشيء، من هذه الضلالات والمنكرات، فأين هذا من احترام الكفر والاعتراف به مَوْقِعاً على ذلك، وإن زعم أنه لا يُقَرُّه، وهذا فارق عظيم آخر بين الأصل والفرع، يبطل به هذا القياس ويفسد.

● **الوجه الثالث:** أنه كما أن هناك فرقاً بين من يعمل في خمارة ويتعاطى شيئاً من الدعوة فيها، وبين من يدخل للإنكار المحض، فالفرق في البرلمانات أشد وأغلظ؛ لأن المنكر هناك هو الكفر بالله تعالى.

على أن الدَّاخل إلى حائِة الخمر للإنكار، إن خَشِيَ تلبيساً على الأمة وجب عليه التَّرك، أو البيان الشافي قبل الدخول، فكيف بالبرلمانات الكفرية الطاغوتية، التي يكون المُنْكَرُ فيها عضواً من أعضائها.

• الوجه الرابع: أن الرسل قاموا بهذا الدور الريادي أكمل قيام، أعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأين تجدون في دعوة النبي ﷺ، هذا النوع من الدخول، حالة كونه موقعاً للعهود والمواثيق على احترام الكفر وتطبيق شروطه، والالتزام ببنوده المناهضة تماماً للإسلام، وليس سرّاً بل في العلن والهواء الطلق؟!.

بل جاءت دعوتهم عليهم الصلاة والسلام أصرح ما تكون في مفصلة الطاغوت واجتنابه والتحذير منه كما تقدم، وتأمل دعوة إبراهيم الخليل كيف نابذ قومه من قبل ومن بعد، ثم دخل معبدهم وكسر أصنامهم، وهكذا تفعل الرسل ﷺ.

• الوجه الخامس: أن التغاضي عن المنكر الأعظم تحت دعوى وغطاء وشعار تقليل المنكرات الأخرى، ضرب من التلاعب بالشرعية؛ فإن العملية الديمقراطية تقوم على تأليه الشعب للشعب، فالخلق فيها لله، ولكن الأمر للشعب، حيث تُطِيعُ الأقلية الأغلبية.

فأين نحن من هذا الكفر والزندقة حتى تغاضينا عن ذلك، حتى وَقَعْنَا العهود والمواثيق على احترام هذا الكفر والشرك بالله تعالى، فلو كنا صادقين في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لكان لزاما علينا أولاً وقبل كل شيء أن نتبرأ من هذه العملية الكفرية الشريكية من أساسها، إذ هذا هو أول وأعظم منكر سنقابله، قبل

الدخول لتخفيف منكرات أخرى.

• **الوجه السادس:** أن الداخل للأمر بالمعروف والناهي عن المنكر دخولاً محضاً لا يَسَعُهُ إلا أن يُبَاشِرَ المنكر الأغلط، ويبادر إليه -ألا وهو الكفر والشرك- لا يُدَارِي ولا يُمَارِي، كما كان الرسل يفعلون، بينما أصحاب البرلمانات لا يملكون ذلك؛ لأن الخطوط الحمراء التي وَقَعُوا عليها تُلْزِمُهُم بعدم رفع الشعارات الدينية في وجه الأحزاب الكفرية؛ لأن الكل على قدم المساواة في دستور الأحزاب الشركي الطاغوتي، وقوانينه الوضعية الكفرية.

• **الرد على شبهة من قال: ندخل ولا نستجيب لهم ولا نُقِرُّهم:**

وربما احتج هؤلاء بحديث عائشة المتقدم في «الصحيحين» من قول النبي ﷺ لها: «اشترطي لهم الولاء فإنما الولاء لمن أعتق».

• **والجواب على هذه الشبهة المتهالكة من وجوه:**

• **الوجه الأول:** أن المسألة المَقِيس عليها في هذا الخبر، ليست مسألة كفرية، كما هو الحال في البرلمانات؛ إذ لا يجوز لأحد أن يتكلم بالكفر اختياراً، فدعوى الأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب هنا، غير مُتَأَتِيَةِ أَلْبَتَّة؛ لأنه يلزم من هذا أنهم لو اشترطوا قولاً أو عملاً كفرياً؛ لَوَسَّعَ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن تقوله أو تعمل به اختياراً، وهذا من أقبح

وأفسد ما يكون؛ فتأمل.

• الوجه الثاني: أن النبي ﷺ هو السلطان في هذه الحالة، والأمر بيده وإليه، ولا يُخشى من ضياع الحق أو التلبس فيه، بخلاف هؤلاء الذين يدخلون محكوم عليهم لا حاكمين، مكبلين بسلاسل وأغلال قوانين الأحزاب، مقضي عليهم لا قاضين، فأين هذا من ذاك؟!.

• الوجه الثالث: أن النبي ﷺ بادر مباشرة بالإنكار العلني، والمُبرم، بأوضح بيان وأشد عبارة، وهذا ما لا يملكه البرلمان إذا دخل في خطة الكافرين، فهناك إنما يكون الإنكار - إن مكّن منه - على استحياء وترقّب وتوجّس، وأي تجاوز للحدود الدستورية والقوانين الحزبية، فإن الرادع له بالمرصاد، فأى تلبس وتضييع للمبادئ كهذا؟!!.

ولا تقل سأنكر في الخطب والمحاضرات، لأننا سنقول لك إن كنت فردًا من أفراد الحزب؛ فإن قانون الحزب يحكمك، فما هو إلا صورة الإنكار الباهتة المتقدم ذكرها، هذا إن سُمح له بذلك، وإن كنت لست فردًا فيها فما أغنيت عن الأمة شيئًا، فصوتك لا يمثل الحزب أصلًا، وورقتك التي وقّع عليها أتباعك وسرت بها الركبان، قد ألبيت على الناس دينهم.

في حين أنك لا تملك إصدار أي ورقة مماثلة باسم الحزب،

تتبرأ فيها من هذه العملية الكفرية، ولا أن تشهد فيها بالكفر على الأحزاب العلمانية الأخرى، ولا أن تشهد ببطلان الدستور وقوانين الأحزاب وقانون البلاد، فانظر ما ذا جنيت على الأمة؟!، وما جنيت لها؟!!.

• الوجه الرابع: أن النبي ﷺ قال لها ذلك؛ إهداراً لهذا الشرط، وإبطاً له، وإسقاطاً لقيمته واعتباره، فأين هذا، ممن يذهب ويوقع على هذه الشروط الكفرية؟!!، ويلتزم أجندة الدستور الجاهلي والقوانين الكفرية؟!!.

• الوجه الخامس: أن هؤلاء، أو بعضهم يتصوّرون، أن اللعبة الشيطانية المسماة بالانتخابات الديمقراطية، يظنونها لعبة اشتروها، حتى إذا فرغوا منها ألقوها.

هيهات هيهات!!، إن الذي أذن لك بالدخول، يعلم أنك على خلاف معه في الأصول، ولهذا خزَمَكَ وألجَمَكَ، بهذه الشروط الكفرية؛ ليضمن عدم تنصُّلك عنها، أو تلاعُبِكَ بها، وهو راصِدٌ لِقَوْلِكَ وَعَمَلِكَ، وَسُخَّاسِبُ على أدنى تقصير في ذلك، فالشَّعب وقانون الأحزاب من الداخل، والمجتمع الدولي من الخارج، وأنت بينهما لا تملك إلا الانصياع والانقياد، لما وَقَّعْتَ عليه بنفسك، والتزَّمتَ به.

فهذه الشروط في حالة تمكن الطاغوت تقع مُلْزِمة، بخلاف حال تمكن دولة الإسلام فإنها تقع فاسدة مُلْغَاة، فلا تخلطوا الأمور وتلفقوا الأدلة.

● الوجه السادس: أن ما ستقوله عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لهم سيقع باطلاً لا قيمة له، بينما الذي سَتَوْقَعُونَ عليه؛ سَيَقَعُ مُلْزِماً لا مَحِيدَ عنه ولا مَنَاصَ، كما تقدم، وإلا فَالطَّرْدُ وَالْإِبْعَادُ وَالْإِقْصَاءُ.

بل أقوالكم التي تعتقدون أنها هي الحق، ولكنها تكون مخالفة لما وَقَّعْتُمْ عليه، هي التي ستذهب سراياً وهباءً منشوراً، فالدستور الجاهلي، والقانون الكفري فَوْقَكُمْ، وإليه مَرَدُّكُمْ عند التنازع في أي أمر، مِنْ مُتَعَلِّقَاتِ الحزب والعملية الانتخابية.

● أما ما يتعلق بقصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، ودعوى أنه تولى الولاية للملك الكافر، فهذه دعوى باطلة، مخالفة لنصوص الكتاب والسنة، ومخالفة لما كان عليه السلف الصالح، فقد بين الإمام المفسر المحدث مجاهد بن جبر، وهو أحد أبرز تلاميذ الحبر البحر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الملك أسلم مع يوسف لله رب العالمين.

● وإليك تفنيدها من وجوه:

أ- أن من أخص خصائص الإسلام، الذي هو دين الله في أرضه،

اجتناب الطاغوت، والبراءة منه، والتخلي عنه، والسعي في إزالته، وفضحه، وكشف عواره، وإبداء العداوة له، واعتزاله تمامًا، كما قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٥٦) **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴿٢٥٧﴾ [البقرة: ٢٥٦، ٢٥٧].

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٦٠) **النساء: ٦٠**.

وقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَتَلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (٧٦) **النساء: ٧٦**.

وقوله: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِثْمُ الْفَرْدَةِ وَالْخَازِيرِ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٦٠) **المائدة: ٦٠**.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ

الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

فاجتنب الطاغوت هو دين الأنبياء قاطبة، فإن دينهم واحد، فلا خلاف بينهم في التوحيد، وإنما اختلفوا في الشرائع، كما في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ».

ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ [النحل: ٣٦].

وقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لَقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ ﴿[الممتحنة: ٤]﴾.

ب- أن يوسف عليه السلام قرر لصاحبيه في السجن أنه ترك ملة القوم الكافرين، واتبع ملة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أي أنه اتبع ملة إبراهيم عليه السلام، فما هي ملة إبراهيم؟، إنها قامت على اجتناب واعتزال الطاغوت جملة وتفصيلاً، وإليك البيان: قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لَقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا

حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤٦﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٧﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْمُعِينُ ﴿٤٨﴾ [الممتحنة: ٤-٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا أَعْتَزَلْتُمُوهَا وَمَا يَعْبدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: ٤٨-٥٠].

قوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ [الصفافات: ٩٩].

ت- أن يوسف عليه السلام طلب من ربه تبارك وتعالى أن يخلصه من كيد النسوة؛ حتى لا يصبوا إليهن؛ فيكون من الجاهلين، فكيف يقال بأنه رضي أن يداخل الطاغوت، ويتنسب إليه؟!.

ث- أن يوسف عليه السلام لم يحترم دين الكفر والكافرين، ولم يُقسَم على تطبيق الدساتير الجاهلية، والدفاع عنها، والمحافظة عليها، والسعي الحثيث العبادي في إقامتها، والترويج لها، وإقناع الناس بها، ولم يدخل تحت لوائها، ولم يعمل بأجندتها، ولم يحلف اليمين الدستورية، على الإخلاص والتطبيق العملي والاجتهاد والتفاني في

ذلك، والدفاع عن الطاغوت، وإقامة برلماناته، ووزاراته، ومؤسساته، واحترامها، فأين هؤلاء من يوسف عليه السلام؟!، كيف وقد قال تعالى في نعت نبيه الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (٢٤) [يوسف: ٢٤]، وأي سوء وفحشاء أعظم من الشرك، ومداخلة الطواغيت، ونصرتهم، وتثبيت ملكهم؟!، معاذ الله!! سبحانه هذا بهتان عظيم.

ج- أن شعار يوسف عليه السلام كان دائماً طلب الاستبراء للعرض؛ ولهذا أبى أن يخرج من السجن حتى تظهر براءته، فأيهما أعظم الاستبراء للعرض أم الدين؟!

ح- أن يوسف عليه السلام قال الله تعالى في شأنه: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (٢٤) [يوسف: ٢٤].

فأيهما أعظم دفع الزنا أم تولي المنصب للكافر، وإقامة ملكه والمحافظة على دولته من الانهيار؟!!.

خ- أن طريقة يوسف عليه السلام في التعامل مع الطاغوت، كانت واضحة المعالم، باجتنابه ومفارقتها، لا الركون إليه ومناصرتة، والسعي في إقامة ملكه، وتثبيت عرشه، كما قال تعالى: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ

بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ [يوسف: ٣٧، ٣٨].

كما أن هذه الآية دالة على أنه لا خيار لأحد سوى التوحيد:
﴿مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾.

د- أن من لوازم الكفر بالطاغوت - الذي هو صميم التوحيد
والعروة الوثقى - اعتزال الطاغوت، والكفر به، ومفارقته ومفاصلته،
كما هو صريح القرآن والسنة، كما قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ
تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فلا يحل لعبد يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يسعى في
إعانة الطاغوت، أو ترسيخ ملكه؛ إذ هذا مناف تاماً لما أُمِرنا به من
الكفر بالطاغوت، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ
ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى
الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا
بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠].

وهذا ما قصه الله تبارك وتعالى علينا، عن جميع الأنبياء
والمرسلين، الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى، ومن سكت عنهم هم

إخوة لهم في ذلك كله، واقرأ قصصهم في القرآن؛ لترى صور المفاصلة والمناظرة والاعتزال في أبهى حُلُلها وأصرخ وأقوى أحوالها.

ذ- أنه ليس في الكفر والطاغوت رقيق، بل كله غليظ، ونحن مأمورون باجتنابه كله، فلا يحل لنا بحال أبدًا أن نخدم طاغوتًا؛ لكونه أقل طاغوتية من غيره، بل الواجب اعتزاله، ومفاصلته، وبغضه، ومحاربتة جملة وتفصيلاً، فلا ندعمه، ولا نعطيه أصواتنا، ولا نحث الناس عليه، ولا نكثر سواده، ولا نرغب الناس فيه، فضلاً عن مدحه والترويج له، وكنتم الحق تلبيساً ونصرة له.

• فالويل لمن صعد الطاغوت على أكتافه؛ ليمضي في طغيانه، مُسَلِّطاً على رقاب العباد والبلاد تلك التشريعات الجاهلية.

ر- أن مهمة الرسل بيان حق الله تعالى، والمتعين على الناس طاعتهم في ذلك، فمن تحذلق وأراد أن يتخذ بين ذلك سبيلاً؛ فالواجب اعتزاله، والإنكار عليه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۖ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ۚ﴾ (١٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (١٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ

أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٥﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٦﴾ [النساء: ٦٥-٦٦].

وإلا فإنهم هم الكافرون حقًا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢].

ز- أنه يحصل باعتزال الطاغوت تمايز الصفوف، والتزليل الذي يحبه الله ويريده ويرضاه؛ ليتحقق قول الله تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال: ٤٢]؛ فيظهر في المجتمع من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا، ممن هو بخلاف ذلك وضده، أما التخليط والتلبس فلا يزيد الأمر إلا شدة.

س- أنه لا يقول قائل: لِمَ لَمْ يذكر الله تبارك وتعالى ذلك صراحة عن يوسف ﷺ، أنه كلم الملك بالتوحيد ابتداءً؛ لأن ذلك

قد تضمنته السورة، عندما ذكر يوسف عليه السلام سبب تركه لقومه، في قصته مع صاحبيه في السجن، فمن المقطوع به أن مسألة امرأة العزيز كانت قد تبيّنت وانكشفت، ولكن يوسف عليه السلام بقي على التوحيد، يدعو إليه وينافح عنه، ويعتزلهم في ذلك، حتى رأوا الآيات فبدا لهم أن يسجنوه إلى حين.

ثم إننا نعلم يقيناً أن لوطاً عليه السلام لم يذكر الله تعالى عنه أنه قال لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾؛ فهل نقول بأنه عليه السلام لم يدع إلى التوحيد، بل دعا إلى ترك جريمة اللواط فحسب، وأنه بهذا بُعث وأرسل؟! معاذ الله!!، فإن الله تعالى قال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ [النحل: ٣٦].

• فهذا العموم شامل لجميع الأنبياء والمرسلين كما تقدم.

ش- أن يوسف عليه السلام خاطب صاحبيه في السجن بقضية التشريع، وبيّن لهما أن الحكم لا يكون إلا لله، وأن مخالفة ذلك هو من الإشرak بالله تعالى، كما قال تعالى: ﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ عَزَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ

الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَتَنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠].

فأيهما أولى بهذا الخطاب؟، هذان الرجلان، اللذان لا حول
لهما ولا قوة، أم ذلك الملك الذي بيده الحل والعقد؟!

• فكيف يتوهم عبدٌ، يعرف صفات الرسل، وحقيقة دعوتهم ،
أن يوسف عليه السلام يتعاطى مثل هذه المفارقة الجائرة الباطلة؟! معاذ الله.

ص - أن يوسف عليه السلام، لم يفرق في خطابه لصاحبيه بين أنواع
التوحيد، بل خاطبهم به كله؛ لأن التوحيد لا يقبل التجزئة والتبعض،
فالإله الذي يركع له ويسجد، هو الذي يَخْلُقُ وَيُقَدِّرُ، وهو الذي يأمر
وَيُسِّرُ ويحكم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ
رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ
﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ
رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٤-٥٦].

ض - أن المتأمل في سياق خطاب يوسف عليه السلام مع صاحبيه في
السجن يجد أنه عنى أصالة شرك التشريع؛ لأن الظاهر من السياق، أنه
الأزمة الحقيقية والورطة الكبرى، التي وقع فيها القوم، الذين تركهم

يوسف عليه السلام، أنهم نصبوا أنفسهم مشرعين للعباد، يحكمون فيهم بحكم الجاهلية.

ط- أن يوسف عليه السلام، بين أنه ترك ملة قوم لا يؤمنون بالله تعالى، واتبع ملة آبائه، والتي هي الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، فكيف يعاودهم، ويركن إليهم، بل وفي بلاط ملكهم، وهم ما زالوا مقيمين على الطاغوت، يحكمونه ويتبعون تشريعاته؟! بل وتولى لهم أبرز ولاية، ألا وهي منصب عزيز مصر؟!، سبحانه هذا بهتان عظيم!!.

ظ- أن يوسف عليه السلام، لما خاطب صاحبيه، كان قد نبئ، بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزْقَانِهِ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف: ٣٧]. فهو إذن يقرر في خطابه لهما، ما أمره ربه تبارك وتعالى به، من اعتزال الطاغوت، واجتنابه، فكيف إذا خرج من السجن عاد ليدخل الطاغوت ويركن إليه؟! وهل الأنبياء والرسل يقولون ما لا يفعلون؟!، معاذ الله، معاذ الله، سبحانه هذا بهتان عظيم.

ع- أن رؤيا الملك، دالة على أن ملكه كان مهددًا، بمجاعة عظيمة طويلة الأمد، مؤذنة بدماره، فكيف نتصور أن يوسف عليه السلام يدخل معه في ملكه؛ ليثبت له، ويُمكن له، مع كونه طاغوتًا مجرمًا؟!،

لا شك أن هذا من الافتراء العظيم على يوسف عليه السلام.

غ- أن يوسف عليه السلام، لما سنحت له الفرصة في السجن؛ ليخاطب صاحبيه فيه، ورأى ضرورتهم وحاجتهم إليه، بادر ببيان التوحيد وحق رب العبيد، فكيف بالملك الذي بلغ من الضرورة ليوسف عليه السلام والحاجة إليه أبعد من ذلك بكثير، فبم سيخاطبه؟، أعن الأموال والملك، والطعام والشراب، أم بحق الله جل جلاله؟!..

ف- أن في تقديم يوسف عليه السلام الحديث عن التوحيد على تأويل الرؤيا لصاحبيه في السجن بيانًا شافيًا كافيًا أنه لا شيء أهم من التوحيد، ولا أمر أعلى منه، ليقدم عليه.

ق- أن القرآن والسنة دلّا على أن كل نبي كان لا يبدأ بشيء قبل حق الله تعالى، وهذا ما فعله يوسف عليه السلام قطعًا مع الملك، وقد جاء هذا في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهَءِ اسْتَحْلَصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤]، فإنه لا يتردد أحد ممن استبصر وعرف دعوة الأنبياء والمرسلين أن يوسف عليه السلام إنما كلمه قبل كل شيء عن التوحيد، الذي هو حق الله تعالى على عباده.

ك- أنه كيف يتصور عبد أن يوسف عليه السلام سعى لإقامة دنيا الناس بتولي بيت المال، ولم يكلمهم عن حق الله تعالى، ولم يسع في ذلك، أو أنه بصرهم فلما أبوا عليه رضي بالمُضي في إقامة دنياهم، مع

قيام طاغوتهم، وأنه لم يفصلهم لأجل حق الله تبارك وتعالى!!، وهل بعث الرسل بذلك أو لأجل ذلك؟!.

ل- أن الرسل كانوا يخاطبون أقوامهم بالتوحيد، حكامًا ومحكومين، فإن قبلوا وإلا اعتزلوهم، وقصص الأنبياء واضحة في ذلك، فكيف نتصور أن يوسف عليه السلام، كلم الملك بالتوحيد، وأن الملك أبى وامتنع، وأصر على البقاء والثبات على كفره، ومع ذلك كله داخله يوسف عليه السلام، بل وتولى له المنصب الأهم، الذي به بقاء ملكه واستقراره، لاسيما مع الأزمة الكبرى القادمة عليه، والتي ستضرب اقتصاده في العمق، وتهز أركان ملكه؟. هذا محال وباطل، بل ما داخله حتى أذعن الملك وانقاد لله رب العالمين، كما فعل إخوته من الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

م- أن الأنبياء ما كانوا يقبلون أنصاف الحلول في حق الله تعالى، واعتبر بقصة سليمان عليه السلام مع بلقيس، التي أرادت المصانعة، بإرسال الهدية، كما قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَأْئِيهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكُ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مَسْلُومِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَأْئِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ

أَهْلَهَا أَذَلَّةٌ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمِ
رْجِعِ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أْتِمِدُونَنِي بِمَالٍ فَمَاءَ اتْنِئَ اللَّهُ خَيْرٌ
مِّمَّا ءَاتَنَكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّدَهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ
لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَهُمْ مِّنْهَا أَذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَتَأَيَّهَا أَلْمَلُوا أَتُكْمُ يَأْتِينِي
بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ [النمل: ٣٨-٣٩].

ن- أن القول بأن الملك بقي على كفره، هو قول لا دليل عليه
مطلقاً، وليس هو قولاً لأحد من الصحابة، ولا التابعين، بل المنقول عن
السلف الصالح، أن الملك أسلم مع يوسف عليه السلام لله رب العالمين، وأن
الله تعالى مَكَّنَ ليوسف عليه السلام بذلك، أمراً ونهياً، بشريعة الله رب العالمين،
وهذا هو التفسير الذي يتوافق مع ما قدمناه، من دعوة الأنبياء والمرسلين.

فقد جاء في «تفسير الطبري» حدثني المثنى قال: حدثنا عمرو
قال، أخبرنا هشيم، عن أبي إسحاق الكوفي، عن مجاهد قال: «أسلم
الملك الذي كان معه يوسف»، وفيه أيضاً قال حدثنا محمد بن عمرو
قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد
قال: «اشترى الملك والملك مسلم». قلت: وهذا إسناد جيد إلى
مجاهد. وحكي ذلك أيضاً عن وهب بن منبه.

ه- أن قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾
[يوسف: ٥٦] يفهم في إطار قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾

أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ
وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحج: ٤١]، ورأس الأمر بالمعروف، الأمر
بالتوحيد بأجمعه، ورأس النهي عن المنكر، النهي عن الشرك برمته،
﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ ﴿٧٨﴾ [النساء: ٧٨].

و- أن معنى قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ
لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [يوسف: ٧٦]، أن
شريعة يعقوب عليه السلام كانت مغايرة لشريعة يوسف عليه السلام في ذلك،
وشريعة يوسف عليه السلام هي شريعة الملك بعد إسلامه، وهي نفسها،
التي أمر الله تعالى بها يوسف عليه السلام؛ فعمل بها الملك، وإنما نُسبت إليه
لأنه هو الملك، كما هو الحال في كل مملكة، ففي شريعة يعقوب
عليه السلام، أن السارق يدفع برمته إلى المسروق منه، بينما في شريعة الملك
غير ذلك؛ ولهذا سألهم يوسف عليه السلام عن شريعتهم؛ ليتمكن من أخذ
أخيه منهم بألف السبل والأسباب، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا فَمَا
جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ
جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ [يوسف: ٧٤، ٧٥].

ي- أنه قد جاء في تفسير البغوي والقرطبي وغيرهم عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال: لما انصرمت السنة من اليوم الذي سأل الإمارة دعاه
الملك فتوجه وقلده بسيفه ووضع له سريرًا من ذهب مكلل بالدر

والياقوت وضرب عليه حلة من إستبرق وطول السرير ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرة أذرع عليه ثلاثون فراشاً، وستون مقرمة ثم أمره أن يخرج فخرج متوجاً ولونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه في صفاء لون وجهه فانطلق حتى جلس على السرير ودانت له الملوك ودخل الملك بيته وفوض إليه أمر مصر وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن إسحاق: وقال ابن زيد: وكان لملك مصر خزائن كثيرة فسلم سلطانه كله إليه وجعل أمره وقضائه نافذاً.

أأ- أنه لا يحق لأحد كائناً من كان أن يُعذّر عن الطاعات، ولا أن يدعو إلى مناصرته، والتصويت له ودعمه، بدعوى أنه أفضل من غيره، أو أنه أفضل السيئين، وأن الغالب على حكمه الشرع، وفرص الدعوة متاحة، ولم يمنع أحداً من بناء المساجد، وإقام الصلاة، وممارسة سائر الشعائر التعبدية، بل الأمر المتعين الواجب هو القيام بمناصحته أن يقلع عن هذا الشرك الأكبر، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةَ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأعراف: ١٦٤] فإنما الدين النصيحة^(١)، وعلى ذلك كان النبي ﷺ يبايع

(١) كما في «صحيح مسلم» عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ».

أصحابه^(١)، فإن امتنع تعين العمل على إزالته، إن كانت ثمة شوكة من قدرة وإمكانات، مع التضرع إلى المولى تبارك وتعالى باستبداله بحاكم مسلم يحكم بشرع الله تعالى؛ فإن تعذرت إزالته وجب اعتزاله، كما في «الصحيحين» من طريق بُسْرِ بْنِ عُبَيْدٍ اللَّهُ الْحَضْرَمِيُّ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَقُولُ كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخْنٌ». قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَسْتَنْتُونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ». فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مِنْ أَجَابِهِمْ إِلَيْهَا قَدْ فُتُّوا فِيهَا». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ: «نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ». فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ

= قُلْنَا لِمَنْ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلَا ئِمَّةَ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».

(١) كما في «الصحيحين» عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالتَّضَحِّيِّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».

أَنْ تَعْصَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ^(١)».

فنحن إنما أمرنا في الطاغوت أن نكفر به كله، لا أن نختار منه، فإنه لا خيار في ذلك بين كفر وكفرين وثلاثة، بل الخيار الوحيد الكفر به جملة وتفصيلا، والاعتزال التام له، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿٦٥﴾ [النساء: ٦٥].

(١) فائدة: قال الدارقطني في كتابه: «الإلزامات والتبعية» (ص ١٨١-١٨٢): «وأخرج مسلم حديث معاوية بن سلام عن زيد عن أبي سلام قال: قال حذيفة: «كنا بشر فجاءنا الله بخير». وهذا عندي مرسل، أبو سلام لم يسمع من حذيفة ولا من نظرائه الذين نزلوا العراق لأن حذيفة توفي بعد قتل عثمان رضي الله عنه بليال، وقد قال فيه حذيفة فهذا يدل على إرساله». اهـ.

قلت: وعليه فهذه الطريق معلولة لا تصح عن رسول الله ﷺ، ولعلها مروية بالمعنى، أو على الوهم، وظاهر صنيع مسلم في مكان تخريجها من كتابه إعلالها على ما ذكر في المقدمة أنه ربما أورد بعض الطرق للأخبار لبيان علتها، وعليه فزيادة: «تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع» هي زيادة معلولة لأنها جاءت في هذه الطريق المعلولة والخبر محفوظ في الصحيحين بدونها، والله أعلم.

فإن التوحيد لا يقبل الترقيع وأنصاف الحلول. وإن مداخلة الطاغوت في مثل هذه الأحوال، التي يتظاهر فيها الطاغوت بلباس الدين؛ يحدث تلبيسا ولبسا عظيما في الدين. وهو من العمل على سربلة الطاغوت بسر بال الإيمان، وهذا من أخبث الأمور، وهو من العمل على الجمع بين المتناقضين.

فإن التوحيد لا يقبل التبعض ولا المقابلة، فمهما عمل العبد بشرائع الإسلام، وهو مرتكب للكفر أو الشرك أو النفاق الأكبر لم ينفعه عمله طرفة عين مهما كثر، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ يَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ ﴿٢٢﴾ وَقَدْ مَنَّآ إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ [الفرقان: ٢٢، ٢٣].

وفي حديث أبي هريرة في «الصحيحين» قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا أُتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ» زاد مسلم: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ».

فإنما أمرنا في الطاغوت أن ننازله، وأن نجتنبه؛ أي: نتركه ونبتعد عنه، كما بين ذلك ابن جرير وغيره، وأن نسعى في محاربتة، حتى يفتى إلى أمر الله، كما في حديث عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «الصحيحين»، وحديث عوف ابن مالك في «صحيح مسلم»، بل جاء التحذير الواضح البين من النبي ﷺ في شأن من تابع الطاغوت وداخله، كما في حديث أم

سلمة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برئ ومن أنكّر سلم ولكن من رضي وتابع» قالوا أفلا نقاتلهم؟ قال: «لا ما صلوا». أخرجه مسلم.

● وكذلك شبهة النجاشي وأنه كان يحكم بالطاغوت، هي دعوى عريضة لا دليل عليها ولا سلف لقائلها، وإن كان من الأئمة المجتهدين، بل قد أثبت إمام السيرة ابن إسحاق أن النجاشي وجنده وعلماء مملكته كلهم أسلموا لله رب العالمين، مع الرسول ﷺ واتفقوا لشرعه، وللتوسع في معرفة بطلان هذا الاستدلال إليك ما يلي:

إن الاحتجاج بحادثة الرجل الصالح أصحمة النجاشي رحمه الله تعالى، على إمكانية بقاء العبد على الإسلام، مع حكمه بالطاغوت، احتجاج فاسد من وجوه:

أ- أن هذا كان قبل اكتمال الشرائع التي كانت تنزل على التدرج والوقائع؛ ولهذا قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وقد كان موت النجاشي قبل عام حجة الوداع؛ حيث إن الصحيح أنه توفي سنة سبع، بينما نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، عام حجة الوداع بعرفات، كما في

«الصحيحين» واللفظ لمسلم عن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرأونها لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيداً قال وأي آية؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

فقال عمر: «إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه نزلت على رسول الله ﷺ بعرفات في يوم الجمعة».

وإن من أدل شيء على ذلك ما جاء في «الصحيحين» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: كُنَّا نُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ فَيَرُدُّ عَلَيْنَا، فَلَمَّا رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ سَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْنَا، وَقَالَ: «إِنَّ فِي الصَّلَاةِ شُغْلًا».

فإذا قد خفي عليهم هذا من شأن الصلاة التي هي عموم الدين وأحد أعظم شعائره، فلأن يخفى عليهم ما عدها من باب أولى، ومن الواضح أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يفعلون هذا الأمر الذي نهى عنه وهم بالحبشة، فلم يكونوا محل لوم ولا تثريب لأنهم عملوا بما علموا وبلغهم، وهكذا القول في إسلام النجاشي فقد كان مستسلماً متقادماً لما بلغه وبلغه من شرع الله تبارك وتعالى، وما لا فلا تثريب عليه فيه؛ إذ التكليف تابع للعلم والبلاغ.

ب- أن النبي ﷺ سماه رجلاً صالحاً، ووصفه بأنه أخ لنا، ونعاه إلى أصحابه، وصلى عليه، ومعاذ الله أن يصفه النبي ﷺ بذلك، وهو يحكم بالطاغوت^(١)، ففي «الصحيحين» واللفظ للبخاري من طريق عطاء أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول: قال النبي ﷺ: «قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش فهلهم فصلوا عليه». وفي لفظ مسلم: «مات اليوم عبد الله صالح أصحمة فقام فأمننا وصلى عليه». وفي «الصحيحين» واللفظ للبخاري عن أبي هريرة قال: نعى لنا رسول الله ﷺ النجاشي صاحب الحبشة اليوم الذي مات فيه فقال: «استغفروا لأخيكم». وفي «الصحيحين» واللفظ للبخاري عن جابر رضي الله عنه: قال

(١) وأما ما روي أن النبي ﷺ سمى كسرى ملكاً عادلاً فهذا كذب وافتراء. وإليك بيان ذلك: وجاء في «الدرر المنتشرة» (١/٢٠-٢١): «(حديث): «ولدت في زمان الملك العادل» كذب باطل، قلت: قال البيهقي في «شعب الإيمان»: تكلم شيخنا أبو عبد الله الحافظ في بطلان ما يرويه بعض الجهال عن نبينا ﷺ: «ولدت في زمان الملك العادل» يعني: أنوشروان ثم رأى بعض الصالحين رسول الله ﷺ في المنام فحكى له ما قاله أبو عبد الله فصدقه في تكذيب هذا الحديث وإبطاله وقال ما قلته قط انتهى» اهـ.

** وجاء في «تذكرة الموضوعات» (١/٣٩): «ولدت في زمن الملك العادل» لا أصل له ولا يجوز أن يسمى من يحكم بغير حكم الله عادلاً، وما يحكى عن ابن قدامة مرفوعاً: «ولدت في زمن الملك كسرى» لا يصح لانقطاع سنده في الإكمال شرح مسلم» اهـ.

النبي ﷺ حين مات النجاشي: «مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أوصمة». وفي لفظ لمسلم: «إن أخاكم قد مات فقوموا فصلوا عليه قال فقمنا فصفنا صفين».

ولا تنطبق هذه الأوصاف، على من نحى شرع الله تعالى، كُلا أو بعضاً، وحكم بالطاغوت في الناس، وحكَّمه على رقاب العباد والبلاد، بل هو أبغض الناس إلى الله تعالى، كما في «صحيح البخاري» عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومُطَلَّب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه».

ت- أن النبي ﷺ كان يرسل الملوك والكبراء في زمانه بالإسلام ليدخلوا فيه كافة، ويعملوا به، لا ليكون رسماً لا حقيقة له، ولا يكون ذلك إلا بتطبيق أوامره ﷺ، وهو العمل بشريعته ﷺ، ومراسلاته ﷺ متواترة بهذا المعنى، كما في «الصحيحين» وغيرهما، وأذكر من ذلك ما في «صحيح مسلم» عن أنس: «أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى».

وكان من قبل الإسلام منهم يبايعونه على الطاعة في المنشط والمكره، كما في «الصحيحين» واللفظ للبخاري عن عبادة بن الصامت قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط

والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم».

وفي «الصحيحين» عن ابن عباس في قصة الكتاب الذي بعثه النبي ﷺ مع دحية الكلبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى هرقل وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، وَكَانَ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَكَلَّمُونَ عَلَىٰ كُلِّ مِلَّةٍ بِكَلِمَتِهِمْ سَوَاءً بِئِذَا مَا نَادَىٰ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤]».

فكان يدعوهم إلى التوحيد، قولاً وعملاً، فهم مخاطبون أصالة، بنذ جميع أنواع الشرك، ومنها شرك التشريع - الذي هو من أخص خصائص أعمال الجبابة، الذين نصبوا أنفسهم مشرعين لأتباعهم، من دون الله تعالى، أو مع الله تعالى - فمن أبى منهم؛ جرى عليه أمر الله تعالى، كما في «صحيح البخاري» من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره: «أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه رجلاً وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى فلما قرأه مزقه فحسبت أن ابن المسيب قال فدعا

عليهم رسول الله ﷺ أَنْ يُمَرَّقُوا كُلَّ مَمْرَقٍ».

ث - أن الله تعالى ما بعث الرسل إلا لتطاع؛ وليدخل الناس في السلم كافة، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَكًا بَعِيدًا ۖ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِّقِينَ يُصَدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۖ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ۚ﴾ (١١) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ۖ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۖ﴾ (١٢) فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۖ﴾ (النساء: ٦٠-٦٥).

وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ۖ﴾ (١٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ۖ﴾ (١٦) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا

يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ
 مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا
 يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَتَأْتُمْ هَتُوءًا جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾
 [النساء: ١٠٥-١٠٩].

وقوله: ﴿الرَّ كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ
 الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ
 الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْدٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ
 عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ
 وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ
 ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ
 اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ
 أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
 النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ
 شَكُورٍ ﴿٥﴾ [إبراهيم: ١-٥].

وقوله: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَانِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً
 وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكَ لِيَأْخُذُوا بِأَحْسَنَهَا سَاءَ مَا يَكُونُ
 دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَاءَ صِرْفٌ عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ

الْحَقَّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ [الأعراف: ١٤٥ - ١٤٧]، ومثل هذا كثير كثير في الكتاب والسنة.

ج - أنه لا فلاح ولا رشد، ولا استتباب للملك، ولا شيوخ للأمن، ولا حصول للخيرات، ولا حلول للبركات، إلا بإقامة التوحيد، وإتباع شريعة النبي ﷺ، ونصوص الكتاب والسنة في ذلك متظافرة متكاثرة، أشهر من أن تُذكر، وأظهر من أن تنكر، حتى إن هرقل عظيم الروم قاله لقومه، وقرره لهم، وهو يدعوهم إلى إجابة النبي ﷺ، كما في «صحيح البخاري»: «يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟! فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردوهم علي! وقال: إني قلت مقاتلي أنفأ أختبر بها شدتكم على دينكم؛ فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه فكان ذلك آخر شأن هرقل».

فظهر أن من الأمور المستقرة في الشريعة، الدخول في حكم الله ورسوله ﷺ؛ فتأمل كيف أن هذا الكافر الأصلي عَقَلَ هذه الحقيقة،

ولمّا يعقلها كثير ممن انتسب لدين محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وهذا يؤكد مدى غربة ملة إبراهيم بين بعض المسلمين، وما أكثرهم اليوم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ح- أن الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، فكيف نتصور أن النجاشي أسلم مع بقاءه على مخالفة شرع النبي ﷺ؟! لاشك أن هذا من أبطل الباطل وأمحل المحال؛ إذ كيف يتصور إسلامٌ بدون كفر بالطاغوت واجتناب له؟!، وأي عروة وثقى تلك التي حققها هذا العبد؟!، ومن ذا الذي يزعم وجود إيمان أصلاً مع عدم الكفر بالطاغوت؟!، بل مع البقاء عاملاً بالطاغوت؟!، ولهذا ما كان النبي ﷺ يقبل إسلاماً من أحد، لا من الرجال ولا من النساء، حتى يبايعه البيعة التي سميت بـ «المحنة»، وسميت بـ «بيعة النساء»، وهي البيعة المذكورة في كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢].

وفي «الصحيحين» واللفظ للبخاري من طريق أبي إدريس الخولاني أنه سمع عبادة بن الصامت يقول: قال لنا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس: «تبايعوني على لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه». فبايعناه على ذلك.

وهذا هو القدر المتعين المطلوب من كل من أراد أن يدخل في الإسلام، أن تكون لديه الطوعية العامة التامة لأوامر الله تبارك وتعالى، وأنه ﷺ له الخلق والأمر ﷺ، ثم بعد ذلك قد تخفى عليه بعض مسائل الشرع، إما لعدم علمه بها، مع اجتهاده في العلم والسؤال عن دينه، وإما لأنها لم تصله بعد؛ لبُعد المسافة عن المدينة مثلاً، كحال النجاشي، وبعض الأعراب، الذين كانوا يبايعون النبي ﷺ، ثم ينصرفون إلى أهلهم في مختلف القرى والأمصار، ثم هو مستعد تمام الاستعداد لتلقي أوامر النبي ﷺ بالقبول والإذعان والانقياد، وهكذا كلما أتاه شيء من أمر الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ تعامل معه بذلك. فالحاكم إما أن يكون عالمًا بحكم الله تعالى، فهذا لا يسعه أن يحكم بغيره، لا عَرَضًا، ولا تشريعًا عامًا، فإن جعله تشريعًا عامًا؛ كان

كافراً مُرتدّاً، وإما أن يكون مجتهداً أهلاً لذلك، ولكنه لا يدري أَيْصِيبُ حكم الله فيهم أم لا، فهذا يُنزِلُهُمْ عَلَى حُكْمِهِ، بما يغلب على ظنه أنه الحق والعدل، كما في قول النبي ﷺ لبريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تُنزِلَهُمْ عَلَى حكم الله؛ فلا تُنزِلَهُمْ عَلَى حكم الله، ولكن أنزلهم عَلَى حُكْمِكَ؛ فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا». أخرجه مسلم. وهو دائر بين الأجر والأجرين، كما في «الصحيحين».

• أما أن ينزل الناس عَلَى تشريعاته، مع علمه بشرع الله تعالى؛ فهذا هو الكفر والشرك البواح.

قال ابن حزم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «واتفقوا أنه مُدَّ مات النبي ﷺ؛ فقد انقطع الوحي، وكَمُلَ الدِّينُ واستقر، وأنه لا يحل لأحد أن يزيد شيئاً من رأيه بغير استدلال منه، ولا أن ينقص منه شيئاً، ولا أن يبدل شيئاً مكان شيء، ولا أن يُحْدِثَ شَرِيعَةً، وأن من فعل ذلك كافر». اهـ. «مراتب الإجماع» لابن حزم (ص: ١٣٠).

وقال أيضاً: «وأما من أجاز أن يكون صاحبٌ فَمَنْ دُونَهُ، ينسخ أمراً أَمَرَ بِهِ رسول الله ﷺ، أو يُحْدِثَ شَرِيعَةً، فهذا كافر مشرك حلال الدم والمال، بمنزلة اليهود والنصارى، وعليه لعنة الله، ولعنة اللاعنين، والملائكة، والناس أجمعين، ونحن برآء منه، وهو بريء منا». اهـ.

«الأحكام» لابن حزم: (٥/ ٧٠٥).

وأما تصور وجود مسلم يحكم بالطاغوت، فهذا قول من لم يعقل ولم يفهم دين الله تبارك وتعالى، ولم يشم رائحة العلم والإيمان الذي بعثت به الرسل، ولم يفقه طرفة عين ملة إبراهيم الخليل الحنيف عليه السلام.

فلتلق الله تعالى، ولا نجعل من ضغط الواقع سبباً لترقيق مسائل التوحيد، وحق رب العبيد ﷻ، ولا نجعل ما وقع من الخلاف بين المتأخرين؛ سبباً لهدم عقيدة السلف الصالحين، في هذه المسألة أو تلك، أو التنكُّر للحق الذي كان عليه سلفنا الصالح؛ فإن هذا من التحايل على الحق؛ لتبرير وتمرير واقعنا المر الذي نعيشه.

ولنعلم جميعاً أن المقام خطير، وأن المسألة كبيرة، فإنها متعلقة بحق الله تبارك وتعالى، والويل كل الويل لمن تلاعب في ذلك، أو هَوَّنَ منه؛ فإن الحساب دقيق، والعرض على رب الأرض والسموات؛ فلننتبه لذلك.

ولنعلم أنه لن يغني عنا شيئاً، أن نجتهد في إثبات اختلاف الخلف، مع علمنا باتفاق السلف، كما أنه لن يغني عنا شيئاً، أن نحول المسألة إلى جدل أصولي في قضية هدم الإجماع المتقدم بالإجماع الحادث؛ لأن هذه المسألة من العقيدة التي لا يتصور فيها ذلك أصلاً؛

ولأنه أصلاً لم يجمع الخلف على ذلك، بل كما سترى في المنقولات، أن أكثر الخلف أيضاً على ضرورة اعتزال واجتناب الطاغوت، كما سيأتي؛ فتأمل!.

وأعود لأذكر أن الغيرة على مُقَدَّرات العباد الدنيوية، متوهمين دفع ما يسمى بالفتنة، مع عدم تحقيق الكفر بالطاغوت، بتركه واجتنابه والبراءة منه ومن أهله، أن هذه غيرة فاسدة لا تمتُّ إلى ملة إبراهيم بصلة.

فلنراجع حساباتنا، فيا لها من مسألة ما أجلها، وما أجدرها بإعادة النظر فيها؛ للظفر بملة الحنيف، عليه وعلى نبينا والأنبيا أفضل الصلاة وأتم التسليم، والتي لا عز ولا نصر ولا نجاة بدونها، فعليها قامت سوق الجنة والنار، وافترق الأخيار عن الأشرار، والأبرار عن الفجار، ولأجلها سُلت سيوف الجهاد في سبيل الله، وعليها وقعت الخصومة والمفاصلة بين الرسل واتباعهم على الحق وبين المشركين والكافرين عبد الطاغوت.

خ- أن أهل العلم ذكروا أن النجاشي اتبع النبي ﷺ في كل شيء، وتبعه على ذلك علماء مملكته.

قال ابن القيم في كتابه «زاد المعاد» (ص ٦٠٠/٣): «وكتب إلى النجاشي: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى

النجاشي ملك الحبشة أسلم أنت؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاته على طاعته، وأن تتبني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله عَزَّوَجَلَّ وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى».

وبعث بالكتاب مع عمرو بن أمية الضمري فقال ابن إسحاق: إن عمرًا قال له: يا أصحمة، إن عليّ القول وعليك الاستماع؛ إنك كأنتك في الرقة علينا وكأنا في الثقة بك منك؛ لأننا لم نظن بك خيرًا قط إلا نلناه ولم نخفك على شيء قط إلا أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور، وفي ذلك موقع الحز وإصابة المفصل وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى بن مريم، وقد فرق النبي ﷺ رسله إلى الناس فرجاك لما لم يرجهم له وأمنك على ما خافهم عليه بخير سالف وأجر منتظر.

فقال النجاشي: أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل، وأن العيان ليس بأشقى من الخبر ثم كتب النجاشي جواب

كتاب النبي ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته الله الذي لا إله إلا هو أما بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فرب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثفوقاً إنه كما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصداً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين. والثفوق: علاقة ما بين النواة والقشر». اهـ.

وقال ابن القيم أيضاً في «زاد المعاد» (٣/٦٥): «فصل: وكتب إلى ملك عمان كتاباً وبعثه مع عمرو بن العاص: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجُلندي سلام على من اتبع الهدى أما بعد: فإني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويعحق القول على الكافرين؛ فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما وإن أبيتما أن تقرّا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما» وكتب أبي بن كعب وختم الكتاب. قال عمرو: فخرجت حتى انتهيت إلى عمان فلما قدمتها عمدت إلى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقاً فقلت: إني رسولُ رسولِ الله ﷺ إليك وإلى أخيك».

فقال: أخي المقدم علي بالسن والملك وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك ثم قال: وما تدعو إليه؟ قلت: أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وتخلع ما عبد من دونه وتشهد أن محمدًا عبده ورسوله. قال: يا عمرو، إنك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك فإن لنا فيه قدوة؟. قلت: مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ ووددت أنه كان أسلم وصدق به، وقد كنت أنا على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام. قال: فمتى تبعته؟ قلت: قريباً فسألني أين كان إسلامك؟. قلت: عند النجاشي. وأخبرته أن النجاشي قد أسلم قال: فكيف صنع قومه بملكه؟ فقلت: أفروه واتبعوه قال: والأساقفة والرهبان تبعوه؟ قلت: نعم قال: انظر يا عمرو ما تقول إنه ليس من خصلة في رجل أفضح له من الكذب. قلت: ما كذبت وما نستحله في ديننا. ثم قال: ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي. قلت: بلى. قال: بأي شيء علمت ذلك؟ قلت: كان النجاشي يخرج له خرجاً فلما أسلم وصدق بمحمد ﷺ قال: لا والله لو سألتني درهماً واحداً ما أعطيته فبلغ هرقل قوله فقال له يناق أخوه: أئدع عبدك لا يخرج لك خرجاً ويدين ديناً محدثاً؟ قال هرقل: رجل رغب في دين فاختره لنفسه ما أصنع به والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع. قال: انظر ما تقول يا عمرو. قلت: والله صدقتك.

قال عبد: فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه؟. قلت: يأمر بطاعة الله ﷻ وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن

الظلم والعدوان وعن الزنا وعن الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب. قال: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه لو كان أخي يتابعني عليه لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنبًا. قلت: إنه إن أسلم مَلَكُهُ رسول الله ﷺ على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم. قال: إن هذا لخلق حسن؟ وما الصدقة؟ فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ من الصدقات في الأموال حتى انتهيت إلى الإبل. قال: يا عمرو: وتؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه؟. فقلت: نعم فقال: والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا.

قال: فمكثت ببابه أيامًا وهو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبري ثم إنه دعاني يومًا فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعي. فقال: دعوه فأرسلت فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس فنظرت إليه. فقال: تكلم بحاجتك فدفعت إليه الكتاب مختومًا ففص خاتمه وقرأ حتى انتهى إلى آخره ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثل قراءته إلا أني رأيت أخاه أرق منه. قال: ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت؟. فقلت: تبعوه إما راغب في الدين وإما مقهور بالسيف قال: ومن معه؟. قلت: الناس قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا في ضلال فما أعلم أحدًا بقي غيرك في هذه الحرجة وأنت إن لم تسلم اليوم وتبعه يوطئك الخيل ويبيد خضراءك فأسلم

تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال.

قال: دعني يومي هذا وارجع إلي غدا فرجعت إلى أخيه. فقال: يا عمرو! إني لأرجو أن يسلم إن لم يضمن بملكه حتى إذا كان الغد أتيت إليه فأبى أن يأذن لي فانصرفت إلى أخيه فأخبرته إني لم أصل إليه فأوصلني إليه. فقال: إني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلاً ما في يدي وهو لا تبلغ خيله هاهنا وإن بلغت خيله ألفت قتالاً ليس كقتال من لاقي. قلت: وأنا خارج غداً. فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه. فقال: ما نحن فيما قد ظهر عليه وكل من أرسل إليه قد أجابه فأصبح فأرسل إلي فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً وصدقا النبي ﷺ وخلياً بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لي عوناً على من خالفني». اهـ.

د- أن النجاشي كان من النصاري، ومن المعلوم قطعاً أن من أخص خصائص شريعة النبي ﷺ ودينه أنه ناسخ لجميع الشرائع والكتب السابقة، وأنه لا يصير العبد مسلماً حتى يتبع شرائع دين محمد ﷺ، ويترك ما عداها، والنجاشي أخص بذلك من غيره، فكيف يقبل النبي ﷺ الإسلام من أقوام بشرط البيعة على الطاعة في المنشط والمكره، ويترك رجلاً هو أخص بذلك من غيره؟!، من جهة كونه رأساً في الناس، ويمكنه أن يُشرعَ لهم، ومن جهة كونه لم يزل

مستمسكاً بشرائع الدين النصراني؟! لا شك أن هذا من أبطل الباطل، وأمحل المحال، بل ولا يكون ذلك أبداً في الدين، كيف وقد قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَسَبَلُّوْكُمْ فِي مَا عَاثَكُمُ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلَفُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٨-٥٠].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٤-٦٥].

ذ- أن النبي ﷺ أخبر أنه لا يسع أحداً أن يخرج عن شريعته أبداً، كما في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«والذي نفسي محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار». وفي «الصحيحين» واللفظ لمسلم عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فأمن به واتبعه وصدقه فله أجران وعبد مملوك أدى حق الله تعالى وحق سيده فله أجران ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاها ثم أدبها فأحسن أدبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران».

ر- أنه إذا كان الله تعالى، قد أخذ العهود والمواثيق على الأنبياء والمرسلين، باتباع المصطفى عليه الصلاة والسلام، فكيف بمن دونهم؟، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

ز- أنه إذا كان عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، إذا نزل في آخر الزمان سيحكم بشريعة النبي ﷺ، ويصلي بصلاته، فكيف بمن عاش في حياة النبي ﷺ؟، كما في «صحيح مسلم» في «باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ» ثم ساق أحاديث فمنها عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده

ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عليه السلام حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد».

• ومنها عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمكم منكم؟» فقلت لابن أبي ذئب: إن الأوزاعي حدثنا عن الزهري عن نافع عن أبي هريرة: «وإمامكم منكم» قال ابن أبي ذئب - أحد رواة الخبر - تدري ما: «أمكم منكم؟» قلت: تخبرني، قال: فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم.

• ومنها عن جابر بن عبد الله يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة»، قال: فينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة».

س- أن آيات الحكم في سورة النساء، أمرت بضرورة الكفر بالتشريعات الجاهلية، وتطبيق شرع الله تعالى، وهذا أخص به الملوك والحكام من غيرهم، فكيف يبقى العبد مؤمناً، مع عدم كفره بالطاغوت؟!، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ

أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّلْعُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٩﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء: ٥٩-٦٥].

• ومن هنا تتصور شناعة وقبح القول: بأن النجاشي بقي على حكمه بالطاغوت، ومع ذلك كان مسلمًا، وسماه النبي ﷺ رجلًا صالحًا، وصلّى عليه؟!!! سبحانك ربي هذا بهتان عظيم.

ش - أننا إن تنزلنا في المقال مع المخالف لقلنا: إن حادثة النجاشي محتملة، وآيات وأحاديث التشريع محكمة؛ فوجب ترك المحتمل، والعمل بالمحكم.

ص - تنبيه: لا يقال: إن الصحابة دخلوا في حكم الطاغوت قبل

أَنْ يُسَلِّمَ النجاشي؛ لأنهم إنما عاشوا في أرضه فقط، وكانوا يعبدون الله وحده على كل حال، بدليل أن النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سألهم رَدُّوا عليه بأنهم يعبدون الله وحده، ويطيعون رسوله.

ومما يبيِّن فساد القول بأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا تحت حكم الطاغوت، أن يُقال: ماذا تَعْنُونَ بهذه الكلمة، هل المراد أنهم كانوا بأرض الغلبة والحكم فيها للطاغوت دُونَ أَنْ يَقَعَ تحاكم منهم إليه وإنما هم مجرد ساكِنين في تلك الأرض، فإن كان هذا المعنى فلا إشكال فيه، وأما إن كان المقصود أنهم تحاكموا إلى الطاغوت فَمَعَاذَ اللَّهِ، إذ من المعلوم المقطوع به أَنَّ التشريع من دُونِ الله شرك أكبر وأن التحاكم إلى الطاغوت كفر مخرج عن الملة، فكيف يبعث النبي ﷺ لمحاربة الشرك والكفر ومطاردة الوثنية بكل صُورِها ثم هو يأذن لأصحابه أَنْ يَقَعُوا فيه تحت أي دعوى أو شعار، فإن التوحيد ليس محلاً للمساومات أصلاً، وإلا كنا كحال المُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بالنار، وممن فَسَّرَ الماء بعد الجهد بالماء، بل كانوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كافرين بالطاغوت مجتنبين له، لم يتحاكموا إليه ولا تقاضوا عنده قط، وهل بُعِثَ نَبِيُّهُمْ ﷺ إلا بالكفر بالطاغوت واجتنابه، وهل غادروا ديارهم وفارقوا أَهْلِيهِمْ إلا في ذات الله تعالى لأجل ذلك؟، بل ما هي إلا الدَّعَاوَى والرُّعُومُ العَرِيَّةُ عن التَّحْقِيقِ العلمي والنَّقْلِ المَرْعِي، بل إنما هي اتباع الأماني، عياداً بالله من الخذلان ومن فساد التَّصَوُّرِ واتباع الهوى.

وكذلك مؤمن آل فرعون لم يكن من عمال فرعون ولا جنوده، بل نُسِبَ إليه لكونه من قومه، ولا تجد أصلاً لهذه الدعوى لا في الكتاب ولا في السنة ولا في أقوال المفسرين من السلف، فمن زعم أن مؤمن آل فرعون كان من جنده أو عماله فقد أبعد النجعة وأعظم الفرية، كيف والله تعالى يشهد له بالإيمان؟!، بينما شهد على فرعون وجنوده بالكفر والطغيان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَنَّ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ ﴿٨﴾ [القصص: ٨]، وقال سبحانه: ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا وَجُنُودُهُمْ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْحَقَّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِنَّمَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكْفُرُونَ إِلَى الْفَاكِرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ [القصص: ٣٩-٤٢].

بل جاء قول عن بعض السلف أن هذا المؤمن كان إسرائيلياً، ورجحوا الوقف على قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ﴾ [غافر: ٢٨]، ثم تستأنف: ﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكُفِّرُ بِيَمِينِهِ﴾، فيكون المعنى أنه كان يكتفم إيمانه من فرعون وقومه. ورجح ابن جرير وابن كثير القول الأول.

● والعجائب لا تكاد تنقضي:

وإن من أعجب بل وأخيب ما سمعت وقرأت احتجاج بعضهم بأفعال الخليل إبراهيم عليه السلام حيث دخل على الأصنام، وناظر قومه في الكواكب الأصنام، وكذلك ناظر النمروذ، وذلك أن بعض المفتونين جعل هذا دليلاً على جواز الدخول في البرلمانات، وتداول العملية الديمقراطية، ولا شك أن هذا استدلال لا يُمْتُّ للعلم بأدنى صلة، وهو أجنبي تماماً عن الأدلة الشرعية، وعن ملة إبراهيم الحنيف الذي ضربه الله تعالى مثلاً للتوحيد وتحقيق عقيدة الولاء والبراء.

ووالله الذي لا إله غيره ما كنت أظن أن يتجاري الهوى بهؤلاء المفتونين حتى هذا الحد والعياذ بالله، ولكنها فتنة الشبهات؛ حيث تُعْمِي وتُصِم، نسأل الله العافية والسلامة.

فإبراهيم الخليل عليه السلام إنما دخل معبدهم ليحطم الأصنام في غيبتهم، وقد أهانهم أيما إهانة، ثم أقام عليهم حجة الله تعالى، وكان قد أعلن براءته منهم ومما يعبدون من قبل جهازاً، في مصارمة ظاهرة وبراء واضحة، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ٥٢ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ٥٣ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٥٤ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ

(٥٥) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ
 الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ
 (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا
 مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ
 يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَالِي النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ
 (٦١) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ
 كَبِيرُهُمْ هَذَا فَتَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَفِقُونَ (٦٣) فَارْجِعُوا إِلَىٰ
 أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ
 عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطَفِقُونَ (٦٥) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا
 لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أَفَبِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ
 اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ
 (٦٨) قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا
 فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
 لِلْعَالَمِينَ (٧١) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا
 صَالِحِينَ (٧٢) ﴿[الأنبياء: ٥١ - ٧٢].﴾

وذكر الله تعالى أنه ناظرهم في عبادتهم للكواكب، وقد اتفق
 السلف والمفسرون من السلف على أنه كان مناظرًا لا ناظرًا، وأن
 همزة الاستفهام مقدرة محذوفة في السياق، كما قال تعالى: ﴿هَذَا
 رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦]، أي: أهذا ربي؟!

وذكر الله تعالى ملة إبراهيم وأمر نبيه محمداً ﷺ أن يتبع ملته، بل وأمر جميع المؤمنين بذلك فعمم وخصص، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١١٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ آجِبْتُهُ وَهَدَيْتُهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١١١) وَعَاقِبَتُهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ خَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٣﴾ [النحل: ١٢٠ - ١٢٣]،

وقال ﷺ: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ خَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١١٥) [آل عمران: ٩٥].

وكان قد قال قبلها: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ خَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٦٧) إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٨﴾ [آل عمران: ٦٧ - ٦٨].

وقرر الله تعالى بأوضح ما يكون كيف كان إبراهيم ومن معه مصارمين للطاغوت منابذين له معتزلين إياه، ثم أمرنا الله تعالى أن نكون مثلهم، وأن نتبعهم بإحسان، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرِوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا

أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ
 أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَالسِّنَنُهم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ
 تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
 ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا
 بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ
 وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْغِفَنَّ
 لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ
 الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
 الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ [الممتحنة: ١-٥].

فتأمل وانظر كيف وقعت المنابذة في مجلس الطاغوت ومكانه،
 فلم يبرح إبراهيم موضعه حتى بين لهم، وأقام حجة الله عليهم،
 وخصمهم، ثم تبرأ منهم واعتزلهم لما لم يرفعوا بذلك رأساً.

لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز مطلقاً، فكيف
 بمقام التوحيد، بل في هذا المقام لا يجوز حتى تأخير البيان إلى وقت
 الحاجة؛ لأن ذلك يفضي إلى التلبيس والتدليس، فإن الذين شهدوا
 مجلساً وقع فيه الشرك والكفر وترك ذلك دون بيان لا نأمن أن يشهد
 مرة أخرى مجلس البيان والفضح للطاغوت وتعريته، كما أننا لا نأمن
 أن يتمكن هذا المقيم للحجة أن يتيسر له مثل ذلك المقام مرة أخرى.

ولهذا باشر إبراهيم الخليل إقامة الحجة على عبّاد الأصنام والكواب ومع النمرود في ذات الموضع وفي نفس اليوم.

فأين هذا من الدخول في البرلمانات، والتوقيع على احترام هذا الكفر المعلن، والالتزام بما يُملّيه قانون الأحزاب العلماني، ومجالسة هؤلاء الأرباب المتشاكسين، سبحانك هذا بهتان عظيم.

فأي صلة بين هذا الضلال والزندقة مع ملة إبراهيم عليه السلام؟!!

والعجيب وإنه لمن العجائب أن بعضهم يُقرُّ ويُقرَّر أنهم لن يأتوا بالإسلام الحق من تحت قُبَّة البرلمان الطاغوتية، وكفى بهذا مسقطاً ومزلة ومذلة، وكفى بهذا فضحاً لفساد تصورهم حيث يركبون الكفر، فلا للتوحيد نصراً ولا للكفر كسراً.

والأمر قد تقدم بيانه، والكشف عن حاله، والله والمستعان، وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وَلْتَذَكَّرْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَأَنَّ الْمُتَشَابِهَ وَاتِّبَاعَ الظَّنِّ خَبِيثٌ عِنْدَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأَنَّ الْعَاطِفَةَ الصَّادِقَةَ فِي نَصْرَةِ هَذَا الدِّينِ لَا تَغْنِي عَنْ أَصْحَابِهَا شَيْئًا مَا لَمْ تَكُنْ عَلَى هَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

● فائدة نفيسة عزيزة:

قال ابن القيم في «الفوائد»: «فَلَوْ سَلَكَ الدُّعَاةُ الْمَسْلُوكَ الَّذِي

دَعَا اللهَ وَرَسُولَهُ بِهِ النَّاسُ إِلَيْهِ لَصَلِّحَ الْعَالَمَ صَلَاحًا لَا فَسَادَ مَعَهُ». اهـ.

واعلم أن كل عقد يفضي إلى الكفر لله تعالى، لا يجوز الدخول فيه، وكل شرط تحت مظلة الطاغوت لا يجوز التوقيع عليه، ولو صُورياً، وإن كان في عقود الشركات والأعمال والمؤسسات؛ لأنه كما تقدم سيقع مُنْزِمًا؛ فيكون العبد قد جَرَّ على نفسه الدخول في حكم الطاغوت، الذي أُمِرَ أن يكفر به، واعلم أن من أنواع الالتزام الإقرار، فتنبه واحفظ دينك.

● شبهة: الاحتجاج بالتجربة الناجحة:

واعلم -رحمك الله- أنه لا يجوز بحال من الأحوال معرفة دين الإسلام، من خلال ما يعرف بالتجربة سواء ما تسمى بالناجحة أو الفاشلة، ولا من خلال تقييم المكاسب لهذه الطريقة أو تلك، ولا بالخبرة، ولا بمطلق التلقي، حتى يكون مصدر التلقي هو الكتاب والسنة على فهم وطريقة الصحابة الكرام رضي الله عنهم، فالدين ليس محلاً للتجارب، والاختبارات، بل حقيقته ذل وانقياد على وفق الكتاب والسنة بسبيل المؤمنين.

وما ضل من ضل من هذه الأمة أو غيرها، إلا عندما ظنوا أن الدين يمكن أخذه من التجارب الخاضعة للعقول، أو عن طريق خبرة الفاعل المعظم في النفوس من المخلوقين، أو عن طريق التلقي عن

الآباء والأجداد، وما يُملِيه ضغط الواقع، والعادات والتقاليد.

فالصوفية مثلاً يقولون: «قبر فلان الترياق المُجَرَّب»، فاعتمدوا على تجربتهم الباطلة، فجعلوا دعاء أصحاب القبور والتعلق بهم، ديناً لهم بل وجعلوه - زوراً وبهتاناً وافتراء على الله تعالى - من دين الله جل وعلا، في حين أنه مضاد تماماً لدين الله ﷻ، وكذلك الفلاسفة والملاحدة ومن تأثر بهم من أهل الكلام، كالأشاعرة والجهمية وأشباههم، ظنوا أن الدين يؤخذ من قدماء الأولين، كالليونان وأشباههم، الذين شهد لهم بالعقل والمنطق، والذكاء والحدق والفتنة؛ فجعلوا العقول - التي هي في الحقيقة فاسدة وسقيمة - حاكمة على الدين؛ ولهذا قُيدَ التلقي لهذا الدين أن يكون بالأدلة من الكتاب والسنة على سبيل المؤمنين، لا بالرأي ولا بالعقل، ولا بالخبرة ولا بالتجربة، ولا بالتلقي عن الأولين، بل فقط الكتاب والسنة الصحيحة، على فهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

● **شبهة ما جاء في «الصحيحين» من قول أسماء بنت عميس: «وكنّا في دار أوفي أرض البغضاء البغضاء في الحبشة»:**

ولا شك أن هذا من أعجب ما سمعت من حُجج القوم، وإنما هي حقيقة دالة على الإفلاس، حيث لما عَدِمُوا الأدلة الصحيحة الصريحة على فهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم، عَمَدُوا إلى هذه

الاستدلالات المتهافئة التي لا يَصِحُّ وصفُها بالاستدلال أصلاً إلا على مبدأ الحكاية أي: أنهم استدلوها بها، لا لكونها في ذاتها تحمل أدنى مقومات الدليل.

وذلك أني سمعت أحدهم وهو يحاول عبثاً إثبات ما دُونَهُ خَرَطُ القَتَادِ مِنْ أَنَّ النجاشي كان يحكم بالطاغوت، وأن قومه لم يطاوعوه على الإسلام والشرعية، - ومع ذلك بقي في دائرة الإسلام، بل وسماه النبي ﷺ رجلاً صالحاً-، احتج بأن أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «وَكُنَّا فِي دَارٍ أَوْ فِي أَرْضٍ الْبُعْدَاءِ الْبُغَضَاءِ فِي الْحَبْشَةِ»:

وحقيقةً لولا أن هذا الأمر قد ذُكِرَ، وَأَنَّ عَرَقَاهُمْ فِي الْهَوَى وضلالة الديمقراطية يَتَشَبَّهُونَ بِالْقَشَةِ، ويستمسكون بما هو أوهى من بيت العنكبوت لما عَرَّجْتُ عليها، ولما التفت إليهما، ولكن الله المستعان، قد صرنا إلى مثل هذا الزمان الذي يتكلم به أقوام يَهْرِفُونَ بما لا يَعْرِفُونَ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِالرُّؤْيِيَّةِ، عياداً بالله من الخذلان.

فأقول مستعيناً بالله العلي العظيم: إن القول بأن النجاشي كان يحكم بالطاغوت مع علمه بحكم الله تعالى من شريعة محمد ﷺ، لهو من أبطل الباطل، وأمحل المحال، وإني كما قلت من قبل، وأعيدها الآن:

أنا أمهلكم عشر سنين أن تأتوا لنا بدليل من الكتاب أو السنة

أقول لأحد الصحابة رضي الله عنه أن هذا قد حصل، وهيئات هيئات.

وإنما غاية ما اعتمدتم عليه رأي فاسد وعقل ناقص وقول
لشيخ الإسلام ابن تيمية والقرطبي، وكل هذا لم ولن يُجدي عنكم
شيئاً على مبدأ وطريقة التحقيق العلمي، ولكن على طريقة اتباع
الهوى والضلال. نسأل الله العافية والسلامة!

وليس هذا من باب الإزهاج الفكري للمخالف كما يزعمه
بعضكم، وإنما هو من باب التحدي العلمي الحقيقي، فإما أن تحيلونا
فيه على الهدى، أو أن تشهدوا على أنفسكم باتباع الهوى، فتشوبوا
وتراجعوا أمر ربكم، فالمسألة جد خطيرة، من جهة أن هذا التلاعب
بحق الله تعالى، ومن جهة أنه قول على الله بغير علم، ومن جهة نسبة
هذا العبد الصالح زوراً وبهتاناً إلى هذا القول الخبيث الفاجر.

والآن نأتي على قول أسماء رضي الله عنها فأقول: إن من المقطوع به أن
أسماء رضي الله عنها لما تكلمت بهذه الكلمات قد كان بالحشة وقتها من
ليسوا من أهل هذا الوصف، ففيهم النجاشي نفسه ذلك العبد الصالح
بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم، وفيها أتباعه على الإسلام كذلك، وعليه فإن من
المقطوع به أن أسماء رضي الله عنها لم ترد ولم تقصد العموم مطلقاً، كما أنا لا
نزعّم بأن جميع من في مملكة النجاشي قد دأبوا بدين الإسلام
واستسلموا له وانقادوا، وعليه فيكون قولها رضي الله عنها من العموم

المخصوص، أو من إطلاق الكل وإرادة البعض، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣) ﴿آل عمران: ١٧٣﴾، وهذه قاعدة أصولية سلفية لغوية مقطوع بها، كما بينها السلف ومنهم الشافعي في كتابه «الرسالة».

وعليه؛ فقد انهدم هذا الاستدلال الذي لم يُقَمْ على ساق من الحق أصلاً كما تقدم.

وهذا على التَّنَزُّل مع المخالف، وإلا فقد بينا من قبل أن أهل السيرة ذكروا أن النجاشي وجُنْدُهُ أسلموا لله رب العالمين، فيكون قول أسماء رضي الله عنها مُنْزَلاً على مَنْ لم يُسَلِّمْ من قومه، أو على أنها رضي الله عنها قصَّدت النجاشي الآخر.

فإنه قد جاء في «صحيح مسلم» عَنْ أَنَسٍ: «أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى وَإِلَى قَيْصَرَ وَإِلَى النَّجَاشِيِّ وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ».

وهذا دال على ما هو معلوم من أن كل مَنْ مَلَكَ الْحَبْشَةَ سُمِّيَ بالنجاشي، كما أن هذا الخبر دال على أنه قد كان في مدة حياة النبي ﷺ أكثر من ملك واحد من ملوك الحبشة، وعليه فلا يبعد أن تكون أسماء رضي الله عنها تقصد الفترة التي كان فيه هذا النجاشي المتجبر البغيض

البعيد، وليس ذاك العبد الصالح، كما هو نص الخبر: «وَلَيْسَ
بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ»، وهذا يفيد التفريق بين
النَّجَاشِيِّينَ، فأما أحدهما فاستحق وصف أنه «جبار»، وأما الآخر
فاستحق وصف أنه «عبد صالح»، فافترقا في الحكم بناء على افتراقهم
في الحال، فالجبار كافر حاكم بالطاغوت لم يستسلم لله ولم ينقد له،
وأما الثاني فقد دخل في السلم كافة كما تقدم.

ثم إن مما ينقضي منه العجب! هذه الطريقة القبيحة المستعملة
في الاستدلال هنا؛ إذ يعمد هؤلاء إلى التشابه -على التنزل- لِيُرَدُّوا
بِهِ الْمُحَكَّم، ويجعلوه حجة قطعية عياداً بالله، فَإِنَّ مِنَ الْمُحَكَّماتِ
الْقَطْعِيَّةِ وَجُوبُ اجْتِنَابِ الطَّاعُوتِ والكفر به ومحاربته ومُعَادَاةُ
والسعي في استئصاله واجْتِنَاثُهُ، وَإِنَّ مِنَ الْمُحَكَّماتِ أَيْضًا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى
وحده الخلق والأمر، فهو الذي يُشَرِّعُ لعباده؛ إذ هو مالِكُهُمْ، فهو
الذي يحكم فيهم وبينهم جل الله في علاه.

وَمِنَ الْمُحَكَّماتِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَأْذَنُ وَلَمْ يَرْضَ أَنْ يَشَارَكَه
أَحَدٌ فِي ذَلِكَ، فَإِنْ فَعَلَ فَقَدْ وَقَعَ فِي الشَّرْكَ الْأَكْبَرِ والذنب الذي لا يغفر
فلا استثناء في ذلك فالنجاشي وغيره سواء، وَإِنَّ مِنَ الْمُحَكَّماتِ
كَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يُسَمَّى رَجُلًا بِأَنَّهُ عَبْدٌ صَالِحٌ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَحَقٌّ
لهذه الصفة بمقومات الشرع المتقدمة، وقد تقدم بيان هذا.

وَمِنَ الْمُحْكَمَاتِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا يُؤْتِي الْعَبْدَ الْمَلِكَ لِيَقِيمَ
 سُلْطَانَ اللَّهِ تَعَالَى لَا سُلْطَانَ نَفْسِهِ، وَأَنْ يَحَافِظَ عَلَى حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى
 وَيُدَافِعَ عَنْهُ لَا عَنْ مَلِكِهِ وَحَقِّهِ هُوَ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى مُشْنَعًا وَمَنْكَرًا
 عَلَى النَّمْرُودِ إِذْ نَصَبَ نَفْسَهُ مَنَازِعًا لِلرَّبِّ الَّذِي مَا آتَاهُ الْمَلِكُ إِلَّا لِيُعْبَدَ
 اللَّهَ وَحْدَهُ وَيُعْبَدَ النَّاسُ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ
 إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي
 وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ
 فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

[البقرة: ٢٥٨].

وَأَنَّ مِنَ الْمُحْكَمَاتِ الْكِبَارِ «وَهِيَ مِنَ الْحَوَاسِمِ وَالْقَوَاطِعِ»، مَا
 جَاءَ فِي «الصَّحِيحِينَ» مِنْ طَرِيقِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ
 مَسْعُودٍ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ
 هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تُجَارًا بِالشَّامِ، فِي الْمُدَّةِ
 الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكَفَّارَ قُرَيْشٍ فَأَتَوْهُ وَهُمْ
 بِبَيْلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا
 بَتَرَجْمَانِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ،
 فَقَالَ: أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَذْنُوهُ مِنِّي وَاقْرَبُوا
 أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ.

ثُمَّ قَالَ لِرَجْمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ: إِنِّي سَأَلْتُ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ فَوَاللَّهِ لَوْ لَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثُرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ قُلْتُ: هُوَ فِينَا دُوْ نَسَبٍ، قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ: لَا قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضَعَفَاؤُهُمْ فَقُلْتُ: بَلْ ضَعَفَاؤُهُمْ قَالَ أَيْزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ.

قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخِطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ؟ فِيهِ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ كُنتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا، قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ قُلْتُ: لَا وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ، قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سَجَالٌ يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ فَقَالَ لِلرَّجْمَانِ: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ دُوْ نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَلَّا فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ: هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ: رَجُلٌ يَأْتِسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ

قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضَعَفَاءُ وَهُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضَعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ وَسَأَلْتُكَ أَيْزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَسْمَ وَسَأَلْتُكَ أَيْزَتَدُّ أَحَدٌ سَخَطَةً لِإِيْنِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيْهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تَخَالِطُ بِشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَآكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلَصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّسْتُ لِقَاءَهُ وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ.

ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دَحِيَّةً إِلَى عَظِيمٍ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرْقَلٍ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيْهِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرْقَلٍ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَأَنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمَ تَسْلَمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، وَ﴿قُلْ﴾ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا

يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٦﴾ [آل عمران: ٦٤].

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَعَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وَازْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا لَقَدْ أَمَرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ.

وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ صَاحِبُ إِبِلِيَاءَ وَهَرَقْلُ سَقْفًا عَلَى نَصَارَى الشَّامِ يُحَدِّثُ أَنَّ هَرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِبِلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقِيهِ قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ قَالَ ابْنُ النَّاطُورِ: وَكَانَ هَرَقْلُ حَزَاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَالُوا: لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ فَلَا يَهْمَنَّكَ شَأْنُهُمْ وَاکْتُبْ إِلَى مَدَائِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ.

فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أَتَى هَرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ عَسَانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هَرَقْلُ قَالَ: اذْهَبُوا فَانْظَرُوا أَمْخَتَيْنِ هُوَ أَمْ لَا فَانْظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ وَسَأَلَهُ، عَنِ الْعَرَبِ فَقَالَ: هُمْ يَخْتَتِنُونَ فَقَالَ هَرَقْلُ: هَذَا مَلِكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ ثُمَّ كَتَبَ هَرَقْلُ إِلَى صَاحِبِ لَهُ بِرُومِيَّةَ، وَكَانَ نَظِيرُهُ فِي الْعِلْمِ وَسَارَ هَرَقْلُ إِلَى

حِمَصَ فَلَمْ يَرَمْ حِمَصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُؤَافِقُ رَأْيَ هِرْقُلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ فَأَذِنَ هِرْقُلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسَكْرَةِ لَهُ بِحِمَصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَعُلِّقَتْ ثُمَّ أَطْلَعَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ، وَأَنْ يَنْبَتَ مُلْكُكُمْ فَتَبَايَعُوا هَذَا النَّبِيَّ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمْرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ عُلِّقَتْ فَلَمَّا رَأَى هِرْقُلُ نَفَرَتَهُمْ وَأَيَسَ مِنَ الْإِيْمَانِ قَالَ رُدُّوهُمْ عَلَيَّ وَقَالَ إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آيَفَا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتُ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرْقُلَ.

قلت: فتأمل كيف أن النبي ﷺ خاطب هرقل بالإسلام والدخول في السلم كافة، كما خاطب النجاشي وغيره، وأن قومه امتنعوا وأبوا وحاصوا حَيْصَةَ الْحُمْرِ، فلم يكن ذلك عذراً له عند الله تعالى بدعوى المحافظة على الملك، والإصلاح من الداخل كما يدَّعيه الديمقراطيون، بل أيسَ بفعله ذلك من الإيمان حيث ضَنَّ بملكه، ولو كان يسع في الإسلام أن يبقى على ملكه ويحكم بالطاغوت وهو مُتَّصِفٌ بالإسلام كما يزعمه هؤلاء في حال النجاشي عياداً بالله لوسع ذلك هرقل؛ إذ ليس ذلك التجوز المزعوم في إتيان الكفر بهذه الدعوى هو من خصوصيات النجاشي، وليس شيئاً من هذا حصل وليس شيئاً من هذا مأذون به شرعاً، فعلمنا يقيناً أن النجاشي وغيره لا خيار لهم للبقاء على الإسلام والانتساب إلى الرسول عليه

الصلاة والسلام إلا أن يحكموا بشريعته وأن يردُّوا إليها ويصدروا عنها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۝٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النساء: ٦٤، ٦٥]، أي لأجل هذا تُبعث الرُّسل، وبمثل هذا يتحقق الإيمان بالرسول ﷺ، وإلا فلا إيمان وإن زعمه عبْدُ ما اللَّيْلِ والنَّهار والسِّرِّ والجهار.

وتأمل كيف أن النبي ﷺ راسل الملوك بآية آل عمران التي فيها: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤]، وانظر إلى الشاهد للمسألة هنا: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، إنها شُرُوطُ كِبَارٍ ثِقَالٍ مَنْ تَوَلَّى عنها فَقَدْ تَوَلَّى عَنِ الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ مِنْهُ شَيْءٌ يَنْتَفِعُ بِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، والتَّوَلَّى كما هو مُتَقَرَّرٌ يُطْلَقُ عَلَى النُّكُولِ عَنِ الْإِتْرَامِ والتَّنْزِيلِ والعمل، كما تقدم بيانه في معنى الإقرار.

والمعنى أن مِنْ شَرُطِ الْإِيمَانِ أَلَّا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ

دُونِ اللَّهِ، وتلك هي ربوبية التشريع، كما في قوله تعالى: ﴿أَتُخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْكَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٦) [التوبة: ٣١]، وقد تقدم بيان هذا المعنى وإيضاحه عند الحديث عن: «رُبُوبِيَّةُ الشَّعْبِ».

● **شبهة الاحتجاج بالآثار الحسنة والمنافع التي وقعت وتقع، وأن هذا من فقه السياسة والأصول التي لا يحسنها كل أحد، والاحتجاج بـ«صلاح الدين» و«حاكم علماني» تركيا مثلاً:**

● وهنا أعود وأذكر بما تقدم تقريره مِنْ أَنَّ التجارب وممارسات الجماعات أو الأحزاب أو عبد من العباد هنا أو هناك ليست معياراً شرعياً، ولا دليلاً مرعياً، لتحديد ما يجوز وما لا يجوز، وما يَصِحُّ وما لا يَصَحُّ، وأنَّ مَرَدَّ ذلك في الإسلام إلى الكتاب والسنة على سبيل المؤمنين الصحابة الكرام رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان، ومن زعم غير هذا فقد أعظم على الله الفرية. هذا أولاً.

● وثانياً: أقول: إنه ليس من العلم في شيء ملأ الأفواه بالعبارات المؤهمة المطاطة، ولا ادعاء الخبرة والدراية بالسياسة والأصول في مقابلة ما جاء به الرسول ﷺ.

إذ لا سياسة ولا أصول في مخالفة الله والرسول، إلا سياسة أهل الرأي المذموم والهوى المُردي المَهْزوم.

• ثالثاً: كيف قَفَزَ هؤلاء أَعْصَرَ الأُمة الثلاثة المفضلة حتى أَلْقَوْا بالأُمة على المُجاهد صلاح الدين؟!، الذي كان أَشْعَرِيًّا، وَتَرَبَّى في بيئة هي كذلك، بل وكان عامة أهل العلم في وَفْتِهِ كذلك، فالبِئْسَ بِيئَةُ أَشْعَرِيَّةٍ بِأَمْتِيَّازٍ وَتَقَدُّمٍ، فَقَدْ عَجَّ فِيهَا عِلْمُ الْكَلَامِ الْمَأْفُونِ وَفَرَحَ، وَقُدِّمَ فيها الرأي والعقل على النقل وسبيل المؤمنين، في أعظم القضايا على الإطلاق ألا وهي القضايا الْعَقْدِيَّة، والتي مسألتنا هي أحد مسائلها الكبار في إثبات معنى حق الله تعالى في التشريع، وكيف يكون الإيمان به، وإثباته لله تعالى، وكيف تكون معاملة الله تعالى به، وكيف يتحقق معنى اجتناب الطاغوت في ذلك.

أليست هذه الْقَفْزَةُ مِنْ هؤلاء دليلاً على الإفلاس العظيم الذي بَلَغَهُ هؤلاء؟، بلى والله الذي لا إله غيره.

أَلَا فَلَنَعْلَمَ جميعاً أَنَّ الرأي محكوم لا حاكم، وأن الاعتماد عليه في مقابلة المنقول فساد ووبال، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ [البقرة: ١١٢، ١١٣].

وتأمل في هدي الصحابة رضي الله عنهم فيما أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من طريق الأعمش، قال: سألت أبا وإيل: شهدت صفين؟ قال: نعم، فسمعت سهل بن حنيف يقول: «اتهموا رأيكم رأيي يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر النبي ﷺ لرددته وما وضعنا أسيفنا على عوائقنا لأمر يقطعنا إلا أسهلنا بنا إلى أمر نعرفه غير أمرنا هذا»، وفي لفظ فيهما: «يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم».

وإنَّ العقل ناقص قاصر، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال سبحانه: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ [النساء: ١٩].

فكيف بزمان انتشرت فيه العقيدة الأشعرية الخربة الضالة المنحرفة، وذاع فيه علم الكلام الفاسد وصدّر أصحابه.

وليس المقام هنا مقام دم لأهل العلم والجهاد، الذين نفع الله بهم الإسلام والمسلمين، بل والأمة لا تزال عالمة على كتب بعضهم

إلى يومنا هذا، فإننا لا نَعْمَدُ إلى هذا ولا نَتَقَصَّدُهُ إن شاء الله تعالى، بل نَحْفَظُ لهم فضلهم وسابقتهم في الدين، وحُسْنَ بلائهم فيه، ولكننا نتكلم هنا عن أمر خطير آخر عظيم الشأن جليل القدر، بينه النبي ﷺ وأُصرح وأوضح بيان وعبرة، أن خير هذه الأمة قرنها الأول ثم ذَكَرَ ﷺ قرنين بعد ذلك، وأن الأمة ستعيش اختلافاً كثيراً ثم أَمَرَ عليه الصلاة والسلام بالرُّدِّ إلى سُنَّتِهِ ﷺ وَسُنَّةِ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلا يَسُوعُ أَبَدًا أَنْ نَجْعَلَ مِنْ تعظيمنا لعالم ما أو مجاهد ما مَرَجَعًا لِفَضِّ النزاعات بين علماء الأمة، فكيف بهذه القضايا الكبار، المتعلقة بحق الله الواحد القهار.

ولكنَّه الإفلاس الذي انتهى بهؤلاء إلى هذا الحد الذي اضطررنا معه إلى أَنْ نُبَيِّنَ الواضحات، ولكنه لعله مِنْ قَبِيلِ قول الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ ﴿٤٥﴾ [ق: ٤٥].

وقوله سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ ﴿٩﴾ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ﴿١٠﴾ وَيَنْجِنُهَا الْأَشْفَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ [الأعلى: ٩ - ١٢].

وقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ [الذاريات: ٥٥].

● البيئة العلمية وتأثيرها على التَّصَوُّر والفتوى:

إن المتأمل يجد أنَّ فِكْرَةَ تَبْنِي الإصلاح مِنَ الداخل في نظام طاغوتي كافر كان منشؤها أصالة من أحد عاملين:

١- إما التجاوب مع ضغط الواقع مع التأثير بالرأي العلمي السائد في ذلك الوقت، وكذا البيئة العلمية المؤثرة على العقول والآراء، مع استصحاب الحالة الراهنة.

٢- أو بالاستدلال بقصة يوسف عليه السلام في توليه خزائن الأرض في زمن ملك مصر.

وإن المتأمل في هذا الرأي الفاسد - في تلك الحقبة التاريخية - المبني على جواز تولي الأعمال السَّيَادِيَّة والمِفْصَلِيَّة للطواغيت المُبَدِّلِينَ مِنْ قِبَل بعض المصلحين؛ حيث تولَّى صلاح الدين رحمه الله الوزارة في دولة العَبِيدِيَّين الباطنيين الزنادقة، يجد أن هذا القول قد تأثر حقيقة بكلا العاملين، فالبيئة كان الغالب عليها عِلْمُ الكلام، وتقديم ما يسمَّى بالمعقولات، وكان للرأي مساحة واسعة من العمل والتعاطي، مع وجود التوسع في التأويلات لموارد الأدلة؛ حيث ظهر تأثير ذلك جلياً في التعامل العقدي مع فقه الأسماء والصفات، مع ما كان يَنْتَابُ ذلك العصر من التَّصَوُّف كذلك.

وكان صلاح الدين رَحِمَهُ اللهُ مُحِبًّا للعلم ويجالس العلماء، ولا شك أن هذا له تأثير بالغ في فقه الرجل وطريقة تفكيره ورأيه، والمتأمل يجد أن صلاح الدين قد وُلِدَ عام (٥٣٢ هـ) وتوفي رحمه الله تعالى عام ٥٨٩ هـ، بينما وُلِدَ القرطبي صاحب التفسير أوائل القرن السابع ما يقارب سنة ٦١٠ وتوفي رحمه الله تعالى عام ٦٧١ هـ، وهذا يدل على فقه الفتوى المتداول في هذه المسألة في ذلك الوقت؛ إذ لا أعلم أحدًا من السلف في القرون المفضلة قال بقول القرطبي حيث قال بجواز ذلك استدلالًا بقصة يوسف رَحِمَهُ اللهُ في توليه خزان الأرض في زمن ملك مصر، بل ولا أعلم أحدًا سَبَقَهُ إلى هذا القول الذي مال إليه ابن تيمية لاحقًا في زمانه وكان قد توفي رحمه الله تعالى سنة (٧٢٨ هـ).

وهنا عجيبة تستحق أن تُذَكَرَ، وهي إرجاف بعض هؤلاء بقولهم في قصة يوسف رَحِمَهُ اللهُ، أَيْعَقَلُ أن يقول هذا القول ابن تيمية من عنده، أَيْعَقَلُ أن يكون ابن تيمية مخطئًا؟.

وهذا إفلاس آخر؛ فإن الأمة مجمعة على ما دل عليه الكتاب والسنة من أن قول العالم لا يكون حجة على الأمة مع وجود من يخالفه؛ لأن الأمة لا تدعي العصمة لأحد من علماء الأمة، خلا الصحابة رَحِمَهُمُ اللهُ؛ فإن سبيلهم معصوم محفوظ، والعجيب أن ابن تيمية من أكثر العلماء تقريرًا لهذا الأصل المُجمَع عليه، وليت شعري لو

نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ». قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَهُوا».

وسياتي لاحقاً مزيد بسط لهذه الشبهة مع بيان قول شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك.

● بَيِّنَ الْمُجَاهِدُ صَلَاحَ الدِّينِ، وَمِنْ ضَرْبِهِ مَثَلًا وَهُوَ «الْحَاكِمُ الْعِلْمَانِي» فِي تَرْكِهَا:

بهذا يتبين لنا الفرق الشاسع بينهما، فأما صلاح الدين فكان متأولاً مع إظهاره لدينه، فلم يَتَّبِعْ مذهب العبيدين الباطنيين الرافضة، وإنما كان سُنيّاً متأولاً، ومع هذا فقد أخطأ السبيل، وإن تَرَتَّبَ عَلَى ذلك ما ترتب مِنْ مصالح، بينما «الحاكم العلماني» يتبنى العلمانية ويصرح بها بأصرح ما يكون، فهو مُلْحَقٌ هنا بالعبيدين، فالحادثة الْمُحْتَجُّ بها واحدة، فأين هذا مِنْ ذاك، فلا يجوز إلحاق «الحاكم العلماني» به، بل هو مُلْحَقٌ بالعبيدين المستعلنين بالردة والكفر الصراح البواح العاملين بها وعليها.

وعلى كل فالنزاع يُفْضَى كما تقدم بهدي النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

● هَذِهِ هَذَا الْقَوْلُ بِهَدْيِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَعَلَى رَأْسِهِمْ نَبِينَا الْكَرِيمِ

ﷺ، ثُمَّ بِعَمَلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

إِنَّ الْمَتَامِلَ فِي نصوص الكتاب والسنة وعمل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يقطع يقيناً أن العقيدة ليست محلاً للتجارب ولا المساومات، بل هي محل للوضوح والقوة والثبات والصدع؛ إذ من المعلوم من دين الله تبارك وتعالى أن أعلى المصالح وأعظمها على الإطلاق إقامة حق الله تعالى بالتوحيد الخالص والصدع بذلك وعدم تقديم أدنى مُدَاهَنَةٍ في ذلك، وعدم اعتبار أي مصلحة يُرادُ من ورائها التَّنَكُّرُ لحق الله تعالى ولو لأدنى وقت، فحق الله تعالى أبداً هو المُقَدَّمُ.

● وَإِلَيْكَ الْأَمْثَلَةُ عَلَى ذَلِكَ:

كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِمَكَّةَ يَجِدُونَ شِدَّةَ وَقْسُوةٍ مِنْ كِفَارِ مَكَّةَ، بَلْ وَقَدْ تَسَلَطُوا عَلَيْهِمْ بِأَلْوَانٍ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ وَالْهَوَانِ، حَتَّى قَتَلُوا بَعْضَهُمْ، وَاضْطَرَّ آخَرُونَ مِنْهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِلَى الْهَجْرَةِ إِلَى الْحَبْشَةِ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ كَانَ الْكُفَّارُ يُسَاوِمُونَ النَّبِيَّ ﷺ لِيَنَالُوا مِنْهُ وَلَوْ أَدْنَى تَنَازُلٍ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِعَقِيدَتِهِمُ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَعْمَالِهِمُ الشَّرَكِيَّةِ، لَعَلَّهُمْ أَنْ يَحْتَفِظُوا وَلَوْ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءِ الْوَجْهِ، وَأَنْ يَحَافِظُوا وَلَوْ شَيْئاً عَلَى مَكَانَةِ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ لَمْ يَتَجَاوَبْ مَعَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مُطْلَقاً، وَهُوَ يَرَى الْعَذَابَ وَالنَّكَالَ وَالضِّيقَ

الشديد نازلاً بأصحابه، فلم يعتبر هذه المصلحة ﷺ، ولا التفت إليها طرفة عين.

فلم يقل يوماً لكفار مكة: هلموا لأعطيكم شيئاً مما تريدون لعله أن يخفف عن أصحابه، أو إبقاء عليهم فهم قلة مستضعفة، وهم الفئة المؤمنة في ذلك الزمان، أو لعله أن يجد مساحات دعوية، وينقذ بعض أصحابه مما يجدون من التضييق، ولعلمهم أن يتمكنوا من الصلاة عند البيت العتيق، كلا والله، بل جاءت الآيات المحكمات دالة على أن هذا في غاية الامتناع مهما كانت الظروف، فحق الله تعالى لا يقبل المساس مطلقاً، بل لأجله تقدم التضحيات، وترخص النفوس والأموال والأعراض في سبيل ذلك.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأَيَّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ١-٦].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُوا لَوُدَّهِنَّ فَيَذَّهَبْنَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ۝١٠ هَمَزَ مَشَاءَ بَنِيمٍ ۝١١ مَنَاعَ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَيْمٍ ۝١٢ عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾ [القلم: ٧-١٣].

وقال تعالى: ﴿وَلِنْ كَادُوا لَيَفْتَنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

لِفَتَرَيَ عَلَيْنَا غَيْرُهُ وَإِذَا لَا تَخْذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن تَبْنَتَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَبًّا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَا ذَقْنَكَ ضِعْفَ الْحَيَوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴿[الإسراء: ٧٣ - ٧٥].

وفي «صحيح مسلم» من حديث عياض المجاشعي في حديث طويل وفيه قال النبي ﷺ: «وإنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا فَقُلْتُ: رَبِّ إِذْنٍ يَتَلْعَوُ رَأْسِي فَيَدْعُوهُ خُبْرَةٌ قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخَرَجُوكَ وَاغْزُهُمْ نُغْرًا، وَأَنْفِقْ فَسَتُنْفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةَ مِثْلِهِ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ...». الحديث.

وفي «الصحيحين» في قصة صلح الحديبية قال النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا...» الحديث. فالمقدم أبدًا عنده ﷺ هو حق الله تعالى، وتعظيم أمره ونبيه، والاستسلام له والانقياد بالتوحيد الخالص.

وأما عن إخوانه من الأنبياء والمرسلين ﷺ فهذا كثير في الكتاب العزيز، وسأكتفي بذكر بعض ذلك:

قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِحَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَنْقُورُ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْشِيَهُمْ وَلَا

نَعُوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعَبُ أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ
مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ
الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا
حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنهَيْكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا
اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمُ نُوحٍ أَوْ قَوْمُ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ
لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي
رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا
ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ ﴿٩١﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي
أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ
مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ
﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ
ظَلَمُوا الصَّيْئَةَ فَاصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَنِّمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا إِلَّا بُعْدًا
لِمَدِينٍ كَمَا بَعِثْتُ شُعُودٌ ﴿٩٥﴾ ﴿هود: ٨٤ - ٩٥﴾.

وفي هذه السورة ذكر الله تعالى عن جملة من الأنبياء والمرسلين أنهم إنما يبدعون بحق الله تبارك وتعالى قبل كل شيء ولا يقبلون أدنى تنازل ولا مساومات في ذلك، ومثل هذا كثير في القرآن

العظيم، وكيفينا من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ [النحل: ٣٦].

أما الصحابة رضي الله عنهم فيكيفينا موقف الصديق رضي الله عنه في حروب الردة، حيث جعل المصلحة العظمى الانتصار لحق الله تعالى، الذي أراد المرتدون أن يفرقوا فيه ويتلاعبوا به، وأن يضيعوه، واستقر أمر الصحابة على ذلك، مع ما كان يكتنف المرحلة من مخاطر وتربص، وردة هنا وهناك، كما في «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: لَمَّا تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَاسْتُخِلَفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لَا قَاتِلَ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَعُونِي عَقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ ﷻ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلِقَاتِلِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ».

وعليه، فنقول: إن الاحتجاج بحصول نوع من المدافعة بشكل

أو بآخر وحصول شيء من المصالح لتسويغ الدخول في خُطّة الكفر هو أَمْرٌ مَرْفُوضٌ جملة وتفصيلاً، وممتنع تماماً في دين الأنبياء والمرسلين وسبيل المؤمنين؛ حيث إنّ القضية عندهم كانت في غاية الوضوح، وكانت الحقوق محفوظة بترتيبها الإلهي، لا بأهواء البشر وآرائهم واجتهاداتهم وعقولهم وضغط واقعهم.

● شبهة الإكراه والتقية عند الاستضعاف ومسألة حُسنِ المقصد:

● الجواب: أن التقية المذكورة في كتاب الله تعالى لا تتعلق بالتشريع أبداً، ولا بِنَشْرِ شيء من الشرك، والعمل به في رقاب العباد والبلاد، بذريعة الإبقاء على السلطان والملك، إذ هذا ممنوع أصلاً جملة وتفصيلاً، وهذا واضح في كلام السلف في معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُرُوا مِنْهُمْ تَقِيَةً﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقد تقدم برهان ذلك في قصة هرقل والنجاشي.

ولنعلم أن الفتنة بالتشريع أعظم من الفتنة بذهاب الحياة والأموال؛ لأنه من الشرك الأكبر، كما هو صريح القرآن، قال تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ^٤ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا نَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ^٥ فَإِن قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ^٦ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ

[البقرة: ١٩١].

فمن ظن أن إقامة الشرع المطهر هو من الفتنة والإفساد في

الأرض، فهو لاء من جنس قوم فرعون، الذين قال الله تعالى في شأنهم: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنَقْبِلُ أبنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (١٢٧) [الأعراف: ١٢٧]، ولا شك في كفرهم ومروقهم عن الإسلام.

وإن من المعلوم قطعاً أن أعلى وأجل وأهم الضرورات الخمس التي اتفقت الشرائع على صيانتها هو حق الله تعالى، المتمثل في إقامة الدين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١٥٩) من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيسة فلا يجزي إلا ما مثلهما وهم لا يظلمون (١٦٠) قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أُبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرْ وَإِزْرَةً وَلَا أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ (١٦٤) [الأنعام: ١٥٩-١٦٤].

● وإليك هذا النقل من كتابي «فتنة العصر التشريعي»:

** مسألة: في بيان معنى التقية في الدين، وبيان أن التقية لا تكون على عموم الناس، بل في خاصة النفس، وأنها لا تكون في تبديل

الشرائع، وعرض الكفر على الناس، إبقاء على الملك، أو إرضاء للعباد، أو ادعاء أن ذلك خاضع للمصالح والمفاسد.

فالأمة مجمعة على أنه لا يجوز أن يقتل المسلم أخاه المسلم ليبقي على نفسه بغير وجه حق، فكيف يعرض الكفر على المسلمين وإيقاعهم فيه وتعريضهم له، إبقاء على النفس أو الملك، ونحو ذلك من حطام الدنيا؟! فالإكراه لا يكون إلا على مستوى النفس عند الخوف عليها، مع اطمئنان قلبه بالإيمان، أما أن يتعاطى الكفر حفاظاً على رياسته وملكه؛ فهذا عين ما فعله هرقل، وتأمل آيات سورة «الكافرون» وما في معناها من كتاب الله تعالى:

** قال ابن جرير الطبري في «تفسيره» على قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾: «وذكر أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر وقوم كانوا أسلموا ففتنهم المشركون عن دينهم، فثبت على الإسلام بعضهم، وافتتن بعض».

ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾... إلى آخر الآية: وذلك أن المشركين أصابوا عمار بن ياسر فعذبوه، ثم تركوه، فرجع إلى رسول الله ﷺ فحدثه بالذي لقي من قريش، والذي

قال: فأنزل الله تعالى ذكره عذره ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ...﴾ إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٦٦).

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ﴾ قال: «ذُكِرَ لَنَا أَنَهَا نَزَلَتْ فِي عَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ، أَخَذَهُ بَنُو الْمَغِيرَةِ فَغَطَوْهُ فِي بَثْرِ مَيْمُونٍ وَقَالُوا: اكْفِرْ بِمُحَمَّدٍ، فَتَابِعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَقَلْبُهُ كَارِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾: أَي: مَنْ أَتَى الْكُفْرَ عَلَى اخْتِيَارٍ وَاسْتِحْبَابٍ، ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٦٦)».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر، فعذبوه حتى باراهم في بعض ما أرادوا فشكا ذلك إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟» قال: مطمئنًا بالإيمان. قال النبي ﷺ: «فَإِنْ عَادُوا فَعُدُّ».

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، عن حصين، عن أبي مالك، في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ﴾ قال: نزلت في عمار بن ياسر. حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن الشعبي، قال: «لَمَّا عَذَّبَ الْأَعْبُدُ أَعْطَوْهُمْ مَا سَأَلُوا إِلَّا خَبَابَ بَن

الأرت، كانوا يضجعونه على الرصف فلم يستقلوا منه شيئاً».

فتأويل الكلام إذن: من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره على الكفر، فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان، موقن بحقيقته، صحيح عليه عزمه، غير مفسوح الصدر بالكفر، لكن من شرح بالكفر صدرًا فاختره وآثره على الإيمان، وباح به طائعًا، فعليهم غضب من الله، ولهم عذاب عظيم. وبنحو الذي قلنا في ذلك ورد الخبر عن ابن عباس.

حدثني علي بن داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾: «فأخبر الله سبحانه أنه من كفر من بعد إيمانه، فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم، فأما من أكره فتكلم به لسانه وخالفه قلبه بالإيمان لينجو بذلك من عدوه، فلا حرج عليه؛ لأن الله سبحانه إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم». اهـ.

* وجاء في «تفسير الطبري» أيضًا: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (٢٨) [آل عمران: ٢٨].

قال أبو جعفر: وهذا نهي من الله ﷻ المؤمنين أن يتخذوا

الكفار أعوانًا وأنصارًا وظهورًا ولذلك كسر ﴿يَتَّخِذْ﴾ لأنه في موضع جزم بالنهي، ولأنه كسر الذال منه للساكن الذي لقيه وهي ساكنة.

ومعنى ذلك: لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهرًا وأنصارًا توالونهم على دينهم وتظاهروهم على المسلمين من دون المؤمنين وتدلونهم على عوراتهم فإنه من يفعل ذلك ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ يعني بذلك: فقد برئ من الله وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُؤْا مِنْهُمْ تَقَنَّةً﴾ إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بالستكم وتضمروا لهم العداوة ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل.

كما: حدثني المثنى قال: حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنا معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس قوله: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: نهى الله سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار أو يتخذوهم وليجة من دون المؤمنين إلا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين فيظهرون لهم اللطف ويخالفونهم في الدين وذلك قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُؤْا مِنْهُمْ تَقَنَّةً﴾.

حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة قال: حدثني محمد بن إسحق قال: حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان الحجاج بن عمرو حليف كعب بن

الأشرف وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد قد بطنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر بن زبهر وعبد الله بن جبير وسعد بن خيثمة لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا لزومهم ومباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم! فأبى أولئك النفر إلا مباطنتهم ولزومهم فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

حدثنا محمد بن سنان قال: حدثنا أبو بكر الحنفي قال حدثنا عباد بن منصور عن الحسن في قوله: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: «لا يتخذ المؤمن كافرًا وليًا من دون المؤمنين».

حدثني موسى قال حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط عن السدي: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ﴾ إلى ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُوا مِنْهُمْ نِقَةً﴾ «أما أولياء» فيوالهم في دينهم ويظهرهم على عورة المؤمنين فمن فعل هذا فهو مشرك فقد برئ الله منه إلا أن يتقي نقاة فهو يظهر الولاية لهم في دينهم والبراءة من المؤمنين».

حدثني المثنى قال: حدثنا قبيصة بن عقبة قال: حدثنا سفيان عن ابن جريج عن عمن حدثه عن ابن عباس: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُوا مِنْهُمْ نِقَةً﴾ قال: الثقة التكلم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان.

حدثني المثنى قال: حدثنا إسحق قال: حدثنا حفص بن عمر قال حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُؤُوا مِنْهُمْ ثِقَةً﴾ قال: ما لم يهرق دم مسلم وما لم يستحل ماله.

حدثني محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلا مصانعة في الدنيا ومخالفة.

حدثني المثنى قال: حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله.

حدثني المثنى قال: حدثنا إسحاق قال: حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُؤُوا مِنْهُمْ ثِقَةً﴾ قال: قال أبو العالية: التقية باللسان وليس بالعمل.

حدثت عن الحسين قال: سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُؤُوا مِنْهُمْ ثِقَةً﴾ قال: «التقية باللسان من حمل على أمر يتكلم به وهو لله معصية فتكلم مخافة على نفسه وقلبه مطمئن بالإيمان فلا إثم عليه إنما التقية باللسان».

حدثني محمد بن سعد قال: حدثني أبي قال: حدثني عمي قال: حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُؤُوا مِنْهُمْ ثِقَنَ﴾ فالتقية باللسان من حمل على أمر يتكلم به وهو معصية لله فيتكلم به مخافة الناس وقلبه مطمئن بالإيمان فإن ذلك لا يضره إنما التقية باللسان.

وقال آخرون: معنى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُؤُوا مِنْهُمْ ثِقَنَ﴾ إلا أن يكون بينك وبينه قرابة. ذكر من قال ذلك: حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَكْفُؤُوا مِنْهُمْ ثِقَنَ﴾ نهى الله المؤمنين أن يوادوا الكفار أو يتولوهم دون المؤمنين وقال الله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُؤُوا مِنْهُمْ ثِقَنَ﴾ الرحم من المشركين من غير أن يتولوهم في دينهم إلا أن يصل رحمًا له في المشركين.

حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ قال: لا يحل لمؤمن أن يتخذ كافرًا وليًا في دينه، وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُؤُوا مِنْهُمْ ثِقَنَ﴾ قال: أن يكون بينك وبينه قرابة فتصله لذلك.

حدثني محمد بن سنان قال: حدثنا أبو بكر الحنفي قال: حدثنا عباد بن منصور عن الحسن في قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُؤُوا مِنْهُمْ ثِقَنَ﴾ قال:

صاحبهم في الدنيا معروفًا بالرحم وغيره فأما في الدين فلا». اهـ.

**** وفي «المستدرک»: حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني حدثني أبي ثنا همام ثنا محمد بن بشر العبدی قال: سمعت سفيان بن سعيد يذكر عن ابن جريح حدثني عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿لَا أَنْ تَكْتَبُوا مِنْهُمْ ثِقَةً﴾ قال: «التقاة التكلم باللسان والقلب مطمئن بالإيمان فلا نبسط يده فيقتل ولا إلى إثم فإنه لا عذر له». هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي في «التلخيص»: على شرط البخاري ومسلم.**

**** وفي «شعب الإيمان» للبيهقي: «السادس والستون من شعب الإيمان وهو باب في مباحدة الكفار والمفسدين والغلبة عليهم قال الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].**

وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَتَلْؤُا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾.

وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ إلى قوله: ﴿شَرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (١).

وقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ
أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَمِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

وقال: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ^ط وَمَنْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتِلُوا^{هـ} وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ
نَفْسَهُ^و وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٤﴾﴾ إلى غير ذلك من الآيات التي وردت في
كتاب الله في معنى ما ذكرنا قال: فدللت هذه الآيات وما في معناها على
أن المسلم لا ينبغي له أن يواد كافرين، وإن كان أباه أو ابنه أو أخاه، ولا
يقاربه، ولا يجريه في الخلطة، والصحبة مجرى مسلم منه، وإن بعد،
وبسط الكلام في شرح ذلك، وقد ذكرنا أكثر ذلك في كتاب السنن و
غيره من كتبنا. اهـ.

*** وجاء في مجموع الفتاوى لابن تيمية «١٤/٤٧٠»: «وَهَذِهِ الشُّبُهَةُ
وَاقِعَةٌ لِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَجَوَابُهَا مَبْنِيٌّ عَلَى ثَلَاثِ مَقَامَاتٍ: «أَحَدُهَا» أَنَّ
الْمُحَرَّمَاتِ قِسْمَانِ: «أَحَدُهُمَا» مَا يَقْطَعُ بِأَنَّ الشَّرْعَ لَمْ يُبَحِّ مِنْهُ شَيْئًا لَا
لِضَرُورَةٍ وَلَا لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ: كَالشَّرْكِ وَالْفَوَاحِشِ وَالْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ.
وَالظُّلْمِ الْمَحْضِ وَهِيَ الْأَرْبَعَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي
الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِ
سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴿٣٢﴾﴾. فَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ مُحَرَّمَةٌ فِي جَمِيعِ

الشَّرَائِعِ وَبِتَحْرِيمِهَا بَعَثَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ وَلَمْ يُبَيِّحْ مِنْهَا شَيْئًا قَطُّ وَلَا فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ».. اهـ.

*** وجاء في «مجموع الفتاوى» لابن تيمية «١٤/٤٧٥-٤٧٧»:

«وَقِصَّةُ الْخَضِرِ مَعَ مُوسَى لَمْ تَكُنْ مُخَالَفَةً لِشَرْعِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ وَلَا فَعَلَ الْخَضِرُ مَا فَعَلَهُ لِكَوْنِهِ مُقَدَّرًا كَمَا يَظُنُّهُ بَعْضُ النَّاسِ؛ بَلْ مَا فَعَلَهُ الْخَضِرُ هُوَ مَأْمُورٌ بِهِ فِي الشَّرْعِ بِشَرْطِ أَنْ يَعْلَمَ مِنْ مَصْلَحَتِهِ مَا عَلِمَهُ الْخَضِرُ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ مُحَرَّمًا مُطْلَقًا؛ وَلَكِنْ خَرَقَ السَّفِينَةَ وَقَتَلَ الْغُلَامَ وَأَقَامَ الْجِدَارَ فَإِنَّ إِتْلَافَ بَعْضِ الْمَالِ لِصَلَاحِ أَكْثَرِهِ هُوَ أَمْرٌ مَشْرُوعٌ دَائِمًا.

وَكَذَلِكَ قَتْلُ الْإِنْسَانِ الصَّائِلِ لِحِفْظِ دِينٍ غَيْرِهِ أَمْرٌ مَشْرُوعٌ وَصَبْرُ الْإِنْسَانِ عَلَى الْجُوعِ مَعَ إِحْسَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ أَمْرٌ مَشْرُوعٌ.

فَهَذِهِ الْقَضِيَّةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَكُونُ مِنَ الْأُمُورِ مَا ظَاهِرُهُ فَسَادٌ فَيَحَرِّمُهُ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْحِكْمَةَ الَّتِي لِأَجْلِهَا فُعِلَ وَهُوَ مَبَاحٌ فِي الشَّرْعِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا لِمَنْ عَلِمَ مَا فِيهِ مِنَ الْحِكْمَةِ الَّتِي تُوَجِّبُ حُسْنَهُ وَإِبَاحَتَهُ.

وَهَذَا لَا يَجِيءُ فِي الْأَنْوَاعِ الْأَرْبَعَةِ فَإِنَّ الشَّرْكَ وَالْقَوْلَ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ وَالْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالظُّلْمَ: لَا يَكُونُ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَصْلَحَةِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ أُبَيِّحَ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ؛ فَلَيْسَ مِنَ الْأَرْبَعَةِ.

وَكَذَلِكَ إِتْلَافُ الْمَالِ يُبَاحُ فِي حَالِ دُونَ حَالٍ وَكَذَلِكَ الصَّبْرُ عَلَى الْمَجَاعَةِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، فَإِخْلَاصُ الدِّينِ لَهُ وَالْعَدْلُ وَاجِبٌ مُطْلَقًا فِي كُلِّ حَالٍ وَفِي كُلِّ شَرَعٍ؛ فَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَيَدْعُوهُ مُخْلِصًا لَهُ لَا يَسْقُطُ هَذَا عَنْهُ بِحَالٍ وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا أَهْلُ التَّوْحِيدِ وَهُمْ أَهْلُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

فَهَذَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ كَمَا فِي «الصَّحِيحِينَ» مِنْ حَدِيثِ مُعَاذٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «حَقُّهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ لَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...» الْحَدِيثُ. فَلَا يَنْجُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ دِينَهُ وَعِبَادَتَهُ وَدَعَاهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِهِ وَلَمْ يَعْبُدْهُ فَهُوَ مُعْطَلٌّ عَنْ عِبَادَتِهِ وَعِبَادَةِ غَيْرِهِ: كَفَرَعُونَ وَأَمْثَالِهِ فَهُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِنْ الْمُشْرِكِ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَهَذَا وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ فَلَا يَسْقُطُ عَنْ أَحَدٍ أَلْبَنَتُهُ وَهُوَ الْإِسْلَامُ الْعَامُّ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ دِينًا غَيْرَهُ... فَيَجِبُ الْفَرْقُ فِي الْوَاجِبَاتِ وَالْمُحَرَّمَاتِ - وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَهُمَا هُوَ اللَّازِمُ لِكُلِّ أَحَدٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَهُوَ الْعَدْلُ فِي حَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ عِبَادِهِ بِأَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَمَا هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ فِي كُلِّ حَالٍ لَا يُبَاحُ مِنْهُ شَيْءٌ وَهُوَ الْفَوَاحِشُ وَالظُّلْمُ وَالشُّرْكُ وَالْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ - وَبَيَّنَّ مَا سَوَى ذَلِكَ». اهـ.

** وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «منهاج السنة النبوية» (٦/٤٢٣-٤٢٥): «وأما قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُرُوا مِنْهُمْ تَقْنَةً﴾، قال مجاهد إلا مصانعة، والتقاة ليست بأن أكذب وأقول بلساني ما ليس في قلبي فإن هذا نفاق ولكن أفعل ما أقدر عليه كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

فالمؤمن إذا كان بين الكفار والفجار لم يكن عليه أن يجاهدهم بيده مع عجزه ولكن إن أمكنه بلسانه وإلا فبقلبه مع أنه لا يكذب ويقول بلسانه ما ليس في قلبه إما أن يظهر دينه وإما أن يكتمه وهو مع هذا لا يوافقهم على دينهم كله بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون وامرأة فرعون وهو لم يكن موافقاً لهم على جميع دينهم ولا كان يكذب ولا يقول بلسانه ما ليس في قلبه، بل كان يكتم إيمانه، وكتمان الدين شيء وإظهار الدين الباطل شيء آخر فهذا لم يبيحه الله قط إلا لمن أكره بحيث أبيح له النطق بكلمة الكفر والله تعالى قد فرق بين المنافق والمكره.

والرافضة حالهم من جنس حال المنافقين لا من جنس حال المكره الذي أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، فإن هذا الإكراه لا يكون عاماً من جمهور بني آدم، بل المسلم يكون أسيراً أو منفرداً في

بلاد الكفر، ولا أحد يكرهه على كلمه الكفر، ولا يقولها ولا يقول بلسانه ما ليس في قلبه وقد يحتاج إلى أن يلين لناس! من الكفار ليظنوه منهم وهو مع هذا لا يقول بلسانه ما ليس في قلبه بل يكتم ما في قلبه.

و فرق بين الكذب وبين الكتمان فكتمان ما في النفس يستعمله المؤمن حيث يعذره الله في الإظهار كمؤمن آل فرعون وأما الذي يتكلم بالكفر فلا يعذره إلا إذا أكره والمنافق الكذاب لا يعذر بحال ولكن في المعاريض مندوحة عن الكذب». اهـ.

وعليه؛ فلا إكراه في المكفرات، إلا على مستوى النفس، لاسيما التي تتعدى إلى الآخرين كـ«التشريع»، فكما أنه لا يقبل بالإجماع الاعتذار بالإكراه في قتل الآخرين من المسلمين إبقاء على نفسه هو، فإن الكفر والشرك أعظم من ذلك وأكبر، فلا إكراه في إكفار الآخرين بدعوى المحافظة على النفس، أو الملك والرياسة، فهذا هرقل صَنَّ بملكه، فلم يعذر بالإكراه محافظة على ملكه.

ففي شرع الله تعالى مَنْ مَلَكَ فعليه أن يحكم بشرع الله تعالى وحده لا شريك له، لا بحكم الطاغوت، فإن عجز فليتنح، كما في «صحيح البخاري»: «وَقَالَ الْحَسَنُ أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْحُكَّامِ أَلَّا يَتَّبِعُوا الْهَوَى، وَلَا يَخْشَوْا النَّاسَ: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى

فِيضْلَكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا
يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٦٦﴾، وَقَرَأْ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا
اسْتُحْفِظُوا﴾ اسْتَوْدِعُوا ﴿مَنْ كَتَبَ اللَّهُ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ فَلَا
تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَآخِشِينَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾.

وفي «صحيح البخاري»: «وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَدِيِّ
بْنِ عَدِيٍّ إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ وَشَرَائِعَ وَحُدُودًا وَسُنَنًا، فَمَنْ اسْتَكْمَلَهَا
اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ، فَإِنْ أَعِشَ
فَسَأْبِئْنَهَا لَكُمْ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنْ أُمْتُ فَمَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ
بِحَرِيصٍ». انتهى.

وبناء عليه فلا يجوز مطلقاً ولا يسوغ أبداً الاحتجاج بالتقية
لإيقاع الأمة في الكفر، أو البقاء فيه مع الحكم به في رقاب العباد
والبلاذ بالكفر، فإنما التقية على مستوى النفس خاصة نجاة من هلكة
تعرضت لها.

وإذا كان لا يجوز للأب مثلاً أن يحمل أهل بيته على النصرانية
أو غيرها من ملل الشرك لكونه معرضاً للقتل أو نحو ذلك، فمن باب
أولى الحاكم والراعي العام.

وهنا نقول للمتَحَذِرِينَ والمتَفَلِّسِينَ الذين يَدْعُونَ قُدْرَةً فائقة على إدراك السِّيَاسَةِ التي يسمونها زُورًا بالشرعية، وأن عندهم فهمًا عميقًا لعلم الأصول، إنكم لَسْتُمْ على شيء إن كان هذا ما أَدَّتْكُمْ إليه هذه القدرات المزعومة وهذه العلوم المذمومة، ولسنا منها في شيء، وإنما حالنا معها كحال السلف الصالح مع أصحاب العقليات والفلسفات وعلم الكلام الجاهلي والمنطق اليوناني الجدلي؛ حيث لم يلتفتوا إليهم، ولا يُعَرَّجُوا عليهم إلا بالذم والتَّقْرِيع والتَّوْبِيخِ والفُضْحِ والتَّحْذِيرِ، مُعْلِنِينَ استغناءهم عن كلِّ هذه الترهات وكلِّ يسمونه بالمنطق والعقليات وفقه الواقع المرر رضوخًا له، ومُظْهِرِينَ البراءة مِنْ كُلِّ عِلْمٍ ورأيٍ مُضَادٍّ لما كان عليه النبي ﷺ والصحابة الكرام ﷺ، عملاً بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

وقوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وحذر من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَيَ لَهُ ۖ أَلْهَدَىٰ وَيتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

• حسن المقصد لا محل له في هذه المقامات العلية العلية:

ولنعلم كذلك أنه لا دخل لحسن المقصد هنا، ولا ينتفع به صاحبه، ولا يُعَدَّرُ بكونه لديه خطة مستقبلية للتغيير مع استعلانه بالكفر ودعوته إليه وحمايته للشرك وأهله؛ فإن هذا كله ليس بنافعه شيئاً، وقد رَكِبَ الكفر الأكبر رَضِيَ أَمْ أَبَى، ولا التفات لهذه المصالح التي هي دون مصلحة التوحيد الذي هو حق الله تعالى على العبيد، كقولهم حققنا نجاحاً في فتح المساجد وأصبح كثير من الناس يَرْتَادُونَهَا، وصار عدد ليس بالهين يُصَلِّي، وتحقق كذا وكذا، فإن كل هذا لا عبرة به في مقابلة التوحيد وتضييع حق الله تعالى فيه، ولو قبل مثل هذا مع البقاء على الاستعلان بالشرك والكفر لكان هذا من أيسر ما يكون على المشركين أَنْ يُبَادِرُوا به وَأَنْ يُعْطُوهُ، وقصة الرسل مع أقوامهم واضحة جليلة في ذلك، بل كان بعض المشركين يفعل بعض هذه الأعمال، ولكن مع ذلك أهدرها الله تعالى، وَبَيَّنَّ أنها لا تنفع إلا مع تحقيق التوحيد الخالص لله رب العالمين.

وتأمل هذه الآيات، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (١٧) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ

أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴿١٨﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴿١٩﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾ [التوبة: ١٧ - ٢٠].

وقال تعالى في قبول قوم شعيب شأن الصلاة ولكنهم اعترضوا على توحيد الله تعالى في الأموال وصرف العبادات إليه وحده لا شريك له: ﴿قَالُوا يَشْعِبُ أَصْلُوتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَيْكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٨﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَيْكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٩﴾ ﴿٨٩﴾ وَأَسْتَغْفِرُكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَشْعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴿٩١﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ ﴿٩٢﴾ [هود: ٨٧ - ٩٢].

وفي «صحيح مسلم» عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ الْمُسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟، قَالَ: «لَا يَنْفَعُهُ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ».

كما أنه لا اعتبار بالمقاصد الحسنة التي تجعل من التوحيد في درجة متأخرة، أو تجعله محلاً للتدرج وأخذ الناس إليه رويداً رويداً، مع البقاء على العمل بالكفر والشرك والاستعلان به ريثما يَسْنَى ذلك ويتمكن؛ فإن التوحيد ليس قابلاً للتدرج، بل ما هو إلا إيمان أو كفر، وإنَّ عمل الرسل في الكتاب والسنة واضح جلي في هذا المقام، الذي لا أعظم منه في الانتصار لحق الله تعالى.

وتأمل في هذه الآيات، قال الله تعالى: ﴿يَصْلَحِي السَّجْنَ

ءَآزِبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠].

ويقول: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَادَفْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْهَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء: ٧٤، ٧٥].

وَيَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رُسُلِهِ ۚ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللّٰهِ وَمَلَٰئِكَتِهِ ۚ وَكُتُبِهِ ۚ وَرُسُلِهِ ۚ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللّٰهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ ۚ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ۚ ٱلَّذِينَ يَتَخَذُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ؕ أَيْبَنُوعُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةُ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ۚ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَن إِذَا سَمِعْتُمْ ءَابِئَ ٱللّٰهِ يُكْفِرُ بِهَا وَيُسَنِّهَهَا بِهَا فَلَا تَتَّبِعُوا مَعَهُم حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ ؕ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلَهُم ۚ إِنَّ ٱللّٰهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَافِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٣٦ - ١٤٠].

وعليه؛ فلا يُلتَقَتْ إلى شبهة الإكراه ولا حسن المقصد أَلْبَتَّةً،
 بدعوى الاستضعاف والضغوطات والمكر العالمي، فإن الرُّسل قد
 وُجِّهُوا بمثل هذه الضغوطات وما ذَكَرَهُ هؤلاء بل وأشدَّ وأعظم.

ومع أنهم عليهم الصلاة والسلام كانوا هم الأَرْحَمَ بأممهم والأحرص على نجاتهم وهدايتهم وتخليصهم من الوَرَطَات ومن أعدائهم إلا أنهم لم يَفْهَم أَحَدٌ منهم ﷺ أبداً أن هذا الاستضعاف هو من الإكراه الذي يَسُوغُ معه انتِقَاصُ التَّوَحُّيدِ، أو أن يكون محلاً

للمساومات وأنصاف الحلول، أو أن يكون قابلاً للتَّمَوُّيه أو التَّحَايُل أو التَّدْرُج، فضلاً عن التبديل والانتساب إليه والعمل به، تحت أي دعوى أو مقصد أو مصلحة مطلقاً، بل ما هو إلا التوحيد أولاً وقبل كل شيء، ولا شيء قبل التوحيد ألبتة، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عِقَبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

● شبهة إن ناقل الكفر ليس بكافر:

● والجواب: أن الأدلة وسبيل المؤمنين لم تفرق بين أن يأتي العبد بالعلمانية والتشريعات الجاهلية من عند نفسه وبين أن يجدها أمامه فيركبها ويطبّقها ويعمل عليها وبها؛ إذ هما بمعنى واحد تماماً في هذا الباب، وربما تفاوتتا في درجة الكفر إلا أنهما شركاء فيه قطعاً.

وعليه فنقول إن اشتراط كون المشرع لا يكفر إلا إذا أنشأه من عند نفسه فقط، وأما إذا كان مقلداً لغيره فلا يكفر، كمن وجد تشريعاً طاغوتياً فعمل به، بدعوى أنه لم ينشئه هو ابتداءً، هو قول فاسد ساقط لا أصل له، وشرط باطل لا عبرة به، بل وله لازم فاسد، وهو أنه لا يكفر بهذا الاعتبار إلا إبليس؛ لأنه ما من مُشَرِّع بالطاغوت إلا والشيطان هو الذي أوحى إليه بذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا

﴿۱۵﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰٓءَآدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿۱۶﴾ وَإِنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿۱۷﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿۱۸﴾ ﴿يس: ۶۰-۶۴﴾.

وعليه؛ فلا يَحِلُّ الاحتجاج بمسألة أَنَّ ناقل الكفر لا يلزم أَنْ يكون كافراً، إذ إننا نقول: إِنَّ كونه لم يكفر بذلك هو لكونه لم يُفَرِّهْ،

ولم يعمل به، ولم يتَّبَنَّهُ، ولم يَنْسَبْ إليه، وأما إذا فعل شيئاً من ذلك فقد كفر بذلك عياداً بالله، لهذا المعنى الزائد على مجرد الحكاية والنقل، وهذا ما وقع فيه «الحاكم العلماني» في تركيا وغيره من طواغيت الحكم والتشريعات الجاهلية والديمقراطية.

وعلى كل؛ فإن صاحب الهوى لم ولن يزال يلقي الشبه على الهدى ليدحضه، ولكن هيهات هيهات، فإنه ما من شبهة إلا وفي كتاب الله تعالى وستة نبيه وسبيل المؤمنين ردها وتفنيدها، عَلِمَ ذلك مَنْ عَلِمَهُ وَجْهَهُ مَنْ جَهِلَهُ، وإنما قلت هذا حتى لا يتَوَهَّم عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يَسْتَدِلَّ مِنْ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى بما يكون عوناً على هضم حق الله تعالى بالتوحيد الخالص وهدماً له وخصماً عليه، كلا والله، بل لا يظفر ولا بحرف واحد من ذلك، وإنما هي الأهواء واتباع المتشابه، ولكن في نهاية المطاف يبقى الحق بارزاً ظاهراً لكل ذي عينين، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ (١٦) ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ هَوَاً لَا تَخَذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُنَّا فَعَلِينَ﴾ (١٧) ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ (١٨) [الأنبياء: ١٦ - ١٨].

وقال ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَ الْغُيُوبِ﴾ (٤٨) ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ﴾ (٤٩) ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ رَبِّيَ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ (٥٠) [سبا: ٤٨ - ٥٠].

وقال تَجَالَلَهُ: ﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٩٠) مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ (٩١) عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢) ﴿[المؤمنون: ٩٠ - ٩٢].

● الفرق بين علمانية أتاتورك و«علمانية الحاكم العلماني اليوم»:

وطالما أن القوم جعلوا من «الحاكم العلماني التركي» مثلاً عملياً لما نحن فيه من الحديث عن الدخول في الكفر لنصرة الإسلام، فلا بد أن نَسْتَضَحِبَ أنَّ النُّقَادَ يَبْنُوا أنَّ العلمانية تنقسم إلى قسمين:

١- علمانية دِكْتَاتُورِيَّة مُشَدَّدَة، ومِثَالُهَا «أتاتورك»:

وهي التي تقوم على النُّظَرَةِ الإِقْصَائِيَّةِ لِلدِّينِ والتَّدَيُّنِ جملة وتفصيلاً، فلا محل للدين في شيء من مَنَاحِي الحياة مطلقاً، ولا في الأحوال العامة الظاهرة مُطلقاً، بل الدين خاص بالعبد في خاصة نفسه، وهي امتداد للنظرة الإلحادية الشيوعية الماركسية القائمة على أنَّ الدِّينَ أَفْيُوتُ الشُّعُوبِ، وأنَّ ما لله لله وما لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ.

٢- علمانية مُعْتَدِلَة، ومِثَالُهَا «أردوغان»:

وهي التي تُكْفَلُ حَقَّ التَّدَيُّنِ للجميع، وتَقِفُ المؤسسة الحاكمة فيها على مَسَافَةٍ مُتَسَاوِيَةٍ مِنَ الجميع، فكل دينٍ يجب احترامه، وكل

خيار مطروح يجب على الحكومة حمايته وحماية أصحابه، فللمُشرك شركه، وللملحد إلحاده، وللصوفيّة بنوعيتها الشّركي والبِدعي الحماية التّامة والرّعاية والكفالة بل والدّعم والتأييد، وكذا أصحاب الفكر العلماني المتشدد لهم ذلك في إطار القانون، ويذهب أردوغان سنويًا ليقف وقفة الاحترام والتبجيل لقبر كمال أتاتورك، وللشواذ - أصحاب عمل قوم لوط - حقهم في ممارسة هذه الفاحشة التّينة الخبيثة، بل وعقد النكاح بين ذكرٍ وذكرٍ إن شاءوا، وكذا لو نادى أنثى أن تنكح أنثى فلها ذلك، وكفى بذلك كُفْرًا ومُفارقةً للإسلام وخلعًا لربقة الإيمان، بل وكل شيطان رجيم وكل قول أو فعل كافر أو فاجر مشين يجب احترامه وحمايته، وكذلك مَنْ أراد أن يوحد الله فليفعل، ومَنْ أراد أن يصلي فله ذلك، ومَنْ أرادت أن ترتدي الحجاب فلتفعل، وهكذا فمن كلّ نار جَمرة، ومن كلّ بُستان زهرة.

والله تعالى يقول: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ [المؤمنون: ١١٥ - ١١٧].

ويقول: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُونَهَا

وَتُخَفُّونَ كَثِيرًا وَعِلْمُهُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَسْمَاءَ آبَائِكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْتَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴿[الأنعام: ٩١ - ٩٤].

• أيهما أخطر: العلمانية المعتدلة، أم المتشددة؟

أولاً لا بد أن نُقرَّ أن الكل كفر أكبر بالله رب العالمين؛ إذ لا محل للإسلام هنا مطلقاً، فلا ناقة له في العلمانية ولا جمل، وليس بينهما أدنى قاسم مشترك، بل لا تقوم العلمانية والديمقراطية بكل أنواعها إلا على أنقاض الإسلام، ولما كتب الله تعالى العلو والظهور للإسلام؛ علمنا يقيناً أن العلمانية والديمقراطية ستذهبان إلى مَرَبَلَةٍ التَّارِيخِ، إن وجدتا لهما مكاناً في محلّ التَّيْنِ مِنَ التَّارِيخِ، وإلا فهي في النار.

فلا فرق بين هذين النوعين من العلمانية، فكلاهما نَجَسٌ، كما أنه ليس في الفُتْرَانِ فَأَرْ طَاهِرٌ.

والآن نعود للإجابة على هذا السؤال المهم: أيهما أخبث وأخطر العلمانية المعتدلة أم المتشددة؟

فنقول: إن المتأمل يجد أنَّ العلمانية المتشددة تنظر للإسلام على أنه عَدُوٌّ أَحْمَرٌ يجب القضاء عليه؛ ولهذا هي تريد إقصاءه وإلغاءه تمامًا، وهذا أمر مُتَعَذِّرٌ تمامًا شَرْعًا وَقَدَرًا ووَاقِعًا؛ ولهذا نَجِدُ أَنَّ هذا النَّوعَ من العلمانية يُحَرِّكُ الشُّعُوبَ، وَيُهِيجُ الْمَشَاعِرَ الإسلامية، وَيُوجِدُ حِسًّا بِالْعَدَاوَةِ وَضُرُورَةَ وَحْتِمِيَّةِ النَّزَالِ مع هذه العلمانية؛ ولهذا سرعان ما يَثُورُ عليها المسلمون وَيَقْضُونَ عليها، فهي حقيقة تكون سببًا في يَقْظَةِ الشعوب الإسلامية، وتزيدها قوة واستمساكًا بالحق والموت في سبيل الله، طال الزمان أو قصر.

أما العلمانية المعتدلة فإنها تمارس الكفر الصراح ولكن بنعومة ودهاء، فهي تطعن في الدين طعنة نجلاء، وتسحب البِساطَ مِنْ تحت المخالفين لها، بإعطائهم مساحة مِنَ التَّدْيُنِ يتحركون فيها ومن خلالها، ولكن الكفر الأكبر محفوظ مَصُونٌ، وهو المتمثل في علمانية الدولة وجيشها، ودستورها وقانونها، وعلاقاتها الداخلية والخارجية، والحاكم فيها يخرج ويقول بالفَمِ المَلَأَن: إنه علماني ودولته علمانية،

فالدينُ لا يحكمها بشيء مطلقاً، بل ولا يقبل ذلك أصلاً.

ولهذا فهي تتحالف مع الكفار ضد المسلمين وتُظَاهِرُهُمْ على المسلمين، وتحمي جميع أنواع الكفر بقانونها، وليس للمسلم أن يعترض وذلك باعتبار أنه هو كذلك يمارس شعائر دينه، لكنه ليس من حَقِّه أن يُطالبَ بتطبيق كتابه وهو القرآن الكريم، ولا أن يفرض تعاليم الإسلام على المسلمين، ولا شيء من الشعائر، لأن العلمانية تمنع ذلك مطلقاً، فالشعوب مُدَجَّنة تماماً، بل ويمارس التلبس في الدين بأظهر صوره؛ حيث تستقبل الدولة الرابطات الشرعية والعلمية، وتطبع المصاحف، وتبني المساجد، وتقدم لها الحماية والرعاية، كما أنها تفعل ذلك مع كل أطروحات الكفر والرَّذَّةِ والزُنْدَقَةِ والفجور ودورها ومؤسساتها.

والمعنى: أنه في العلمانية المتشددة الأصل أن الدولة وحدها هي التي تعيش حالة الكفر وتمارسه، وتَقَهَّرَ الشعب به، ويبقى المسلم غريباً بدينه ولكنه مستمسك به على تخوُّف، وأما في العلمانية المعتدلة فإن المجتمع يعيش حياة التعددية الدينية واللادينية كذلك، بلا أدنى نكير، فالجَوُّ العام هو جَوُّ النِّفاق الذي يُمارَسُ بِكُلِّ نُعوْمَةٍ وسَلَاسَةٍ، عياداً بالله، والمجتمع مُعَيَّبٌ مُتَلَاعِبٌ بِدينه، فللكفر صَوْلَتُهُ وجَوْلَتُهُ هناك، ولكل إلحاد وزندقة وفجور محله ومكانه المعتبر، بينما

الحكومة تمارس الرِّدَّةَ بأصرح ما يكون.

ولا شك ومن المقطوع به أن الكفر الصراح هو أقل خطراً على الأمة الإسلامية من حياة النفاق.

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يُحْسِبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَلَّهْمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون: ١ - ٤].

وعليه؛ فلا شك أن العلمانية المعتدلة كما يُسمونها، هي أخطر وأخبث على الإسلام والمسلمين من تلك المتشددة؛ ولهذا قَبِلَتْهَا أمريكا في تركيا، بل وتسعى إلى تَدْشِينِهَا لشعوب أخرى مع التَّصَوُّف، فكلاهما تَرَاهُ أمريكا معتدلاً يقبل الاستعباد الأمريكي الاستعماري التوسعي، ومن خلا لهما تقضي على الإسلام المتطرف في نظرها شيئاً فشيئاً، والمقصود بالإسلام المتطرف في قاموسها هو الإسلام الذي يطبق القرآن والسُّنَّةُ كما طبقه النبي ﷺ وعاشه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، إسلام فيه ولاء وبراء حقيقي، وفيه الجهاد في سبيل الله بكل أنواعه، وفيه نشر للإسلام في الخافقين بالكتاب الهادي والسيف الناصر، وفيه خلافة

تجمع شتات المسلمين وتهدم حدود الكفار المستعمرين، بل وتسعى في القضاء عليهم، وهذا ما يُسمَّيه سَاسَةُ الْعَرَبِ بـ«الْمَارِدِ النَّائِمِ» أَوْشَكَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ، ولكنهم يعملون على تخديره أكثر وأكثر، فوجدوا بُغْيَتَهُمْ في هذه الأصناف وهي: الرافضة، الصوفية، العلمانية المعتدلة، الديمقراطية.

ومن عجائب القوم وعجائبهم جمة لا تكاد تنقضي في هذا الملف، أن بعضهم تَمَاهَى مع فِكْرَتِهِ حتى صار يرى في أردوغان القائد الْمُلْهِمَ الْقَدَّ الْفَرِيدَ في عالمنا، وأنه أَمَلُ الأُمَّة وَرَمَزُ عِزَّتِهَا، نسال الله العافية والسلامة مِنْ زَيْغِ الْأَبْصَارِ وَطَمَسِ الْبَصَائِرِ.

بل وذهب بعضهم إلى ما هو أبعد مِنْ هذا حيث صَوَّرُوا الرَّجُلَ على أنه مِنَ الدَّهَاءِ وَالذَّكَاءِ بِمَكَانٍ؛ حيث استطاع بالعلمانية أَنْ يَلْتَفَّ على العلمانية، وأنَّ يمكن لبعض الحقائق الإسلامية والأعمال والمشاريع الدعوية.

وهذا الكلام حقيقة هو مِنَ الْمُضْحِكِ الْمُبْكِي، وإني حقيقة لا أعلم هل هذا المتكلم يَعِي ما يقول أم أنه مُغَيَّبٌ عن واقع العلمانية المائل اليوم في العالم مِنْ حوله؟!.

أم أنها المحاولات اليائسة لإقناع النفس والأتباع بِجَدْوَى هذا الطرح، وصلاح هذا المسلك العلماني في اللحظة الراهنة؛ ولهذا تراه

يقول: هكذا فهُمُّهُ للعلمانية يعني: أردوغان، ويمكن أن نتحاور معه في ذلك، وكأن الأمر في غاية البساطة.

فنقول لهذا المفتون أو ذاك: أفق يا هذا! فإن أردوغان إنما يُمارس وبامتياز الكفر الصراح والشرك البواح، ويتباه بأصرح عبارة وأظهرها.

ثم نقول لهم: وأي ذكاء ودهاء هذا الذي تتكلمون عنه؟!، إن هذا النوع من العلمانية تُمارسه أمريكا نفسها وكثير من دول الغرب كذلك؛ ولهذا تجد المراكز الإسلامية في تلك البلاد أحياناً أكبر من تلك التي في بلاد المسلمين، وهناك الحجاب وهناك الأذان وهناك المساجد الضخمة الكبيرة وهناك القرآن وهناك كذا وكذا مما يسمى بالمظاهر الإسلامية، ولكن في نهاية المطاف الحاكم في رقاب العباد والبلاد هو الكفر البواح بالله تعالى، والصوت العالي هو للشرك الصراح بالله ﷻ، ولكن كما تقدم إن أمريكا والمجتمع الغربي من ورائها وجدت حظاً من بُغْيَتِها في هذا الطرح الأردوغاني، وإلا فإن الرجل لم يأت بشيء جديد، ولم يُضِفْ إلى الفكرة أدنى شيء، بل هو مُطَبِّقُ حَرْفِيٍّ لها، وَلَكِنَّا فِي زَمَنِ التَّيِّهِ وَالضَّيَاعِ، وكما قيل:

يُقْضَى عَلَى الْمَرْءِ فِي أَيَّامِ مَحْتَرِهِ

حَتَّى يَرَى حَسَنًا مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ

• وأعود وأقول: إِنَّ العلمانية المعتدلة أخطر وأخبث بكثير كثير من تلك المتشددة، ولعل من شاهد الواقع اليوم، ما يمارسه الرئيس الأمريكي السابق ترامب، وما كان يمارسه أوباما ؛ حيث ترى في خطاب ترامب الصورة الواضحة للعلمانية المتشددة تجاه الإسلام، وفي الأسبق ترى العلمانية المعتدلة، ولك أن تقارن الآن أثر هذين الخطابين والعلمانيتين على أمة الإسلام.

إنه وبأدنى تأمل نجدُ أَنَّ العلمانية المتشددة في خطابها تجاه الإسلام، حَرَّكَتِ المشاعر الإسلامية، واستحضرت الأمة أكثر من ذي قبل بل وسريعاً مفهوم العداء مع الكفر العالمي، وصارت تَتَلَوُ وَتَبْمَعُنُ وتفكر قول الله تعالى: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ ۚ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

بينما في العلمانية المعتدلة التي تسمى بالناعمة؛ فإنها كانت تَذْبَحُنَا في كل مكان ولكن بِسِكِّينٍ بَارِدَةٍ، وَتَسْوِمُنَا العذاب والنكال ولكن بِمَكْرٍ ودهاء، وتحارب الإسلام بخبث عظيم كُبَّار، حتى أصبحنا نمارس معها هذه الحرب، ونردد كلماتها، من حيث لا نشعر، بل وأحياناً نقاتل بالوكالة عنها، ويكيد بعضنا لبعض تقرباً لها، والجموع الإسلامية مُغْتَرَّةٌ بهذا، ولا تكاد تميز عدوها من صديقها، بل

وبعضهم يلهث وراءها، ويرى فيها النموذج الأمثل والقذوة في كذا وكذا من المعاني القيادية المتحضرة، فبالله عليكم أيهما أخطر على الإسلام وأهله؟.

ولهذا قال الرئيس أوباما لترامب : إنك لا تحسن كيف تتعامل مع هذا الملف، يعنى الملف الإسلامي وأحداث الشرق الأوسط كما يُسمَّى.

فائدة: ذَكَرَ بعض النُقَادِ أَنَّ كلمة علمانية تَصِحُّ بفتح العين وكسرها، «عِلْمَانِيَّة» و«عِلْمَانِيَّة»، ويجعلون التي بفتح العين للمتشددة، والتي بكسرها للمعتدلة، وهناك مَنْ مَنَعَ التي بفتح العين، وقال هي فقط بكسرها، وعلى كُلِّ؛ فالكل كفر وزندقة وإلحاد.

● فتح تركيا «القسطنطينية - إسطنبول»:

جاء في «صحيح مسلم» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَاقٍ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ فَإِذَا تَصَافَوْا قَالَتِ الرُّومُ خَلَوْا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَّوْا مِنَّا نَقَاتِلُهُمْ؛ فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللَّهِ لَا نَخْلِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ وَيَفْتَحُ الثُّلُثُ لَا يُقْتَنُونَ أَبَدًا فَيَنْتَحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَقُوا سُيُوفَهُمْ

بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ؛
فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ بَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ
يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ فَإِذَا
رَأَاهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لَأَنْذَابَ حَتَّى
يَهْلِكَ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ».

● البرلمانات إرصاداً لمن حارب الله ورسوله:

واعلم أن كل دائرة أو موقع يُدار فيه الكفر والزندقة، فأنت مطالب
باجتنابه تماماً، وإياك أن تقربه أو تُدْخِلَ أهله بدعوى المصالح والمفاسد،
فالحذر الحذر؛ فإنه إذا كان الله تعالى قد نهى نبيه ﷺ عن القيام في مسجد
ظاهره أَنَّهُ بُنِيَ لِلَّهِ تعالى، ولكنَّ حقيقته كان اتفاقاً بين اليهود والمنافقين
للمكر بالإسلام وأهله، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا
لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ
يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

مع أنه كان بالإمكان أن يُغَيَّرَ فيه، وأن يُنْصَبَ إماماً من عنده،
ونحو ذلك، ولكنَّها الهِدَايَةُ الرَّبَّانِيَّةُ، لقد جاء الأمر واضحاً وحاسماً
لكل قول أو رأي أو ظن: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾، ليعلم الجميع أَنَّ
دَوْرَ الباطل يجب اعتزالها جملة وتفصيلاً، فأين مسجد الضرار من
هذه البرلمانات الكفرية، التي فيها أرباب متشاكسون؟!.

وكذلك فعل النبي ﷺ مع دَارِ النَّدْوَةِ، والتي هي مَكْرُمَةُ قريش، وِبَرَكَمَانُهَا الكفري؛ حيث تُدَارُ فيه الأمور والمكر الكبار، ومنه تنطلق التشريعات الجاهلية، فلم يدخل النبي ﷺ هذه الدَّارَ قَطُّ، بل أسس دارا للحق لتكون منطلقاً لدعوته وإرساداً لمن آمن بالله ورسوله، ألا وهي دار الأرقم بن أبي الأرقم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، هكذا هي دعوة الرسل، لا لبس فيها ولا غبش، بل هي المفصلة التامة للكفر والكافرين وللشرك وأهله، وإعلان البراءة منهم ومن أربابهم وآلهتهم.

هكذا كانت دعوة النبي ﷺ وطريقته، فدَخَ عنك بُنْيَاتُ الطريق، والآراء الفاسدة، ووساوس الشياطين وتَلَبُّسَاتُهُ، التي أَفْضَتْ بأقوام إلى الدخول في خطة الكفر والكافرين، بل ودَعَا الأمة إلى ذلك.

فلا تَغْتَرَّ بكثرة القائلين بجواز ذلك، فإنما هو الحق تُعْرِفُ به الرِّجَالُ وتُمَيِّزُ الْأَقْوَالَ، ويُحْكَمُ عليها به، فَلَسْنَا نَعْرِفُ الْحَقَّ بالرجال. فتنبه فإنه مقام خطير زَلَّتْ فيه أقدام وضَلَّتْ أفهام.

فيا أيها العلماء والدعاة، أما علمتم أن دخولكم في مثل هذا الخبث، يمثل جِنَايَةً عَظْمَى على عقيدة الولاء والبراء.

فبدلاً عن أن تكونوا أئمة يُهْتَدَى بكم، باتباعكم لإمام الحنفاء محمد ﷺ، الذي اتبع الحنيف الخليل ﷺ، ناشرين لها داعين إليها؛ إذا بكم تقومون مقام المداخل للطاغوت، الملتزم بأجندته، والمُوقَّع

على دستوره وقانونه، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا سَغْفِرَ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ [المتحنة: ٤، ٥].

وأخيراً: أنظر أخي المغتر بهذا السراب، ألا ترى أنك أصبحت بوقاً يجادل عن العمليّة الكفرية، وأنت أوشكت أن تصبح فرداً من منظومتها، وأنت لا للباطل كسرت، ولا للحق نصرت وأظهرت، وإنما هو التلبيس على الأمة والضيايع.

ثم أذكرك بحقيقة حتميّة، مبنية على المعطيات الواقعية، والممارسة العملية، التي وقعت عليها.

بل وفوق ذلك هي مُسَطَّرَةٌ في كتاب الله تعالى، الذي حذر من الركون إلى الكفار والمشرّكين، والمُذَكَّرُ بقول المنافقين: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ ﴿١٢﴾ [النساء: ٦٢]، والمُحَذَّرُ من خُطُواتِ الشَّيَاطِينِ، وشِدَّةِ حَسَدِ الكافرين، وحبهم لموافقتهم، كخطوة تجرُّ ما بعدها إلى الوقوع في كفرهم.

أَنْكُ وَإِنْ تَسَلَّمْتَ الْحُكْمَ فِي نِهَآيَةِ أَمْرِكَ، فَإِنْكَ لَنْ تَكُونَ سَوَى
أَدَاةٍ لِتَطْبِيقِ الدِّسْتُورِ الْجَاهِلِيِّ وَالْقَانُونِ الْوَضْعِيِّ، الَّذِي التَّزَمْتَ
بِاحْتِرَامِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ مُسَبِّقًا.

وهذا ما جرى ويجري في عالم الناس اليوم، فترى أسماء
إسلامية، وربما أشكالا إسلامية كذلك، ولكنَّ المَقَالَ أصبحَ علمانيًّا،
والنظر والحل والعقد صار من خلال الدستور الجاهلي، والقانون
الوضعي الكافر الفاجر.

وأنا أعلم، بل والكل يعلم، أن الدول الديمقراطية، إنما هي
دولة مؤسسات مدنية، كما يسمونها، وأنها محكومة بالدستور
والقانون، بغضَّ النظر عن تَدَيُّنِ الحاكمِ مِنْ عدمه، وإنما هي فَرْقَعَاتُ
هنا أو هناك يسمونها مصالح، لا تساوي شيئًا في جنب الكفر المقرر
دستورًا وقانونًا، فصرنا كالذي يبني المساجد ويوالي أعداءها، ويوسع
الحرمين ويشرك بالله تعالى تَبْدِيلًا وتشريعًا جاهليًّا، ويُظَاهِرُ أُمَّمَ الْكُفْرِ
على المسلمين، ونحو ذلك من ممارسات المنافقين المُرْتَدِّينَ.

فإنما هي علمانية جديدة في لباس إسلامي مُزَوَّر، تحت أسماء
خَدَاعَةٍ لأحزاب ترفع شعارات إسلامية، وانظر إلى حالنا في بلاد
شتى؛ لترى النتيجة قبل أن تدخل في هذا الكفر والضلال؛ فإن لك
فيمن سبقك مُعْتَبَرًا، والسعيد من وُعِظَ بغيره، كما في «صحيح مسلم»

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهاهي جمهرةٌ مما يعرف اليوم بالدول العربية، قد خدعت الناس باسم الديمقراطية، ثم انقلبت على الإسلام وأهله.

ألا فلتتق الله في دين الله تعالى، وأمة محمد ﷺ، فليس الإسلام مُلْكًا لنا حتى تتلاعب به بهذه الصورة، ونُطَوِّح به في أَتُونِ ونجاسات العملية الانتخابية الكُفْرية الفاجرة.

﴿فصل﴾

في بيان أن الذي قاد هؤلاء الدعاة إلى هذه السُّبُل الشَّرْكية الكُفْرية، هو تحولهم من دعوة النبي ﷺ القائمة على الكتاب الهادي والسيف الناصر، إلى الدعوة السلمية - زعموا عبر الانتخابات الديمقراطية والبرلمانات وكلاهما شرك بالله تعالى - والتنكر للجهاد في سبيل الله، بل ورمي من ينادي بالرجوع إلى سبيل المصطفى ﷺ، بإقامة الكتاب الهادي وسَلَّ السيف الناصر، يرمونه بالتطرف والغلو والتشدد والإرهاب.

وهذا إضافة إلى أنه مصادمة صريحة للأدلة الشرعية، ودعوة الرسل قاطبة التي قامت على الصبر والمصابرة والمرابطة والمجاهدة، والاستعلان بالكفر بالطاغوت، والسعي في القضاء

المبرم عليه، والدعوة إلى ذلك مقبلين غير مدبرين عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، فهو كذلك جري وراء سراب، إذ أن الكفار لن يزلوا يقاتلوننا وإن لم نقاتلهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَزُدَّوَكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَظَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، ولن يزلوا ساعين في صدنا عن سبيل الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

قال تعالى: ﴿هَاسَأْتُمْ أَولَآءَ مُجِبُوهُمْ وَلَا يُجِبُونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ
كُلِّهِ وَإِذَا لِقَاكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَىٰ كُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ
مُوتُوا يَغِيظُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَسَسَّكُمُ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ
وَإِنْ تَصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ
كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ
الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ الْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ [آل عمران: ١١٩-١٢١].

● **فالدعوة السلمية الديمقراطية لم تكن أبداً سبيلاً للرسول؛ إذ**
إن أول ما تتنصل منه هذه الدعوة، هو تحقيق عقيدة الولاء والبراءة،
بل هي تدعو إلى احترام الكفر وأهله وموائيقه المصادمة للإسلام،
وتنشر، وتكفل الحريات الدينية والفكرية والسلوكية، وبمعنى

مختصر فإنها تدعو إلى تأليه البشر لأنفسهم، والله تعالى يقول:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) ﴿ [المؤمنون: ١١٥-١١٧].

فعلى الأمة أن تعلم أن هذه الديمقراطيات لن تأتي أبداً بإسلام محمد ﷺ، مع استصحاب أنها سبيل كفرية غير مآذون فيها أصلاً، ولكنها ستشوه الإسلام الحق، وتطبع مع العدو الذي يسعى في استئصالنا، وأن هذه الديمقراطية لن تفرز إلا نظاماً محارباً لثوابت الإسلام من الولاء والبراء والتطبيق العام لشرع الله تعالى وإقامة الجهاد في سبيل الله، وبمعنى آخر، فهو طاغوت من نوع آخر، يتسربل باسم الإسلام؛ ليهدم الإسلام باسم الإسلام: ﴿هُوَ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُ﴾ قُلْ لَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿ [المنافقون: ٤].

وأقولها وبكل صراحة، ما أسعد الغرب الكافر، بهذه الأحزاب الإسلامية، التي تدخل وهي تعلم أنها لن تستطيع أن تطبق الشريعة، وإنما ستحترم الدستور والقانون وستعمل به وفي إطاره، وما هو الغرب يساوم المجاهدين على مبدأ التنازل عن الشريعة، ولكن هيهات هيهات.

● ولإزالة هذه الطواغيت الغريبة:

وتلك الأخرى المصنعة في بلاد الغرب فكراً ومضموناً - وهم من بين جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا-، لابد من إحياء شعيرة الولاء والبراء والجهاد في سبيل الله؛ لاجتثاث هذا الطاغوت الذي دأب على تقريب الأنجاس الأرجاس، ومحاربة أهل الإصلاح والإخلاص، وحتى يزول الذي يحول بين الناس وكتاب ربهم وهدى نبيهم ﷺ؛ ليبصروا الحق ويعملوا به.

ولا فسيقئ الطاغوت مُزَيَّنًا للباطل، إمامًا فيه، مُبَغِّضًا له، مُبَغِّضًا للحق مُحَارِبًا له ولأهله، مستعملًا خُطَّةَ كَبِيرِهِمْ ومُقَدِّمِهِمْ فرعون اللعين، الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ﴾ [غافر: ٢٦].

وقال: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٠ / ١٢): «وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَبْذُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ

عَزِيزٌ ﴿٥٥﴾ [الحديد: ٢٥]، فَذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ أُنْزِلَ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ وَأَنَّهُ أُنْزِلَ الْحَدِيدَ لِأَجْلِ الْيَقِيَامِ بِالْقِسْطِ؛ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ وَلِهَذَا كَانَ قِوَامُ الدِّينِ بِكِتَابٍ يَهْدِي وَسَيْفٍ يَنْصُرُ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا.

وَالْكِتَابُ وَالْحَدِيدُ وَإِنْ اشْتَرَكَا فِي الْإِنْزَالِ فَلَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا نَزَلَ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَنْزِلِ الْآخَرُ؛ حَيْثُ نَزَلَ الْكِتَابُ مِنْ اللَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿١﴾ [الزمر: ١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الرَّكْنُ أَكْثَمَ أَيْنَهُ ثُمَّ فَصَلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ ﴿١﴾ [هود: ١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَلْقَلْبِ الْقَرَاتِ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ ﴿١﴾ [النمل: ٦].

وَالْحَدِيدُ أُنْزِلَ مِنَ الْجِبَالِ الَّتِي خُلِقَ فِيهَا. وَكَذَلِكَ وَصَفَ الصَّادِقِينَ فِي دَعْوَى الْبِرِّ الَّذِي هُوَ جَمَاعُ الدِّينِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾ [البقرة: ١٧٧]، وَأَمَّا الْمُتَنَفِقُونَ فَوَصَفَهُمْ سُبْحَانَهُ بِالْكَذِبِ فِي آيَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ﴿١٠﴾ [البقرة: ١٠]، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ

لَكَذِبُونَ ﴿١﴾ [المنافقون: ١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْقَبْهُمْ نِقَافًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ [التوبة: ٧٧]،
وَنَحْوُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ. اهـ.

وما أحسن ما قيل:

دعا المصطفى دهرًا بمكة لم يُجِبْ

وقد لَانَ مِنْهُ جَانِبٌ وَخِطَابُ

فَلَمَّا دَعَا وَالسَّيْفُ صَلَّتْ بِكَفِّهِ

لَهُ أَسْلَمُوا وَاسْتَسْلَمُوا وَأَنَابُوا

● الدهية الدهياء:

وإنَّ الحقيقةَ العظمى، أنَّه مهما تحقق من حُكْمِ باهتٍ ومُصالح
مزعومة عبَّرَ هذه البرلمانات وصناديق الاقتراع الديمقراطية، فإن
الأمر المُفْطَع، والكارثة والطامة، أن هذا إنما حصل امتثالًا لاختيار
الشعب لا امتثالًا لأمر الرَّبِّ تبارك وتعالى.

وعليه فنقولها وبأصرح عبارة: إنكم لو وصلتم عبر هذه
البرلمانات وصناديق الاقتراع الديمقراطية إلى أن حكمتُم الشريعة،

فإنكم لم تعدوا أنكم حكمتموها بحكم العباد واختيارهم وأصواتهم، لا بحكم الله تعالى، فالربُّ الذي له الاختيار والأمر هنا هو الشعب وليس الرب الخالق تبارك وتعالى الذي أخبر بأنه سبحانه هو الذي له الخلق والأمر، فلم تصنعوا شيئاً، فما زال الشرك قائماً قابعاً، إذ هذا هو عين الشرك بالله في هذه المسألة، وتأملوا في هذه الآيات:

قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٨﴾ [القصص: ٦٨]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ٣٦﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال: ﴿قُلْ يَتَاهِلَ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقال: ﴿مَا كَانَ لِشَرٍّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابُ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

وقال: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا أَلَا

إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ، عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢١﴾ [التوبة: ٣١].

● هدم عقيدة الولاء والبراء:

إن من مُهِمَّات الأمور، والتي لم تغب أبدًا عن أولويات وأذهان ساسة الكفر العالمي، إن لم تكن هي الأهم على الإطلاق في تَوَجُّهَات القائمين على هذه الزندقة، هدم عقيدة الولاء والبراء «الحُبُّ في الله والبُغْضُ في الله» والتي هي أوثق عرى الإيمان.

وإنَّ الْمُتَأَمِّلَ لَا يَكَادُ يَتَرَدَّدُ أَبَدًا فِي أَنَّ الْقَائِمِينَ عَلَى هَذَا الْخَبْثِ يَعْلَمُونَ يَقِينًا خُطُورَةَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وتأثيرها على حياة المسلمين، من جهة إقامة الدين وجهاد أعداء الله رب العالمين.

ولهذا ترى سعيًا حثيثًا وتسارعًا - غير خاف على من له أدنى بصيرة بواقع هذه الديمقراطية وما تعرضه وتطرعه - نحو زعزعة هذه العقيدة الإسلامية الأصيلة، من خلال إحلال معانٍ أخرى مكانها؛ فترى وتسمع شعارات ترفع ويؤكَّد عليها في محاولة جادَّة لإقناع الناس بِجَدْوَالِهَا، وأنه لا استقرار ولا أمن ولا أمان بدونها:

كالقومية العربية، والمواطنة، وحُب الوطن، والاحترام المُتبادَل، والمحافظة على حُقوق الأقليات، وكفالة الحُرِّيات، واحترام الإنسان عقيدة ومُنْهَجًا، وتعاملًا وهيئة، وما يُسمى بالتعايش السلمي، والدَّعوة

الصَّريحةُ الْمُعلَّنةُ لِلسُّكْنَى فِي دِيَارِ الْكَافِرِينَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ السَّعَارَاتِ الْمَطَّاطَةِ الْفَضْفَاضَةِ، وَالتِّي جَمَاعُ أَمْرِهَا هَذُمُ عَقِيدَةُ الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ لَدَى الْمُسْلِمِينَ.

● وَلَا يَفُوتَنِي أَنْ أَذْكَرَ بِأَوْلَئِكَ الْنَفَرِ مِنْ دَعَاةِ الْوَسْطِيَّةِ، الَّذِينَ صَارُوا مِنْ حَيْثُ شَعَرُوا أَوْ لَمْ يَشْعُرُوا فَتِيلاً لِإِسْعَارِ جَنُودِ هَذِهِ الْفِتْنَةِ وَالتَّرْوِيحِ لَهَا، عِيَادَا بِاللَّهِ مِنَ الْخَذْلَانِ.

وعلى جميع المسلمين أن يَعْلَمُوا عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّهُ لَا تَقُومُ لِإِيْمَانِ الْعَبْدِ قَائِمَةٌ حَتَّى يُحَقِّقَ وَيَتَّصِفَ بِعَقِيدَةِ الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ.

كما قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ١٢٧﴾ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٢٧﴾ [البقرة: ٢٥٦، ٢٥٧].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ

﴿١﴾ إِنْ يَتَفَقَّهْتُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِأَسْوَأَ وَدُّوْا
 لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا
 تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا
 لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ
 وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُغْفِرَ لَكَ وَمَا
 أَمْرُكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا
 تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ
 أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾

[الممتحنة: ١-٦].

وقوله: ﴿١﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ
 أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ فَتَرَى
 الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ
 يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِمِينَ ﴿٢﴾
 وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَعَمْرُكَ حِطَّتْ
 أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٣﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ
 يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٤﴾
 إِنَّهَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ
 ﴿٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٦﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ
وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ [المائدة: ٥١-٥٧].

وأخرج مسلم في «صحيحه» في باب مَوَالَاةِ الْمُؤْمِنِينَ وَمُقَاطَعَةِ
غَيْرِهِمْ وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُمْ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ جَهَارًا غَيْرَ سِرٍّ يَقُولُ: «أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي - يَعْنِي: فَلَانًا - لَيْسُوا لِي
بِأَوْلِيَاءَ إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ».

وفي «الصحيحين» عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
«أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ».

وفي «الصحيحين» واللفظ لمسلم عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ
إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي
الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ».

وفي «مسند أحمد» و«مستدرک الحاكم» و«سنن النسائي»
واللفظ له عن بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا
نَبِيَّ اللَّهِ مَا أَتَيْتُكَ حَتَّى حَلَفْتُ أَكْثَرَ مِنْ عَدْدِ هَنٍّ لِأَصَابِعِ يَدَيْهِ إِلَّا آتَيْتُكَ
وَلَا آتَيْ دِينَكَ وَإِنِّي كُنْتُ أَمْرًا لَا أَعْقِلُ شَيْئًا إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِوَجْهِ اللَّهِ ﷻ بِمَا بَعَثَكَ رَبُّكَ إِلَيْنَا قَالَ: «بِالإِسْلَامِ» قَالَ
قُلْتُ وَمَا آيَاتُ الْإِسْلَامِ قَالَ: «أَنْ تَقُولَ أَسْلَمْتُ وَجَّهِي إِلَى اللَّهِ ﷻ

وَتَخَلَّيْتُ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، كُلُّ مُسْلِمٍ عَلَى مُسْلِمٍ مُحَرَّمٌ
أَخَوَانِ نَصِيرَانِ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَبْدَكَ مِنْ مُشْرِكٍ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلًا أَوْ يُفَارِقَ
الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ». وسنده جيد.

وفي رواية لعبد الرزاق في «مُصَنَّفِهِ» وهي في «المعجم الكبير
للطبراني» واللفظ له قَالَ: «تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتُفَارِقُ الشِّرْكَ، وَإِنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ
عَلَى مُسْلِمٍ مُحَرَّمٌ، أَخَوَانِ نَصِيرَانِ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ مُشْرِكٍ أَشْرَكَ مِنْ بَعْدِ
إِسْلَامِهِ عَمَلًا...» الحديث.

وهو في «سنن ابن ماجه» بلفظ: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ مُشْرِكٍ أَشْرَكَ
بَعْدَ مَا أَسْلَمَ عَمَلًا حَتَّى يُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ».

وفي «سنن البيهقي» باب كَرَاهِيَةِ الدُّخُولِ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي
كَتَائِبِهِمْ وَالتَّشَبُّهِ بِهِمْ يَوْمَ نَيْزِهِمْ وَمَهْرَجَانِهِمْ: ثم ذكر حديثا سنده
جيد من طريق عَوْفٍ عَنِ الْوَلِيدِ أَوْ أَبِي الْوَلِيدِ ^(١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ: «مَنْ بَنَى بَيْلَادٍ الْأَعَاجِمِ وَصَنَعَ نَيْزَهُمْ وَمَهْرَجَانَهُمْ وَتَشَبَّهَ بِهِمْ
حَتَّى يَمُوتَ وَهُوَ كَذَلِكَ حُشِرَ مَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(١) هو صدوق وقد ذكره الإمام الثقة يعقوب بن سفيان في ثقات البصريين، فلا
يضره قول أبي حاتم عنه إنه مجهول؛ فإن من عرف حجة على من لم يعرف.

والآيات والأحاديث في هذا المعنى أكثر من أن تُحصَر، وأظهر من أن تُنكر.

• فضح الديمقراطية وتعريفها: «الديمقراطية في عيون أصحابها»:

إن الفكرة التي انتحلها الغرب الملحد، والغرب المتمسح بالنصرانية، هي إقصاء الدين عن الحياة، ومن أبرز الشعارات التي تواطئوا عليها «الدين أفيون الشعوب»، أي: هو المخدر الذي يقعد بالشعوب عن نهضتها وحضارتها وتقدمها، ولا بد إذن من التخلص منه، إما بتعطيله بالكلية، أو بجعله اسمًا بلا حقيقة.

ولم يجدوا بعد طول عناء وتأمل وبحث واستقصاء، شعارًا يحقق لهم جميع ما يطمحون إليه، وما يطمعون فيه، أفضل ولا أجدى من شعار الديمقراطية؛ فمضوا جادين وجاهدين في نشره، والنفخ فيه والترويج له، ونصب الشخصيات والكيانات التي تُسوِّقُ له بهمة عالية، وإخلاص وتفان، في جميع البلدان، ولهم في ذلك وجه سياسي واضح بارز لكل من عرف حقيقة القوم وحقيقة هذا الشعار الذي يرفعونه؛ فإن البُغْيَةَ التي لا يكادون يفصحون عنها، وتخبرنا عنها أحوالهم وأقوالهم، التسلط على العالم، وإقصاء كل من يقف حجر عثرة أمام هذا المد الاستعماري، والذي حقيقته أنه مد استِخْماري؛ إذ من المعلوم لدى المتفحصين والعارفين بالأجندات السرية التي

تتعاطاها هذه الشرذمة من البشر، أن وراء ذلك ما يعرف بالماسونية العالمية، التي ينفخ في أوارها، ويشعل فتيلها، ويسعر جذوتها هم اليهود، الذي يرون أن العالم كله أمميون، أي: حمير لهم يستعملونهم، كلما نفق حمار امتطوا غيره، ومال ودم وعرض الأميين مستباحة لهم، بل وجميع المقدرات حلال عليهم في شتى أصقاع المعمورة، كما قص الله تبارك وتعالى علينا ذلك في كتابه العزيز، فاضحاً النفسية التي يتعامل بها اليهود مع الآخرين، وهذه النفسية وإن كانت أيضاً لدى النصارى، إلا أن النصارى اليوم تبع لهم ويَجْرُونَ في ركا بهم (١).

(١) ولا أنسى أن أذكر بالطريقة الخسيسة، التي انتحلها اليهود للتلاعب بدين الله تبارك وتعالى، من خلال ذلك الطابور الخسيس (من أمثال بولس)، الذي كان يعمل في بني إسرائيل خدمة للشيطان الرجيم، وأشياخ اليهود المارقين، الذين لم يقبلوا عيسى عليه الصلاة والسلام، كما بين الله تبارك وتعالى ذلك في كتابه العزيز، حتى قال عيسى ﷺ فيما قصه الله تبارك وتعالى في سورة آل عمران: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُثْرِثُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُلُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤١﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحَدٍ لَّكُمْ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجَمَّعْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُودِّعَ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّعَ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٥) بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٧٦) إِنْ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٧) وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكَذِبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٨) [آل عمران: ٧٥ - ٧٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى ۚ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١١١) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١١٢) [البقرة: ١١١ - ١١٢]، وقوله: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَى تَهْتَدُوا ۚ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١١٥) قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ

= وَأَطِيعُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَفِيعٌ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴿ فَلَمَّا أَحْسَسَ عِيسَىٰ مِنْهُمْ الْكَفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٥٢) [آل عمران: ٤٩ - ٥٢].

إِبْرَاهِمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
 فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ نَوَلُوا فإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ
 فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صَبَغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ
 مِنَ اللَّهِ صَبَغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ
 رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴿

[البقرة: ١٣٥، ١٣٩].

وقوله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَعْبَارِ
 وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
 اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتَنِرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقُونَهَا فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ
 فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ
 لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتَنِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

ولهم في ذلك عدد من الوسائل التي يسعون وبكل ما أوتوا من
 قوة أن يجمعوا الناس عليها، ويحرصون كل الحرص أن تكون
 وسائل جذابة للأمميين.

ويمكن أن أقول -وللأسف الشديد-: إنهم نجحوا في ذلك إلى
 حد كبير، ولكن وبحمد الله تعالى وعونه وتوفيقه تبقى بقية باقية تعقل

عن الله تعالى خطابه، وتعمل على نصرة دين الله تبارك وتعالى، وهم على الحق ظاهرين على غيرهم، يدفعون ويدافعون و يقاتلون في سبيل ذلك، كما بين ذلك النبي ﷺ ففي «الصحيحين» واللفظ لمسلم عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَلَا تَزَالُ عَصَابَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وإن من أبرز تلك الوسائل، كفالة حرية التشريع، لكل حزب وبلد وجماعة، فكلُّ يتعاطى ما يناسبه من التشريعات الجاهلية، التي تتناسب مع واقعهم وأهوائهم، في بلاد الله تبارك وتعالى وأرضه، مع التهديد والوعيد لكل من ينادي إلى تطبيق شرع الله تبارك وتعالى، والويل كل الويل لمن يرفع شعاره، وإن كان شعارًا بلا حقيقة، فضلًا عن أن يطبقه تطبيقًا حقيقيًا عمليًا، فهيئات هيئات عند هؤلاء أن يُمكن أصحاب هذا الشعار من تطبيقه، أو مجرد الدعوة إليه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْنَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

ومنها الدعوة المعلنة إلى احترام القانون وإن كان جاهليًا، من وضع البشر مما أنتجته نحاتة عقولهم، وزبالة أذهانهم، ولا بد من احترام هذا القانون في بلادك أو في أي بلد تذهب إليها.

ومن أهم تلك الوسائل أيضًا إيجاد «أشباح» ينادونهم زورًا وبهتانًا بـ«الأشباح»، يعملون بكل جد وإخلاص في غريلة النصوص، وضرب بعضها ببعض، في تفرانٍ شديد لتحريف الحق وتزييفه، بلوي أعناق النصوص تارة، وبالإلحاد في آيات الله تبارك وتعالى تارة أخرى، واتخذوا لهم اسمًا وشعارًا يغتر به كثير من الناس ألا وهو «دعاة الوسطية».

وهي وسطية مزعومة مفتراة، لا علاقة لها بوسطية الإسلام، التي تدعوا إلى الاستسلام والإنقياد والإذعان التام العام لله الواحد القهار، بالعمل بكتابه وسنة نبيه ﷺ على فهم الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، يدور العبد فيها مع الحق دائمًا، حيثما توجهت ركائبه، في المنشط والمكره، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣].

هذه هي الوسطية التي أمر الله تبارك وتعالى بها عباده، أن تكون الهمة مصروفة قبل كل شيء إلى العمل بأمر الله تبارك وتعالى، وتحقيق مراده ﷻ، وإن أبَت ذلك النفوس، وإن خالف الواقع

وضغطه، فما خلق الإنسان إلا ليعبد الله الواحد القهار، على مراد الله تبارك وتعالى، لا على أهواء البشر، وإنما بُعثت الرسل باجتثاث الباطل وزرع الحق، لا بتطويق الحق ومحاصرته، ومطاردته وتطويعه، مع الواقع المر، كما يدعو إليه دعاة الوسطية المزعومة.

فبين تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة، أنه ليست القضية في تغيير القبلة، ولكن في الاستسلام والانقياد لأمر الله تبارك وتعالى؛ إذ له الأمر كله من قبل ومن بعد، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وهو الأعلم والأحكم والأعدل جل الله في علاه.

فالأمر كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقد بين تبارك وتعالى هذه الحقيقة في مواضع من الذكر الحكيم، وإن من أبرزها وأظهرها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ ﴿٣٦﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ وإذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ

مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفَى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُفْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ الْمَيْتِ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾ [النور: ٤٧-٥٧].

أما دعاة الوسطية الأفاكون المُمَيِّعون، فأصدق ما يوصفون به أنهم يسعون جاهدين في إيجاد وساطة بين الإسلام الحق والواقع الخبيث القائم في الأرض اليوم، المبني على كفالة الحريات، والتعايش السلمي -زعموا- ومحاربة الجهاد في سبيل الله، فيما

يسمونه بالحرب على التطرف والإرهاب، وتطبيق جميع أسس المفسدين في الأرض^(١).

ولا أنسى أن أذكر وأذكر بالأثر السيئ العظيم، البالغ في السوء، الذي خلفته هذه الديمقراطية المأفونة على الشعوب الإسلامية خاصة، فقد أفرزت هذه الديمقراطية خبثها، وبثت سمومها، في العالم كله، إلا أن المسلمين هم أكثر من خسر في ذلك؛ ذلك لأن الأمم الأخرى بيتها خرب، ودينها باطل، وماذا يصنع الشيطان بالبيت الخرب؟! إنه قد فرغ منه منذ سنين، بل وصيره بيتاً له، يُخرج منه أعوانه وأنصاره.

أما المسلم فأغلى ما يملكه، هو دينه العظيم، الذي كرم الله تعالى به العبد الذي يعتنقه، ويعمل به، ويحققه في دنياه؛ ليعيش الحياة الطيبة، والسعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة.

وإن المتأمل يجد أن كثيراً من بني الإسلام صاروا يتعاطون هذه الديمقراطية الخبيثة، بل وكثير منهم يحبها، بل ويعشقها، ويدعوا

(١) راجع كتابي «أسس المفسدين» (مادة صوتية مُقرَّعة)، لمعرفة الأسس الكبار التي تقوم عليها فكرة السيطرة على العالم؛ لجعله لقمة سائغة لإبليس اللعين وأعوانه.

إليها، بل ولا يتصور الحياة بدونها، ويرى أنها هي الطريقة الوحيدة، التي لا يمكن أن يحصل الخير والسلام بدونها - زعموا- ومن هنا تظهر الكارثة والطامة، التي هوى فيها هؤلاء المخدوعون.

إذ إن الديمقراطية لا تقوم إلا على أنقاض القضاء على عقيدة الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، وهي العقيدة التي بها يصبح العبد مؤمناً بالله تعالى، وإلا كان عدواً لله ورسوله، كافراً مشركاً، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم.

أما الإسلام فيقوم على أن الحكم لله تعالى في القليل والكثير، والصغير والكبير، وأن الشرع الرباني هو الذي يحدد العلاقات بين الأفراد والمجتمعات والشعوب، فله الهيمنة العامة التامة على حياة المسلم.

فالديمقراطية والإسلام ضدان لا يجتمعان، وخصمان لا يصطلحان، فإما الإسلام أو الديمقراطية، فتأمل في أي خندق أنت أيها المنتسب إلى الإسلام، ولا تنخدع بزخرف القول من شياطين الإنس والجن، وإن نَمَّقُوها وزينوها.

هذه هي الحقيقة الصارخة الواضحة البينة في الكتاب والسنة على عمل الصحابة الكرام.

وإن التلاعب بذلك أو المساس به مؤذِنٌ بالخزي الذي توعده

الله تبارك وتعالى به كل من بَعَصَ الكتاب، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنفُسُكُمْ وَمَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِّنكُمْ مِّن دِينِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِلَافِ وَالْعُدُوتِ وَإِن يَأْتُوكُمُ أُسْرَىٰ تَقْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ أَقْلِمُ يَوْمَئِذٍ أَلْفِتُونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة: ٨٥].

وإن ما نراه من التخبط والضلال، وذهاب الهيبة عن المسلمين، والاستخفاف بهم واحتقارهم عالمياً، إنما هو من جراء هذا التبعية لكتاب الله تعالى؛ فالأمة اليوم تعيش هذا الخزي الذي حذرنا الله تبارك وتعالى منه، ولا خلاص لها من هذا الخزي إلى الرجوع الصادق إلى شرع الله تبارك وتعالى والعمل به، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٨﴾ فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٠٨، ٢٠٩].

● الديمقراطية فشلت وحق لها أن تفشل:

ولنعلم أن ما يدَّعونه من ديمقراطية، إضافة إلى أنها كفر بواح

صراح، إلا أنها كذلك لا تعدو أن تكون كذبة يُتلاعب بها بالشعوب من قبل الملاء المفسدين في الأرض، للتحكم في الشعوب ومقدراتها، وهناك قدر ليس بالقليل من كتابات المتخصصين في هذا الصدد، يبينون فيها هذا الوهم والسراب الذي يُقدَّم باسم الحرية وحقوق الإنسان وكرامته، لتهرول الجُمُوع وراء هذا السراب حتى إذا ما أتوه لم يجدوه شيئاً، بل لن يجدوا إلا الحقيقة المُرة وهي أنهم كانوا عماية وأحلام يَقْظَة.

وسأذكر للتمثيل لا للحصر جملة من أسماء هذه المنقولات التي تفضح وتبين خطورة هذه الديمقراطية المأفونة الملعونة، وتُعَرِّبها، وتجلي حقيقتها، ومرادات واضعيتها منها، فمن ذلك:

**** مقال بديع من موقع فرسان السنة بعنوان: نقد أفلاطون وسقراط للديمقراطية: المساواة المستحيلة:** لخالد صقر، وقد نقلته كاملاً في كتابي «فتنة العصر التشريع» فراجعه هناك غير مأمور.

ومن أهم ما جاء فيه: «ويقول البروفيسور إريخ كوفميل أستاذ الفكر السياسي بجامعة سسكس بالمملكة المتحدة في كتابه «الفكر اللاديمقراطي»: «إن أفلاطون قد وجه العديد من الانتقادات للديمقراطية، ولكن يمكن تلخيص انتقاداته في أربعة أطروحات محددة، هي:

١- النظام الديمقراطي هو نظام تعددي يفتقر لأي نوع من الوحدة السياسية.

٢- الديمقراطية تجنح دائماً للاستجابة ولاتباع «رغبات» الشعب و«تقلباته» ولا تستجيب «للمصلحة العامة» التي غالباً لا يدركها السواد الأعظم من الشعب.

٣- الديمقراطيات الضخمة «من حيث اتساع الدولة وتعقد التركيبة الاجتماعية وازدياد عدد السكان» تفشل في إتاحة القدر المناسب من التعبير السياسي لكل عناصر المجتمع، مما يشكل عامل تثبيط المواطنين عن المشاركة في الحياة السياسية والعامة.

٤- الديمقراطية هي نظام سياسي يديره بعض الحمقى! ويكون أفضل شيء هو أن يتولي إدارة شئون الدولة المتخصصون بصرف النظر عن مدى تمثيلهم لرغبات الشعب وأهواؤه، وذلك لأن إدارة شئون الحكم إذا تركت للشعب سيؤدي ذلك لخلل كبير في الدولة؛ لأن الشعب لا يعرف ما الذي يفعله على وجه الحقيقة». اهـ.

**** وإليك مقالاً آخر نافع ومفيد لمحمد مورو، يقول فيه:**
«الحضارة الغربية حضارة إغريقية وثنية ذات مسحة أو قشرة مسيحية مزيفة، وهي حضارة تقوم على القهر والعنف والنهب والعنصرية، وبديهي أنها تختلف عن الحضارة الإسلامية التي تقوم على التوحيد

والعدالة والحرية وعدم العنصرية.

ومن ثم فإن كل ما تفرزه الحضارة الغربية من إفرازات أو نظم سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية سوف يحمل بالضرورة السمات الثابتة لتلك الحضارة.

وإذا نظرنا إلى إفرازات الحضارة الغربية نجد أنها كلها عنصرية بلا استثناء، مثل الفاشية والنازية والشيوعية والاشتراكية والصهيونية والرأسمالية والديمقراطية والبرالية... إلخ، وكذا فإن كل تلك المنظومات أو الحكومات والدول التي قامت على أساسها سواء أكانت ملكية أم جمهورية، يسارية أم يمينية، كلها مارست الاستعمار والنهب والمذابح، بل إن ما كان منها يساريًا كان أشد قسوة، فأكبر المذابح التي مارستها فرنسا في الجزائر تمت على يد حكومات الاشتراكية.

ومن المفيد هنا أن نقرر حقيقة أخرى: أنه ربما تكون هناك مناطق تشابه فيها بعض المنظومات الغربية مع المنظومات الإسلامية ولكن هذا لا يعني أن هناك تطابقًا أو هناك صلة عضوية بين الطرفين؛ فهي على غرار تقاطع دائرتين في قوس، ولكن لكل دائرة مركز مختلف وقطر مختلف، ومن ثمَّ محيط ومساحة مختلفان، وهكذا فإن هؤلاء الذين يتحدثون عما يسمى بالاشتراكية الإسلام أو

الديمقراطية الإسلامية أو غيرهما يقعون في خطأ منهجي كبير، ونحن نرفض هذا بالطبع، من باب أنه خطأ علمي، ومن باب ضرورة تحرير المصطلح وعدم الوقوع في إرهاب هذا المصطلح، ولأننا ندرك أن هناك خلافاً جوهرياً في المناهج والغايات، وفي الوسائل والأهداف بين المنظومة الإسلامية السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها من المنظومات.

من البديهي الآن، وبعد خبرات طويلة تراكمت سياسياً وثقافياً أن أحداً في الشرق أو الغرب لم يعد يتحدث عن إمكانية وجود حرية في المنظومة الفاشية أو النازية، أو الشيوعية، رغم وجود تنظير فلسفي حول مزاعم وجود تلك الحرية في تلك المشروعات، ولكن النقد النظري والتجربة الحية أطاحت بذلك الآن.

لم يعد هناك إذن ادعاء بوجود حرية من أي نوع كان إلا في الديمقراطية والليبرالية، ومن ناحيتنا وناحية كل مفكر منصف فهي موجودة في النظام الإسلامي «أيضاً»، على أننا أمام محاولة لحسم المعركة قبل أن تبدأ بنوع من المغالطة.

فالبعض يحاول أن يتحدث عن الحضارة الغربية وكأنها هي وحدها الحضارة، ومن ثمّ فإما أن تقبل قيم الحضارة الغربية وإما فأنت معادٍ للحضارة والتقدم وبربري وأحياناً إرهابي، وكذا فإن

الحديث نفسه يدور حول أن الديمقراطية تعني الحرية، وهذا غير صحيح بالمرّة، نحن نؤمن أن الحضارة الغربية حضارة فاسدة، وقيمتها فاسدة، ولا يمنع هذا أن يكون فيها بعض الإيجابيات ولا يمنع أن تتشابه في بعض دعواتها مع النظام الإسلامي، ولكن هذا على طريقة اتفاق شجرتين في لون الورق ولكن البذور مختلفة والثمار مختلفة وأشياء أخرى كثيرة مختلفة، ربما كالاختلاف بين شجرتي الزقوم والزيتون.

وكذلك لا يمنع وجود أفراد وجماعات داخل المجتمع الغربي ربما تكون أكثرية أو أقلية تتصف بالانصاف والعدل.

ولكن هذا شذوذ يؤكد القاعدة، وهم أنفسهم يرفضون بشكل ما المنظومة الغربية والمهم أنهم ليسوا أصحاب القرار الغربي، أو ما يسمى: الظاهرة في مجراها الرئيسي «**mean stream**» كلها تقود إلى العنصرية القهر والعنف، فدعم الصُّهُيُونِيَّة مثلاً مستمر منذ قرن على الأقل بعد وقبل إنشاء «إسرائيل»^(١) برغم ممارسات علنية يومية فيها قمع هائل للإنسان الفلسطيني والعربي، وكذا العدوان على العراق

(١) لا ينبغي إطلاق هذه التسمية على اليهود أو على دولتهم التي اغتصبوها؛ لأن هذا الاسم هو أحد أسماء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، فلا يجوز نسبتهم إليه مع شركهم وبغيهم على الأنبياء والمرسلين.

وأفغانستان... إلخ.

إن استخدام مصطلح الديمقراطية الإسلامية خطأ علمي وسياسي أيضًا وهو نوع من الاستلاب الحضاري، ونحن نرى أنه لا حرية إلا في الإسلام لأنه فطرة الله «التي فطر» الناس عليها وبديهي أن الله يصنع للإنسان ما يصلحه لأنه الذي خلقه ويعلمه حقيقته وما يصلحه وما يفسده «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير» وأن الديمقراطية لم ولن تحقق الحرية، ربما تكون أفضل أو أسوأ من الشيوعية أو الفاشية أو النازية ولكنها في النهاية تظل إفرازًا غريبًا يحمل نفس مساوئ الأرضية الحضارية التي أفرزتها.

الحضارة الغربية في صورتها الديمقراطية أو تحت حكومات ديمقراطية مارست «الاستعمار»، وهو نوع من قهر حرية الآخرين، ومن ثَمَّ فهي ديمقراطية مزيفة، وهي نفسها التي مارست نهب «المستعمرات» ومن ثَمَّ فهي ديمقراطية ناهبة، وهي نفسها التي أنشأت «إسرائيل»، وسلحتها ومولتها، و«إسرائيل» تمارس الديكتاتورية والقهر على مدار اليوم والساعة منذ أكثر من ستين عامًا، ومن ثَمَّ فهي ديمقراطية عنصرية وأصولية، لأنها تدعم دولة يقوم قانون الجنسية فيها على أساس الدين اليهودي، فكل يهودي متى وطئت قدمه أرض «إسرائيل» فهو يحصل على الجنسية فورًا.

وهي ديمقراطية مارست إبادة الهنود الحمر في الأمريكتين، والأبورجيين في أستراليا «بعشرات الملايين» فهي ديمقراطية عنصرية بامتياز، وهي فوق هذا وذاك مستمرة في تلك الأمور منذ أكثر من قرنين على الأقل ولم ولن تكف عن ذلك لأنها سمة أصلية في تلك الحضارة، آخرها «العدوان على العراق وأفغانستان».

الديمقراطية مشتقة من كلمة يونانية، ومن ثمَّ فإنَّ تعريبها صعب شديد الصعوبة؛ لأنها تعبر عن سياق اجتماعي وحضارة معينة مختلفة عن السياق الحضاري العربي.

وفي الحقيقة فإنَّ تلك الصعوبة تظهر في شيوخ مجموعة من الأخطاء العلمية، فالذين يقومون بتطبيق قواعد علم الاجتماع الغربي الذي ظهر في سياق حضاري وثقافي واجتماعي معين على ظواهر عربية وإسلامية نشأت في سياق اجتماعي آخر يقعون في أخطاء فادحة، فالأصولية مثلاً، والدين والدولة وغيرها من المصطلحات تعني هناك غير ما تعني في المشروع الإسلامي تماماً.

ويجب التعامل مع أي ظاهرة بقواعد علم الاجتماع الذي ينبع من نفس الأرضية الحضارية».... إلى أن قال: «المهم أن الديمقراطية نظام يوناني أخذته أوروبا في إطار بعث الثقافة الإغريقية والرومانية في بداية عصر النهضة، نظام الديمقراطية اليوناني نشأ في القرن الثامن قبل

الميلاد على يد ليكرغ، وكان يقوم على انتخاب عدد من الزعماء عن طريق وضع الناس في مكان معين، ويوضع عدد من المراقبين في مكان قريب بحيث يسمعون الصوت ولا يرون المنظر، ثم يتقدم المرشحون واحدًا واحدًا، فكلما تقدم واحد منهم سجل المراقبون نصيبه من جلبة الأصوات الخارجية، ولعل هذا نفسه ما تطور في نظام التصويت فيما بعد.

• ونلاحظ هنا: أن الذين كان يسمح لهم بالتصويت هم الناس الذين يملكون سلاحًا، ثم بعد ذلك مَنْ كان له نصاب مالي معين، مع حرمان الآخرين من التصويت، وفي روما القديمة كان يتم التصويت بواسطة الوجهاء فقط مالا أو سلاحًا، أما السكان غير الرومان عمومًا فلا حقوق سياسية لهم؛ أي: أنها ديمقراطية عنصرية في أصلها.

وحتى بعد أن أخذت أوروبا هذا النظام فإن الجوهر لم يتغير كثيرًا، فالعمال في إنجلترا لم يأخذوا حق الانتخاب إلا في سنة (١٨٦٧)، وذلك لأنهم أصبحوا قوة لازمة للدولة في المصانع، ولم يحصل عمال الريف على هذا الحق إلا بعد (١٨) سنة من هذا التاريخ، والمرأة الإنجليزية لم تحصل على حق التصويت إلا بعد الحرب العالمية الأولى لأنها اشتغلت بأعمال المصانع أثناء غياب الجند في ميادين القتال.

ويلاحظ الأستاذ العقاد أن الحكومة الديمقراطية نشأت بين الإمبراطيين أصحاب النظم والإجراءات الإدارية ولم تنشأ بين الأثينيين أصحاب الفلسفات والبحوث النظرية.

ويعلق الأستاذ عباس محمود العقاد على ذلك بقوله: «فمن الواضح أن الديمقراطية قديمها وحديثها لم تقم على الحق الإنساني المعترف به لكل إنسان وأنها كانت إلى الضرورة العملية أقرب منها إلى المبادئ الفكرية والأصول الخلقية».

وهكذا فإن هناك فارقاً جوهرياً بين الحرية في المنظومة الإسلامية، القائمة على الحق الذي أعطاه الله للإنسان، وعلى وجوب ذلك في كل الظروف وليس استجابة لظروف وتوازنات.

الحرية في الإسلام غير الحرية في الديمقراطية، فالحرية بغير إيمان هي حركة آلية حيوانية أقرب إلى الفوضى والهيّاج فيها إلى الجهد الصالح؛ ولأن الحرية في الديمقراطية لا تستند إلى قواعد أخلاقية إنسانية أو ذات طابع إيماني ديني، فإنها لا تحرم مثلاً لعب القمار أو شرب الخمر أو الزنا أو الشذوذ، بل تعتبر هذه حريات شخصية، وبديهي أن فيها من الفساد والإفساد وضياع الوقت والجهد، وغيوبة العقل ما له أثر سلبي على المجتمع واستقراره ورخائه، ربما تؤدي إلى انهياره في النهاية.

يقوم النظام الديمقراطي - كما يقدم له فلاسفته - على الإيمان بالفرد إيمانًا لا حدَّ له، وأنه إذا تركت له الحرية الكاملة، فإنه ينحو بصورة طبيعية إلى مصلحة المجتمع.

وبديهي أن هذا كلام نظري غير صحيح وهو أقرب إلى الميتافيزيقا الذي يدعي فلاسفة النظام ذاته أنهم يرفضونها، أنه ينطلق من فكرة مسبقة، هي فكرة أن الإنسان سيتصرف بصورة صحيحة دائمًا، وأنه مجبول على ذلك، وبديهي أن التجارب البشرية لا تقول بهذا، فالإنسان فيه خير وشر، وهو يختار الخير والشر، وبديهي أن البعض يختار الخير والآخر يختار الشر، والفرد نفسه لا يكون خيرًا بالكامل أو شريرًا بالكامل ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) ﴿فَالْهَمُّهَا فُجُورُهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٨) ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (٩) ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (١٠) [الشمس: ٧-١٠].

وبديهي أيضًا أن وضع عقوبات على السلوك ليس وحده كافيًا لمنع تجاوز الإنسان، والذي يحدث عادة أن الأفراد لا يتصرفون بطريقة صحيحة، ومن ثم فإن المحصلة حدوث تفاوت طبقي رهيب، بل واستغلال الأغنياء أموالهم للاستبداد بالفقراء، والأقوياء بالضعفاء، ويصبح المجتمع جحيمًا كما حدث في التجربة الليبرالية الغربية، بل هذه المجتمعات ذاتها تذهب لتنهب الآخرين «الاستعمار» والمحصلة ضياع الحرية الحقيقية على مستوى الأفراد

وعلى مستوى الدول بعضها ببعض بل القارات بعضها ببعض، وقد لجأت الكثير من تلك الدول إلى وضع ضوابط كثيرة ألغت بها مفهوم الحرية المطلقة للفرد، وأعطت للحكومات الكثير من السلطات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومن ثم نسفت الأساس النظري للديمقراطية والليبرالية.

وبديهي أن نظام الحرية في الإسلام ينطلق من أنها حق أعطاه الله للإنسان، وأن هذه الحرية لا تحقق بإطلاق حرية الفرد وفق ضوابط سياسية وأخلاقية معينة، ومن ثم فإن التجربة الإنسانية أثبتت حتى الآن أن المفهوم النظري والتطبيقي للحرية في الإسلام هي الوحيدة الصالحة حتى الآن.

النظام الليبرالي إذن يقوم على الحريات الأربع، وهي الحرية السياسية، والحرية الاقتصادية، والحرية الفكرية، والحرية الشخصية، وهذه الحريات ثبت في الواقع التطبيقي الأوروبي ذاته أنها مجرد أوهام، فالحرية السياسية يتم مصادرتها على طريق الإعلام والتوجيه والضغط على الناخبين، وشراء الأصوات والخداع، وفي المحصلة فإن المجمع الصناعي العسكري في الدول الديمقراطية هو الذي يوجه السياسة ويحقق ما يريد في النهاية من فوز هذا أو ذاك من الأفراد أو الأحزاب في الانتخابات.

ويعترف كبار منظري العلمانية والليبرالية والمؤمنين بالحضارة الغربية بذلك.

فالدكتور فؤاد زكريا يقول في كتابه الصحوة الإسلامية في ميزان العقل: «إن النظام الديمقراطي مبني أساسًا على قيم فردية على الرغم من المظهر البراق الذي يتخذه هذا النظام حين يؤكد أنه المدافع عن الحرية الفردية، وحقوق التعبير والكلام... إلى آخر هذه الحريات الليبرالية المعروفة التي يتخذها الموافقون على هذا النظام محورًا لدعايتهم، وعلى الرغم من هذا كله؛ فإن الحرية التي يدافع عنها هذا النظام هي في واقع الأمر حرية استغلال للضعيف، وكل ما عدا ذلك من حريات تظل ذات طابع شكلي».

والحرية الاقتصادية تؤدي في النهاية إلى وجود تفاوت طبقي رهيب وتؤدي إلى شقاء الفقراء وزيادة اكتناز الثروة، وأن ذلك يستمر بمتوالية هندسية، والمحصلة النهائية هو أن يصبح نسبة قليلة من سكان العالم في رخاء (٢٠٪) يحتكرون (٨٠٪) من الثروة، في حين أن هناك آلاف الملايين من البشر تحت خط الفقر، وهذه النسبة مرشحة للتوسع طبعًا، بل وحتى داخل مجتمعات الـ (٢٠٪) تلك هناك نسبة (١٠٪) تسيطر على (٩٠٪) من الثروة، وباستمرار المتوالية ستصبح الثروة في الدنيا عمومًا، وفي كل بلد خصوصًا مملوكة

لـ(١/٢) والباقي فقراء.

وبديهي أن ذلك أدى إلى «الاستعمار» أولاً، ثم أدى إلى الشقاء الاجتماعي ثانياً، ويمكن أن يؤدي إلى انفجارات هائلة اجتماعية، بل وبيئية لأن الحرية الاقتصادية والتنافس تؤدي إلى استنزاف البيئة، والإنتاج على حساب التوازن البيولوجي والمناخي ومن ثمَّ حدوث كوارث من التلوث وغيرها.

والحرية الشخصية تؤدي إلى انتشار الدعارة والشذوذ والخمر والميسر، وكلها أمور تقود إلى تفكك المجتمعات... وهكذا؛ فإن الديمقراطية فاسدة في أصلها النظري، وفاسدة في تطبيقاتها الواقعية على حد سواء». ولإتمام المقال كاملاً راجع كتابي «فتنة العصر التشريع».

*** وهنا مقال رائع من موقع صيد الفوائد لكاتبه: لطف الله بن ملا عبد العظيم خوجه: بعنوان: «هل صنعت الديمقراطية شيئاً؟».

«والذي يجادل في هذه المسلّمة، المعروفة عن هذا النظام، فعليه أن يبرز لنا مثلاً واحداً - فقط لا غير - لديمقراطية أفسحت للشريعة المنزلة أن تمتد بسلطانها، حتى تكون هي المهيمنة.

لا يوجد ذلك المثال، والأمثلة الملفقة لا تصلح.

ولن يوجد، والأمر واضح، هو: أن الحكم إما لله تعالى، أو لغيره.

وفي الديمقراطية الحكم لغير الله تعالى، فلن تكون لله تعالى إذن، فلا يجتمع نقيضان.

هناك من يجادل في هذه النتيجة، سأعرض له بعد قليل.

وبصيرة المدقق تزداد يوماً بعد يوم بفساد الديمقراطية، مهما احتوت على منافع، فالعبرة بالنتيجة وبما غلب، فوجود المنافع ليس مُبرِّراً صحيحاً للتحسين، إلا إذا غلبت، وإلا لزم تحسين الخمر والميسر، فهذه الديمقراطية لم تقدم للشعوب مكسباً جوهرياً سوى: أنها أزالَت حكاماً، وأتت بآخرين، مع كلفة ظاهرة لتحقيق هذه النتيجة: مالياً، وإعلامياً، وثقافياً، ووقتاً وجهداً.

أما الآمال والتطلعات للشعوب؛ فإنها تذهب كسراب ببيعة يحسبه الظمآن ماءً، وليس بشيء، ولو أنفقت أموال الدعاية في القضاء على البطالة والفقر، لكان أجدي، فالأرقام فلكية، ماذا يريد الإنسان سوى: الأمن، والكفاية، والكرامة، فهل الديمقراطية حققت له ذلك كله؟!.

لو أخذنا الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً، فالكارثة المالية

قضت وأهلكت الحرث، وألقت بكثير من الأمريكيين في الحداثق والمتنزهاة، يسكنون الخيام، والملايين فقدوا كل شيء في لحظة.

والرعب والإهانة، والقتل، والسلب والنهب، الذي حل بالشعوب على يد الأنظمة الديمقراطية الغربية، خصوصًا الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا، باحتلال الهند، والشام، والعراق، ومصر، وفلسطين، والمغرب العربي، ثم حرب فيتنام، واحتلال العراق -مرة ثانية- وأفغانستان، كل ذلك تم تحت أنظمة ديمقراطية، لم تتح فرصة لشعوبها لكبح جماح هذه الحكومات المنتخبة المتهورة العدوانية، أو تقدر على محاكمتها في أعمالها ضد الشعوب الآمنة، فالرؤساء المنتخبون يجيدون حبكة الكذب، لإقناع الشعب الغافل، حتى إذا أذف رحيلهم، تبرءوا من كل ما فعلوا واقترفوا.

لا زلنا نذكر كولن باول وزير خارجية أمريكا في ولاية بوش الابن الأولى، وهو يسرد ما زعمه أدلة على امتلاك العراق أسلحة دمار شامل، يومها لم يصدقه أحد، فأدلت ما كانت أدلة، بل تلفيقاً.

وبعد أن خرج من السلطة صار يعلن خطأ تقديره في تقريره، وخطأ غزو العراق.

وفي أيامه الأخيرة وبعد ثمان سنوات من الكذب على الشعب

الأمريكي يعلن بوش أن معلومات الاستخبارات عن العراق كانت خاطئة، وأنه دخل الحرب وهو غير مستعد.

هكذا يتلاعبون بكل بساطة بهذا الشعب الديمقراطي، ولا يجدون من يحاسبهم على كل ما اقترفوا، حتى من خلال هذا النظام، الذي من أساسياته محاسبة المعتدين.

هذه الديمقراطية هي التي أوصلت هؤلاء إلى سُدّة الحكم، فصاروا شرًا وبلاء على شعوبهم وعلى العالم، ولا نعرف أنظمة حكم فردية جلبت للعالم مثل هذا القدر من الشر، ليس تركيبة لهذه الأنظمة، لكن إذا كان النظام الفردي مطية للاستبداد، فالأنظمة الديمقراطية كانت مطية لحروب عالمية، قتلت عشرات الملايين، واحتلال، ونهب ثروات البلاد الضعيفة، وزرع قنابل عنقودية بمئات الملايين في العالم، لا زالت إلى اليوم تفتك في لاوس، وأفغانستان، ولبنان بآلاف الأطفال، والنساء، والشيوخ، والرجال...

إلى أن قال:

● أوباما والفوز الصعب:

منذ بدء الانتخابات الأمريكية، والمتابع لما يجري يعلم سلفاً، أن كلا المرشحين لابد وأن يقدم ولاءه وطاعته لليهود ودولة إسرائيل، ويظهر تفانيه في إرضائهم... هذا شرط أساس لفوزه بالرئاسة، وهكذا فعل كلاهما، فأوباما طار إلى القدس، ووقف أمام حائط المبكى بخشوع، معتمراً غطاء صغيراً، يردد ما يعوذه به الحاخام. كلا المرشحين أوباما/ماكين، كانا يتباريان في إعلان وفائهما لإسرائيل.

حين ترى ذلك، تدرك: أن الانتخابات مسيرة. وأن فئة لها يد في اختيار الرئيس القادم، وهذا معروف لكل محلل وسياسي، فاللوبي اليهودي الممثل في مجلس العلاقات الأمريكية الإسرائيلية «إيباك» لابد وأن يرضى عن المرشح.

كانت المؤشرات ترجح ماكين «كونه أبيض» على أوباما، فالمجتمع الأمريكي -حتى العالم- لا يتخيل رئيساً داخل البيت الأبيض إلا أبيض. لكن ثمة شيء يعوق، فماكين جمهوري، وثمانى سنوات من الحكم الجمهوري كافية لإقناع الشعب بسوء قيادة هذا الحزب، مع ذلك فلا استطلاعات أكدت تقدم ماكين.

وقعت الكارثة المالية، وتهاوت مكانة الولايات المتحدة

الاقتصادية، سبقتها إخفاقات عسكرية هائلة، رسمت صورة قاتمة لهذه الدولة العظمى في العالم، والمسئول عن كل ذلك بوش وحزبه.

كل هذه العوامل أعطت أثرها في ترجيح كفة أوباما؛ فهو الأقدر على تحسين صورة أمريكا، ومحو صورة العنصرية عنها، وانتخابه يعيد إليها شيئاً من بريقها الخافت، لكن اللون لا يزال عائقاً.

بالطبع هو عائق عند عامة الشعب، الأبيض منه، وهو الأكثرية، لكن الجهات التي لها اليد في تحريك العملية الانتخابية، وتحديد اتجاهاتها، وهي تحديداً: الشركات الكبرى، شركات النفط، والسلاح، والإعلام، لا تهتم -في الحقيقة- كثيراً، أو ليس من أولوياتها ما لون الرئيس القادم، أو جنسه، وإن كانت تفضله من البيض، لكن إذا كانت المصلحة في تغيير لونه، أو جنسه، فلا مانع من أن يحكم البلاد، حتى الأصفر الصيني، أو الأحمر الروسي، بل لو كان مسلماً فلا مانع، إذا صار هو الأقدر على تحقيق المصالح الخاصة لهذه الجهات.

وهكذا بدأت هذه الجهات بإعطاء إشارات لتقديم أوباما رئيساً جديداً، فأعلنت صحف كبرى تأييدها لأوباما «واشنطن بوست، نيويورك تايمز، لوس أنجلوس تايمز، شيكاغو تريبيون»، وهو انحياز سافر، يخالف العملية الديمقراطية؛ إذ يفترض بوسائل الإعلام

الحيادية التامة، لكن أحدًا لم يعترض، ولم يسأل عن هذا الخرق القانوني!! تبعه إعلان كولن باول تأييده للمرشح أوباما. منذ تلك اللحظة، بدا واضحًا أن أوباما هو الرئيس المقبل (٤٤) للولايات المتحدة الأمريكية، ولم يبق لوصوله إلى البيت الأبيض إلا تجاوز الأيام المقبلة، ولعل ماكين شعر بذلك.

لم يكن أوباما الشخص الساحر، الذي يملك ما تملكه هوليوود «= العصا السحرية» لحل المشكلات العويصة التي عصفت بالأمة الأمريكية، فأكلت من سمعتها، ومكانتها، لكن اختياره كان في صالح دولة فقدت كثيرًا من رصيدها في الخارج.

فما أن أعلن فوز أوباما حتى نسي الناس دور الولايات المتحدة في أزمت العالم، والصورة البشعة التي رسمتها لنفسها خلال ثماني سنوات مضت، بالاحتلال، وقتل الأبرياء الضعفاء، والتدمير، والنهب، ثم أخيرًا تدمير الاقتصاد العالمي بأكمله، نسي الناس فخرجوا يشيدون بأمريكا، وديمقراطيتها، وحضارتها، وتقدمها، وقوتها للعالم في ذلك، لا بل بلغ ببعضهم أن يتمنى عليها أن تساعد لإحلال نظامها في الدول العصية على ذلك.

وهكذا صدق حدس وظن الذين اختاروا أوباما، فاستعادت الدولة العظمى شيئًا من بريقها، وعادت الآمال منعقدة فيها لسنوات

أربع قادمة.

ليس من رئيس يصل إلى البيت الأبيض لمجرد أن الشعب اختاره، هذا وهم، يتخلص منه من يعرف تفاصيل الانتخابات، وتنافس المرشحين لاسترضاء اللوبي اليهودي ودولة إسرائيل.

أما الشعب فيعطى فرصته «منعاً للشغب والعنف» ليقول كلمته، ويعطي ترشيحه، ويطل في أمد هذه الفرصة، لاستفراغ الطاقة، والتعبير عن التطلعات، وممارسة النقد العلني، وإعطاء رأيه في اختيار الرئيس، لكن هل هو مؤثر حقيقي في العملية برمتها؟ أشك في ذلك.

فالفرد الأمريكي يئن تحت ديون متراكمة، وكل يوم يفقد مسكنه بالرهن، فيضطر للعيش في عربة، أو خيمة، والمتضررون من إعصار كاترينا إلى اليوم لم يتعوضوا عن فقدان منازلهم، فأين هم الرؤساء المنتخبون عن وعودهم التي قطعوها لهذا الشعب، من رفاهية، وتحسن اقتصادي؟.

الحقيقة أن الرؤساء لا يأبهون للشعب، بالقدر الذي يأبهون به لفئة التجار أصحاب الشركات الكبرى، فالهدف الأول المطلوب إرضاءه هم المؤثرون تأثيراً مباشراً في الاختيار، أما الشعب فهم هدف ثان، إن تيسرت خدمته بالشكل المُرْضي فعلوا، وإلا كذبوا عليه، ويشق على أي رئيس أن يخالف هذه الإستراتيجية، وإلا تعرض لمثل

ما تعرض له الرئيس جون كيندي.

وصل أوباما إلى الحكم، والتغير القادم لن يكون جوهريًا، لكنه أيضًا لن يكون نسخة عن الحكم الجمهوري، فالجمهوريون سيماهم الحروب والصدمات، عكس الديمقراطيين، فالأعوام المقبلة ستشهد هدوءًا نسبيًا، يحاول أوباما فيها إصلاح ما أفسده بوش، لكنه لن يتجاوز الخطوط الحمراء.

● شيء من تفاصيل الانتخابات:

في تفاصيل هذه الانتخابات بعض الأمور، فنصف الشعب الأمريكي هو المنتخب، أما النصف الآخر فلا يأبه، إما لانشغاله بخاصته، أو لعلمه بحقيقة الانتخابات.

وهذا النصف المنتخب يتقسمه المرشحان، فنصيب المرشح في أكثر تقدير لا يتجاوز الربع، وبهذا فالرئيس لم ينتخب إلا من الربع، والربع كثير.

وفي نظام الانتخابات ثمة مجلس انتخابي، يضم ما يزيد على ثلاثمائة عضو، هو المخول باختيار أحد المرشحين بشكل مباشر، فالمتخبون يعطون أصواتهم لهذا المجلس، ثم المجلس ينتخب الرئيس.

وبهذا، لا ندرى كيف يكون الشعب اختار رئيسه، وهو لم ينتخبه بصورة مباشرة؟.

وقد صرح بعض المراقبين الدوليين من الروس أن الولايات المتحدة تمنع مشاركتهم، أو إطلاعهم على سير الانتخابات، حتى إنها حجبت عنهم كافة المعلومات، حينما حضروا كمراقبين متطوعين.

هذه، مع طريقة تعاطي الإعلام الأمريكي للانتخابات، وانحصار المنافسة بين الحزبين الوحيدين، وسقوط كافة المرشحين المستقلين، مهما كانت قدراتهم، ومنع إنشاء أحزاب جديدة، كل هذه تعطي صورة لا تمثل الديمقراطية كما يبشر بها، فهي تحمل كثيرًا من التشويه، والغموض، والخداع.

● أقول حقًا:

كم من مرة حاولت فيها جاهدًا، أن أتفهم موقف العاشقين للديمقراطية، لعلني أنحاز إليهم، خصوصًا مع ما يحاط بهم من دعاية إعلامية مجانية، لكن في كل مرة أقرأ لهم، أكتشف شيئًا، آسف معه أن أترك يقينًا إلى مشكوك؟.

فإخفاقات الديمقراطية المتوالية، لم يملك معها المتممّون إلا

سلوك ألفاظ التعالي، والإملاء، والازدراء وسيلة لسوق الناس إلى الديمقراطية، كأنهم قطعان ماشية.!!.

من سوء حظ الديمقراطية أن تولي ترويجه مجموعة لا تحسن الجدل، ولا تعرف أساليب الحجاج العقلية والمنطقية، بل تركب مطية التجهيل، والشتم، والتقص وهي بذلك تعري هذا المذهب بداية، ليظهر على حقيقته وجهًا كالحا، أراد التستر بقناع لامع، لكن مريديه لم يمهلوا». انتهى.

*** وهناك كتاب «نقد الديمقراطية المعاصرة في الفكر الغربي»

لمؤلفه: د. بشير زين العابدين.

يقول فيه: «يروق للسياسيين استخدام مصطلح الديمقراطية - الذي تحبه الجماهير - لأنه يمنحهم أفضل فرصة لتجنب المسؤولية، ويمكنهم من سحق خصومهم... باسم الشعب» «جوزف شمبتر».

يتميز الفكر الديمقراطي بأنه نشأ في عصر سابق للفترة التي نشأت فيها الإيديولوجيات الأوربية كالقومية والرأسمالية والليبرالية خلال القرنين الثامن والتاسع عشر، فقد استخدم مصطلح «الديمقراطية» لدى فلاسفة اليونان خلال القرن الخامس قبل الميلاد، للتعبير عن نظام يمنح الشعوب حق حكم نفسها وتقرير مصيرها.

ويعتبر المؤرخون بأن ظهور هذه الفكرة يمثل ردة فعل للأنظمة السائدة في ذلك العصر والتي تقوم على نفوذ النبلاء «الأرستقراطية» وتسلط الأقلية «الأوليغاركية» وحكم الفرد «الملكية».

وقد قامت الديمقراطية على افتراض أن الشعوب لا تحتاج إلى وصاية أقلية للقيام بأمرها، ولا بد -لتبني هذا الافتراض- من الثقة المطلقة بقدرة الشعوب على القيام بأمر الحكم وتحقيق المصلحة المشتركة، وتجنب الإضرار ببعضهم البعض، وأن أفراد الشعب متساوون في حقوقهم السياسية ولكل واحد منهم حق المشاركة الفعلية في اتخاذ القرار وصياغة السياسات التي تحقق الأمن والرخاء للمجتمع.

وكان جان جاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨) من أبرز مفكري القرن الثامن عشر، الذين نادوا بتطبيق الديمقراطية الحقة حسب أصولها اليونانية، والتي نصت على ضرورة المشاركة الفعلية لجميع أفراد المجتمع الديمقراطي في سائر جوانب الحياة العامة، وقد جاءت جدليات روسو لتبين حجم التباين بين النظرية والتطبيق في الممارسة الديمقراطية في أوروبا الحديثة.

وتحاول هذه الدراسة تبين أبرز نقاط الخلاف بين أصول الفكر الديمقراطي وتطبيقاتها خلال القرنين الماضيين، وقد استخدم

المثال البريطاني لأنه يمثل أقدم ديمقراطية في العالم الغربي، ويعتبر مثلاً يُحتذى في التطبيقات الديمقراطية المعاصرة.

● بين النظرية والتطبيق:

حظيت الديمقراطية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر باهتمام فئة من مثقفي الطبقة الوسطى، الذين أرادوا تحدي سلطة الملكية والكنيسة بشرعية الشعب.

ويشير المؤرخ البريطاني ريتشارد جاي إلى أن المنتمين إلى هذه الطبقة كانوا يسعون في الحقيقة إلى حماية ثرواتهم من تسلط الملكية وطمع الطبقة الفقيرة على السواء، ولذلك فقد اعتبرت «سلطة الشعب» سلاحًا استخدمه الأوروبيون في صراعهم الطبقي المرير، ووسيلة لاستبدال نظام مندثر بآخر يمكن لفئة جديدة من ممارسة السلطة بشرعية جديدة لا تعبر بالضرورة عن رأي الجماهير.

وقد وقع العبء على عدد من المفكرين الغربيين مثل جيرمي بنثام (١٧٤٨ - ١٨٣٢) وإدموند بورك (١٧٢٩ - ١٧٩٧) وجيمس ميل (١٨٠٦ - ١٨٧٣) للتوفيق بين فرضيات القرن الخامس قبل الميلاد وواقع أوروبا في عهد الثورة الصناعية، ونتج عن ذلك صورة جديدة لديمقراطية معاصرة تتغاير في أصولها مع الديمقراطية اليونانية.

● ويمكن تلخيص أبرز محاور هذا التباين في النقاط التالية:

● أولاً: الوصاية على الشعب:

لم يكن لدى السياسيين في الحقيقة ثقة بقدره الجماهير على حكم أنفسهم، فقد كانت الأكثرية من العمال والفلاحين تعيش في جهل وفقر مدقع تحت وطأة الأرستقراطية التي تحتكر السلطة السياسية، وقد زعم جيمس ميل بأنه يصعب تحميل هذه الطبقة من: «الجهلة، عديمي المسؤولية، والعاجزين عن تطوير أنفسهم فكرياً» مهمة الحكم المباشر.

ولذلك فقد تم استحداث آلية برلمانية للموازنة بين سلطة الأرستقراطية في مجلس اللوردات وسلطة الشعب في مجلس العموم، واعتبار الملكية وصياً على هذا النظام الذي يتناقض في أصله مع النظرية اليونانية والتي تنص على ضرورة الثقة الكاملة بإمكانية حكم الجماهير أنفسهم.

وقد استمر الجدل لفترة طويلة بين السياسيين الأوروبيين حول خطورة توسيع سلطة الشعب، والفوضى التي يمكن أن تنتج من جراء ذلك، وفي هذا المجال صرح السياسي البارز راندولف تشرشل، والد ونستون تشرشل، في الثمانينيات من القرن التاسع عشر: «إنني أثق بالشعب... ولا أخشى من الديمقراطية... فديمقراطية المحافظين

تؤمن بأن الملكية - الوراثية - ومجلس اللوردات - الوراثي - هي أقوى الحصون التي شيدتها البشرية على مر العصور لحماية الحريات الديمقراطية، والتي تخضع وتدين بالولاء للمؤسسة الكنسية!!.

وقد بقي هاجس الخوف من حكم الشعب مسيطرًا على السياسيين الغربيين، فكان الاقتراع محصورًا على عدد محدود من الذكور ولم يسمح لطبقة العمال والنساء والأقليات بالتصويت إلا في مرحلة متقدمة من القرن العشرين.

ويمكن القول بأن الممارسة الديمقراطية المعاصرة لا تزال تخدم فئة محدودة من السياسيين الذين يغلب عليهم الحذر الشديد من مغبة التوغل في مفهوم حكم الشعب المباشر.

● ثانيًا: التمثيل:

لقد كان من أبرز الانتقادات للفكر اليوناني أنه نظر إلى المجتمع نظرة بدائية لا تتناسب مع واقع الحياة الغربية وتعقيداتها في القرن التاسع عشر.

وقد جادل المفكرون الغربيون بأن الحكم المباشر للشعب أمر يستحيل تحقيقه لأن مشاركة أعداد كبيرة من الجماهير في جميع الأمور سيخلق جواً من الفوضى السياسية التي تؤدي بالمجتمع إلى الهاوية.

ولذلك فقد كان البديل هو استبدال حكم الشعب بحق اختيار الشعب لمن يحكمهم ويعتبر هذا التنازل هو المنعطف الرئيسي الذي عرقل مسيرة تحقيق الديمقراطية بأصولها.

ولا تزال هناك فئة من المفكرين الغربيين تنادي بضرورة تطوير آليات الحكم المباشر للشعب بدلاً من تطوير آليات وسبل تمثيل الشعب.

ويمكن القول بأن الديمقراطية المعاصرة قد حجبت عن الشعب حق الحكم ومنحته حق اختيار الحاكم وشتان بين الأمرين.

وتكمن الإشكالية في مبدأ التمثيل بأن المجالس النيابية في صورتها الحالية لا تمثل التركيبة الاجتماعية للمتخيين ولا تنطق عن أفكارهم.

لقد رأى كل من ميل وبيثام في أواخر القرن الثامن عشر أن الطبقة الوسطى تملك أوضح رؤية لتحقيق مصلحة الشعب إذا ما قورنت بالأغلبية من الفقراء أو الأقلية من الأرستقراطيين؛ ولذلك فإنه يجب أن يكون أساس الممارسة الديمقراطية قائماً على النواب الذكور الذين يتمتعون إلى هذه الطبقة وتتجاوز أعمارهم سن الأربعين.

ويبدو أن الديمقراطية الغربية لم تحقق الكثير من التقدم في مجال التمثيل، فمن المثير للاستغراب هو أن مجلس العموم البريطاني في أواخر القرن العشرين لا يزال يمثل هذه الأقلية من المجتمع، في

حين أن الأغلبية لا تجد من يمثلها، ففي إحصائية لأعضاء البرلمان البريطاني عام (١٩٨١) تبين بأن (٨٦.٦٪) من حزب المحافظين (٨٥.٤٪) من حزب العمال هم من البيض المتمين للطبقة الوسطى الذين تتجاوز أعمارهم سن الأربعين.

بل إن الحقيقة التي فرضت نفسها في انتخابات بريطانيا عام ١٩٨٣ هي أن أعضاء المجلس لم يعكسوا تركيبة المجتمع، مما يعني أنهم غير قادرين على تمثيل الشعب، بل كانت أكثرية المجلس تمثل فئة واحدة وهي: البيض، الذكور، المتمين للطبقة الوسطى، كما كان الحال في أواخر القرن الثامن عشر.

• ويوضح الجدول التالي توزيع النساء والأقليات في بريطانيا خلال الانتخابات الثلاثة الماضية:

مجموع مقاعد مجلس العموم	عدد الأقليات	عدد النساء	انتخابات عام
٦٣٥	٠	٢٧	١٩٧٤
٦٣٥	٠	١٩	١٩٧٩
٦٥٠	٠	٢٣	١٩٨٣

فأين هي المساواة بين جميع أفراد المجتمع، وما قيمة

الشعارات التي يتبناها الغرب ويفرضها على الآخرين في ضرورة تحقيق المساواة السياسية بين المرأة والرجل؟

وثمة مشكلة أخرى في مسألة التمثيل: تلخص في أن أغلب المفكرين الغربيين يجادلون بأن عضو المجلس هو في الحقيقة مفوض وليس ممثلاً لمنتخبه، أي أن انتخابه يعكس ثقة الجماهير بكفاءته وقدرته على تمثيل مصالحهم في البرلمان، لا لأن يكون مجرد صدى لأرائهم وأفكارهم.

بل إن الجهة الوحيدة التي يجب أن يمثلها عضو المجلس هي الحزب الذي ينتمي إليه وليس منتخبه.

وبهذه الصورة تكون قد انقضت آخر معالم الديمقراطية التي بدأت بحكم الشعب، وتنازلت إلى اختيار الشعب من يمثله في الحكم، ثم تطورت بعد ذلك إلى اعتبار الشخص المنتخب ممثلاً للحزب «بتفويض من الجماهير». اهـ. راجع تمام المقال في كتابي «فتنة العصر التشريعي».

• وفي ختام هذه المقالات والكتابات، وغيرها كثير أقول بقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٨٢) [النساء: ٨٢].

فهاهي الديمقراطية في أعين ساستها ومنظريها؛ عادت هباء
منثورًا، وسرابًا يجري وراءه كل ظالم ومفتون، ويبقى صرح الإسلام
شامخا بعدالته الربانية، من لدن حكيم عليم خبير.

ولن تصلح البشرية بغير ما اختاره لها ربها وخالقها ﷻ
القائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

فعبثًا يحاول الإنسان نيل السعادة بإقامة عدل مزعوم، بعيدًا عن
شريعة رب الأرض والسماء، وما حالهم وذلك إلا كقول القائل:

فأصبحت من ليلى الغداة كقابضٍ

على الماء خائنه فروج الأصابع

● معنى اجتناب الطاغوت والكفر به «الديمقراطية مثالا»:

إن المتأمل في نصوص الكتاب والسنة، يجد وبكل جلاء
ووضوح أن أحص خصائص الإيمان ولوازمه، الكفر بالطاغوت
واجتنابه، والبراءة منه ومن أهله.

وإن من العجائب العلمية، أن تجد أقوامًا من أهل العلم
والإيمان، يقررون في دروسهم وكتاباتهم، ضرورة اجتناب الطاغوت
واعتزاله، ثم هم يُفتنون بجواز مداخلته، وتولي المناصب له!!.

ولا أقول إنهم لم يفهموا معنى اجتناب الطاغوت بهذا الاعتبار،

ولكنهم تأثروا بأقوال لبعض أهل العلم من المتأخرين، لِمَا حباهم به الله تعالى من الفهم والتدقيق، والاستقراء والتحقيق، مما علا به كعبهم في العلم، وصار لهم بفضل الله تعالى وتوفيقه قدم صدق في هذه الأمة، إلا أنه يبقى هذا العالم أو ذلك، غير معصوم من الخطأ والذهول والنسيان.

ومن استصحب معه هذا الأصل الأصيل؛ سيدرك ولا محالة بإذن الله تعالى، مواضع الزلل والخطأ والنسيان والذهول في كلام أهل العلم.

وإن من الجناية الكبرى على الشريعة أن نُحاكِم نصوص الكتاب والسنة إلى أقوال الخلف، مع وجود أقوال وأحوال للسلف، في بيان ذلك وتفصيله، بل ومع ظهور دلالات الكتاب والسنة في هذا الشأن أو ذاك، فكيف بهذه المسألة الأصولية الكبرى، المتعلقة بأخطر القضايا وأكبرها، ألا وهي مسألة: كيفية تحقيق الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، والتي هي العروة الوثقى التي لا تقوم للإيمان قائمة بدونها، وإن كثرت صلاة المرء وعباداته.

وإن مما ينبغي أن يتنبه له أهل السنة والجماعة: أنهم يقررون دائماً في دروسهم وكتاباتهم وخطبهم ومواعظهم، أنهم إنما يأخذون دينهم من الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة.

وهذا من الأصول المتفق عليها بين أهل السنة والجماعة؛

فعلى كل من انتسب إلى هذا الأصل، أن يكون عاملاً به، مفتخراً بذلك، لا ينكّل عنه ولا يتنصل منه، ولا يتنكر له باعتبارات وأعدار واهية، كمن يقول: كيف خفي ذلك على العالم الفلاني؟!، أو قولهم: وهل هذا العالم لم يحقق في هذه المسألة المتعلقة بأصل الدين والإيمان؟!، ونحو ذلك من الأقوال، فإن هذا من مواقع الزلل والجهل، والمخالفة الصريحة لما يدين الله تعالى به من الاعتداد بالأصل المتقدم تقريره.

• وإن مما ينبغي أن نتذكره دائماً: أنه ليس من حقنا أبداً أن نتخذ من الخلف سلفاً؛ لنعترض به، ونعارض أقوالاً وأحوالاً للسلف الصالح، أهل القرون الثلاثة المفضلة؛ فتأمل!

والم تأمل في الساحة الدعوية في هذا العصر؛ يجد أن أقواماً انتحلوا ذلك؛ فاتخذوا من الخلف سلفاً، وجعلوا أقوالهم قاضية وحاكمة على كل حال، وإن خالفت أقوال السلف، بل وإجماعهم، فالله المستعان، ونعوذ به من العمى والخذلان.

كما أن من المتقرر لدى أهل العلم أن العالم لا يسعه التقليد، وهو قادر على البحث والتنقيب عن الحق لإصابته، فكيف بمسائل العقيدة، فإن الأمر أعلى وأجل.

والآن فلنشرع في المقصود، فأقول مستعيناً بالله تعالى: إن قضية

اجتناب الطاغوت، هي من القضايا التي كثرت معالجتها في الكتاب والسنة، تارة بالتحذير الصريح، وتارة بالثناء على مجتنب الطاغوت، وتارة بالحث على اجتنابه، وتارة بذكر نجاة من اجتنب الطاغوت وهلاك وبوار من لم يفعل.

كما أن المتأمل يجد أن الألفاظ قد تنوعت، وتنوعت العبارات، والسياقات في هذا الصدد كذلك، كل هذا إمعاناً في بيان خطورة هذا الشأن العظيم، والخطب الجلل.

فهناك الأمر بالترك، وهناك الأمر بالاعتزال، وهناك النهي عن الركون، وهناك الأمر بالبراءة، وهناك الحث على المنابذة، بل وجاء التصريح بالأمر بالمقاتلة، مع وجود الشوكة؛ لإزالة الطاغوت، حتى تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

وجميع هذه الألفاظ، قاضية وبكل صراحة ووضوح، أنه لا يحق لعبد مهما بلغ من العلم والديانة والتقوى والورع، أن يكون مداخلًا للطاغوت، فضلاً عن أن يكون خادماً له؛ إذ كيف يتصور ذلك مع تحقيق المنابذة، والسعي في المقاتلة والإعداد لذلك، والقيام بالاعتزال التام والبراءة المعلنة، بل كيف يتأتى ذلك مع تحقيق معنى الترك والاجتناب وعدم الركون؟!.

لا شك أن هذا من أبطل الباطل، ومن أقبح أنواع السعي

الحديث في الجمع بين المتناقضات، فإن الإيمان لا يكون دائماً إلا في حد في مقابلة الطاغوت على كل حال، فلا تقارب ولا ركون ولا مداخلة، بل هو الاعتزال والاجتناب، والحرب المعلنة، والتحدي إن أمكن ذلك، والبراءة من الطاغوت ومتعلقاته، فإنما هو الاجتناب للعباد المعبود من دون الله تعالى، بكل ما تحمله هذه المعاني من الضرورات والإلزامات.

وقصص الأنبياء والصديقين واضحة المعالم في الكتاب والسنة، كلها دالة وقاضية بتقرير هذا المقام الكبير الخطير، فلا تجد نبياً، ولا رسولاً، ولا صديقاً، إلا وهو محقق لمعنى هذا الاجتناب، من خلال الاعتزال والتَّرك، والبراءة والتَّحدي، والمحاربة إن أمكن ذلك، وغير ذلك من المعاني الكبار المتعلقة بهذا الأمر العظيم.

وإن أي مداخلة للطاغوت، أو محاولة لإيجاد قواسم مشتركة معه، وإن كانت بدعوى تقليل الباطل أو الظلم، يصب مباشرة في باب التلبس في الدين، وعدم منابذة الطاغوت، فالحذر الحذر.

وإن من أعظم الأمور التي جرت إلى تثبيت الطاغوت وبقائه، مداخلته وتولي المناصب له؛ إذ إن الواجب على المسلمين السعي في إزالته، فلما داخلوه وركنوا إليه؛ مسهم العذاب، حيث رَقَّت مسائل الشرع عندهم، بل تناسوا الطاغوت، بل وصاروا معذرين عنه؛ لأنهم

والحالة هذه إنما يعذرون عن أنفسهم وواقعهم المر الذي يعيشونه، ترى ذلك على حالهم ومقالهم، فمن قائل: أتريدنا أن نعتزل المجتمع؟، وآخر يقول: نريد الإصلاح، ومن قائل: هذا ولي أمرنا وتجب طاعته!!... إلخ.

أما علم هؤلاء أن الطاغوت هو عبارة عن مؤسسات وكيانات يمرر من خلالها الطاغوت حكمه الجاهلي بدستوره الكفري؟!.. وهو بحاجة ماسّة إلى مَنْ يُكَلِّمُ له حاله، ويُرَوِّجُ له، وبدخول هؤلاء معه سيتم له ما يريد.

• والسؤال الكبير الذي يطرح نفسه: أليس من القواعد المتفق عليها، عند هؤلاء الذين يزعمون مداخله الطاغوت بدعوى الإصلاح وتقليل الشر، أخذهم بقاعدة: «أن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأمرنا بتقديم خير الخيرين بتفويت أدناهما، وبدفع شر الشرين باحتمال أدناهما».

فنقول لهم ولغيرهم: أليس من المقطوع به أن أعظم الشر على الإطلاق هو الكفر والشرك بالله تعالى، وهو الطاغوت المأمور باجتنابه والكفر به، والبراءة منه ومن أهله؟.

فنسألهم، ما هي المفسدة التي هي أعظم من الطاغوت، قادتكم إلى الركون إلى الطاغوت ومداخلته؛ لتدفعوا الأعلى بالأدنى،

ولاشك أنه وبهذا الاعتبار والتصور، أن الأدنى هنا هو الطاغوت، والأعلى هو ذلك الشيء الذي لأجله داخلوا الطاغوت محتملين إياه؛ لدفع ذلك الأعلى!!.

فنعود ونقول: ما هو هذا الأمر الذي هو أعظم من الطاغوت؟! حتى دفعتم الأعلى باحتمال الأدنى «الذي هو اجتناب الطاغوت في هذه الحالة»؟!.

إن المتأمل في واقع هذه المداخلات، يجد أن الأمور التي يذكرونها، والتي بسببها داخلوا الطاغوت، كانت على كل حال أدنى بكثير من الطاغوت، بل وفي كثير من الأحيان إن لم يكن دائماً، تكون هذه المداخلات؛ لتقليل ضرر وقع على الناس في دنياهم، من مأكّل ومشرب وملبس، ووظائف ونحو ذلك من أسباب المعاش.

ولا شك أن هذه الأشياء، لا يحل معها أبداً بحال من الأحوال مداخلات الطاغوت، المأمور باجتنابه ومحاربته، واعتزاله وتركه، والكفر به والبراءة منه ومن أهله، بل وعدم الركون إليه في قليل ولا كثير.

بل لا يحل أبداً مداخلته مهما كان الأمر؛ لأننا لم نؤمر بهذا فيما يتعلق بالطاغوت، كما هو بين من النصوص الصريحة، وتعامل الأنبياء والصديقين في محكم التنزيل.

ولكن اللُّوثة التي أخذت بعض القوم، في ترقيق مسائل التوحيد، التي تولى كِبَرها في هذا الزمان بعض الطوائف والأحزاب المنتسبة إلى العمل الإسلامي والدعوة إلى الله، حيث يكون المعظم عند هؤلاء غالبًا دنيا الناس لا دينهم.

ومن المقطوع به أن هذا التصور مخالف، بل ومصادم تمامًا لدعوة الأنبياء والمرسلين، بل ومناهض على طول الخط لملة إبراهيم الخليل الحنيف ﷺ، الذي أمر الأنبياء من بعده أن يأخذوا بها، ويسيروا على منوالها، لا يرغبون عنها، ولا يلتفتون إلى غيرها أبدًا.

ومن أبرز هؤلاء كثير من المنتمين إلى جماعة الإخوان المسلمين؛ حيث يرى هؤلاء أن الشريعة ليست ملزمة على كل حال، ولكنها أمر مهم، ولكن إن كان ذلك سيجر إلى فتن على الناس في دمائهم وأموالهم ونحو ذلك، فيمكن تأخير الشريعة، بل وإلغاؤها، إلا من بعض أحكامها من نكاح وطلاق ومواريث ونحو ذلك. ولا إشكال عند هؤلاء من اعتماد الديمقراطية كحل وسط - زعموا - للخروج بالعباد والبلاد من الفتن!!.

ومن باب الإنصاف ليس كلهم كذلك؛ ولهذا قلت: «كثير من المتتمين» إذ فيهم من يطالب بتطبيق الشرع، ولكنهم وللأسف مخدوعون بشعارات أخرى زائفة خبيثة، ينبغي أن يقوموا عليها

ويتبرءوا منها، كتجديد الدين بحسب الوقائع، والاعتداد بالعقل وإن خالف النقل، والاحتجاج بوجود الخلاف، وأنه لا إنكار مع وجود الخلاف، والكل يسعه أن يأخذ بما يوافق واقعه، وتقديم الأمور التنظيمية على الأحكام الربانية، وهذه من الطوام العظام، فإن جعل الولاء للتنظيم ولو عارض شرع الله تعالى هو داخل في عموم قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٢١﴾ [التوبة: ٣١].

ولتُورد جملة من النصوص الدالة على حقيقة الكفر بالطاغوت واجتنابه، مع التعليق عليها:

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَسْعَيْبُ أَصْلُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ ﴿٨٧﴾ [هود: ٨٧].

فهذا شعيب عليه السلام يطالب قومه بالتزوع التام والتَّرك العام لكل ما يعبد من دون الله، ولم يلتفت عليه السلام إلى ثنائهم، ومحاولتهم الجادة للاستجداء، وترقيق المسألة العظمى، التي بعث شعيب عليه السلام، لهدمها وإزالتها برمتها.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فْتُمْسِكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

وهنا جاء الأمر الصريح بالنهاي عن مجرد الركوب إلى الذين ظلموا فكيف إذا كان الظلم هو الشرك والكفر الأكبر، لا شك أن النهي عنه أولوي.

جاء في «تفسير ابن أبي حاتم» (٢٧٣/٨): «قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا أَبُو صَالِحٍ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا﴾ يَقُولُ: «لَا تَدْنُوا».

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، ثنا إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ، ثنا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ (ح) وَحَدَّثَنِي أَبِي سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِمْرَانَ، قَالَا: ثنا يَحْيَى بْنُ يَمَانَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ الرَّبِيعِ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قَالَ: «تَرَضُّوا أَعْمَالَهُمْ».

حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْعَدَنِيُّ، قَالَ: سُئِلَ سُفْيَانُ، عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قَالَ: «لَا تَدْنُوا مِنْهُمْ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَبُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (٧٤).

حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَازِيِّ، حَدَّثَنِي أَخِي مُحَمَّدٌ، قَالَ: سَأَلْتُ فَضِيلَ بْنَ عِيَّاضٍ، عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَلَا تَزْكُوتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قَالَ: «مِمَّنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا، وَمَنْ كَانُوا، وَفِي أَيِّ زَمَانٍ كَانُوا». اهـ.

وجاء في «تفسير الطبري» (٥٠٠/١٥): «القول في تأويل قوله: ﴿وَلَا تَزْكُوتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (١١٢)»، قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولا تميلوا، أيها الناس، إلى قول هؤلاء الذين كفروا بالله، فقبلوا منهم وترضوا أعمالهم ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾، بفعلكم ذلك، وما لكم من دون الله من ناصر ينصركم وولي يليك، ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (١١٢)، يقول: فإنكم إن فعلتم ذلك لم ينصركم الله، بل يخليكم من نصرته ويسلط عليكم عدوكم». اهـ.

وقال الإمام ابن كثير في (تفسيره) (٣٥٤/٤): «وقوله: ﴿وَلَا تَزْكُوتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: لا تدهنوا، وقال العوفي، عن ابن عباس: هو الركون إلى الشرك. وقال أبو العالية: لا ترضوا أعمالهم. وقال ابن جريج، عن ابن عباس: ولا تميلوا إلى الذين ظلموا، وهذا القول حسن؛ أي: لا تستعينوا بالظلمة فتكونوا كأنكم قد رضيتم بباقي صنيعهم، ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا

لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١٣٢﴾، أي: ليس لكم من دونه من ولي ينقذكم، ولا ناصر يخلصكم من عذابه. اهـ.

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿١٧﴾ [القصص: ١٧].

جاء في «تفسير ابن أبي حاتم» (١١/ ٢٥٧-٢٥٨): «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾:

حَدَّثَنَا أَبُو بُجَيْرٍ الْمُحَارِبِيُّ، ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُحَارِبِيُّ، ثنا أَبُو حَنْظَلَةَ، قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: أَبُو حَنْظَلَةَ الضَّبِّيُّ يَعْنِي: جَابِرَ بْنَ حَنْظَلَةَ الْكَاتِبَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِّعَامِرٍ: يَا أَبَا عَمْرٍو، إِنِّي رَجُلٌ كَاتِبٌ، أَكْتُبُ مَا يَدْخُلُ وَمَا يَخْرُجُ، أَخْذُ رِزْقًا أَسْتَغْنِي بِهِ أَنَا وَعِيَالِي، قَالَ: فَلَعَلَّكَ تَكْتُبُ فِي دَمٍ يُسْفِكُ، قَالَ: لَا، قَالَ: فَلَعَلَّكَ تَكْتُبُ فِي مَالٍ يُؤْخَذُ، قَالَ: لَا، قَالَ: فَلَعَلَّكَ تَكْتُبُ فِي دَارٍ تُهْدَمُ، قَالَ: لَا، أَسَمِعْتَ، بِمَا قَالَ مُوسَى: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿١٧﴾؟، قَالَ: أَبْلَغْتَ إِلَيَّ يَا أَبَا عَمْرٍو، وَاللَّهِ لَا أَخْطُ لَهُمْ بِقَلَمٍ أَبَدًا، قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَدْعُكَ اللَّهُ بِغَيْرِ رِزْقٍ أَبَدًا».

حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا ابْنُ نُفَيْلٍ، ثنا زُهَيْرٌ يَعْنِي ابْنَ مُعَاوِيَةَ، ثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْوَلِيدِ الصَّافِي، أَنَّهُ سَأَلَ عَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ أَخٍ لَهُ كَاتِبٍ، قُلْتُ:

«لَيْسَ بِلِيٍّ مِنْ أُمُورِ السُّلْطَانِ شَيْئًا، إِلَّا أَنَّهُ يَكْتُبُ لَهُمْ بِقَلَمٍ مَا دَخَلَ وَمَا خَرَجَ فَإِنْ تَرَكَ قَلَمَهُ صَارَ عَلَيْهِ دَيْنٌ وَاحْتِاجٌ، وَإِنْ أَخَذَ لَهُ كَانَ لَهُ فِيهِ غِنًى: قَالَ: الرَّأْسُ مَنْ هُوَ؟، قَالَ: خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: -يَعْنِي: مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿رَبِّ يَمَّا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُوبَ ظَهْرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ (١٧). ﴿فَلَا يَهْتَمُّ بِشَيْءٍ، وَلَيُزِمُ قَلَمَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَأْتِيهِ بِرِزْقٍ﴾. اهـ.

• قلت: فتأمل أن كلام السلف هنا على ولاية ظلمة، لم يحكموا بالطاغوت ولم يتحاكموا إليه، بل الجهاد في سبيل الله كان قائماً، والعلم فاش في الناس، والدعوة إلى الحق قائمة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان ظاهراً معلناً، إلا أنهم كان قد ظهرت فيهم بعض المظالم والشهوات المحرمة، فكيف بطواغيت التشريعات الجاهلية؛ فتأمل!

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٦٨) وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْقُوتُ مِنْ حَسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذَكِّرْهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ

عَدَلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ امْتَثِلْنَا قُلْ إِنِّي هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرُنَا لِلْإِسْلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٨﴾ [الأنعام: ٦٨-٧١]. وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَن إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]

جاء في «تفسير الطبري» (١١/٤٣٦): «القول في تأويل قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾»، قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: وإذا رأيت، يا محمد، المشركين الذين يخوضون في آياتنا التي أنزلناها إليك، ووحينا الذي أوحيناها إليك، و«خوضهم فيها»، كان استهزاءهم بها، وسبهم من أنزلها وتكلم بها، وتكذيبهم بها؛ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، يقول: فصد عنهم بوجهك، وقم عنهم، ولا تجلس معهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾، يقول: حتى يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بآيات الله من حديثهم بينهم ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾، يقوله: وإن أنساك الشيطان نهينا إياك عن الجلوس

معهم والإعراض عنهم في حال خوضهم في آياتنا، ثم ذكرت ذلك، ففهم عنهم، ولا تقعد بعد ذكرك ذلك مع القوم الظالمين الذين خاضوا في غير الذي لهم الخوض فيه بما خاضوا به فيه. وذلك هو معنى «ظلمهم» في هذا الموضع». اهـ.

● قلت: وأي استهزاء بكتاب الله تعالى وخوض فيه أعظم مما يتعاطاه ويفعله أصحاب المجالس التشريعية، والبرلمانات الطاغوتية، والدساتير الجاهلية، ودعاة الديمقراطية؟!، فنعوذ بالله من العمى عن الحق، أو التعامي عنه.

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرُكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقْلِبُ أَبْنَاءَهُمْ وَأَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ ﴿١٢٧﴾ [الأعراف: ١٢٧].

وقوله: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَيْنَا يِمَّا نَعُدُّنَا إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ ﴿٧٦﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَدِّلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمِيتُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍ فَاَنْظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧٦﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ [الأعراف: ٧٠-٧٢].

وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ (١٧) [القصص: ١٧].

قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ (٨٦) [القصص: ٨٦].

● معنى الاجتناب في أي الذكر الحكيم:

وقد ورد لفظ الاجتناب في القرآن في ثمانية مواضع، كلها بمعنى التَّرك والهجر والاعتزال والابتعاد والمفارقة وعدم المقاربة والركون، فإليكها:

١- ﴿إِنْ تَجَتَنَّبُوا كِبَارَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (٣١) [النساء: ٣١].

٢- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْأَعْدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ (٩١) [المائدة: ٩٠، ٩١].

٣- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ [النحل: ٣٦].

٤- ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ. وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآنَعَامُ إِلَّا مَا يُشَلَّى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ خُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ. وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣٠، ٣١].

٥- ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادُهُ يَعْبَادُ فَاَنْقُوتِ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾﴾ [الزمر: ١١-١٩].

٦- ﴿وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الشورى: ٣٧].

٧- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اٰجْتَبٰنَا كَثِيْرًا مِّنَ اَظْنٰنٍ اِنَّ بَعْضَ اَظْنٰنٍ اِنَّهُمْ
وَلَا يَجَسَّسُوْا وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُمۡ بَعْضًا اَيُّبُ اَحَدُكُمْ اَنۡ يَّاْكُلَ لَحْمَ
اَخِيْهِ مِيْثًا فَكَرِهْتُمُوْهُ وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ تَوَّابٌ رَّحِيْمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢].

٨- ﴿الَّذِيْنَ يَجْتَنِبُوْنَ كَثِيْرَ اِلَآثِمٍ وَالْفَوَحِشِّ اِلَّا اللّٰمَ اِنَّ رَبَّكَ وَاسِعٌ
الْمَغْفِرَةُ هُوَ اَعْلَمُ بِكُمْ اِذۡ اَنْشَأَكُمۡ مِّنَ الْاَرْضِ وَاِذۡ اَنْتُمْ اٰجِنَةٌ فِى بُطُوْنٍ
اُمَهَّتِكُمْ فَلَا تَزْكُوْا اَنْفُسَكُمْ هُوَ اَعْلَمُ بِمِنۡ اَنْتَقٰى ﴿٣٢﴾﴾ [النجم: ٣٢].

وقال تعالى في وجوب اعتزال واجتناب الأماكن التي أعدت
لحرب الله ورسوله، وإن كان المسمى مسجداً، دعك من أن يكون
برلماناً، أو مجالساً تشريعياً، ونحو ذلك من الدور المسماة باسم
الطاغوت، قال تعالى: ﴿وَالَّذِيْنَ اَتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضُرَارًا وَكُفْرًا
وَتَفَرِّقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَاِزْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهُ مِنْ قَبْلُ
وَلِيَحْلِفُوْا اِنَّ اُرْدْنَاۤ اِلَّا اِلَآلِ الْحُسَيْنِؑ وَاللّٰهُ يَشْهَدُ اِنَّهُمْ لَكَاذِبُوْنَ ﴿١٧٧﴾﴾ لا نفهم فيه
أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يومٍ أحق أن تقوم فيه فيه
رجالٌ يُّحِبُّوْنَ اَنۡ يَنْظَهَرُوْا وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِيْنَ ﴿١٨٨﴾﴾ أفمن
أسس بُنيته على تقوى من الله ورضوانٍ خير أم من أسس
بُنيته على شفا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِى نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ
الظَّالِمِيْنَ ﴿١٩٠﴾﴾ لا يزال بُنيتهم الذى بنوا ربة في قلوبهم إلا أن
تقطع قلوبهم والله عليهم حكيم ﴿١٩٠﴾﴾ [التوبة: ١٧٧-١٩٠].

وقال تعالى في الثناء على أصحاب الكهف، أولئك الفتية الصادقين، الذين اعتزلوا الطاغوت وأهله، ولو كان أقرب قريب، فقال تعالى: ﴿أَمَرَ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا (١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا (١٦) ﴿[الكهف: ٩-١٦].

وقال تعالى في موسى ﷺ في بيان أنه فاصل فرعون ودولته، هو ومن معه، ولم يُدْخِلْهُمْ بغية تخفيف الظلم على بني إسرائيل، أو الإصلاح من الداخل، كما يزعم من يزعم ذلك، وإنما جعل القضية العظمى، التي أرسل بها، نصب عينيه، ألا وهي تحقيق الإيمان بالله تعالى، والكفر بالطاغوت، فبين أنه لا التقاء بينه وبينهم، إلا إن آمنوا بالله وحده، وكفروا بالطاغوت، وتخلوا عنه، وتبرءوا منه، وإلا فهو

الاعتزال التام، والاجتناب العام، الذي أمر الله تعالى به جميع العباد، وبه أرسل الرسل، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ عَبْدَ اللَّهِ إِنَّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزِّلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءَ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الدخان: ١٧-٢٢].

وقال في شأن الخليل عليه السلام، في بيان ملته، وطريقته في التعامل مع الطاغوت، وهي الملة التي أمر الله تعالى جميع العباد الأخذ بها واتباعها، فقال تعالى: ﴿وَأَعَزَّلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: ٤٨-٥٠].

وإن المتأمل في تعامل الذين يُسَوِّغُونَ الدخول مع الطاغوت، وتولي المناصب له، يزعمون أن في ذلك تحصيلًا لمصالح وتفويتًا لمفاسد، وقد بينا من قبل أنه ليس هناك مصلحة أبدًا فوق التوحيد، كما أنه ليس هناك مفسدة قط أعظم من الشرك.

ولكن أريد أن أذكر نفسي وإخواني أن الله تبارك وتعالى يَبَيِّنُ في كتابه العزيز أن في اعتزال الطاغوت واجتنابه الفرج والخير، العز

والنصر، والتمكين والظفر، وهذا ما يطمح إليه جميع العلماء والدعاة، فهل بعد بيان الله تعالى بيان؟! والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَنْبُتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ ﴿١٤﴾ [فاطر: ١٤].

والآيات المتقدم ذكرها، فيها أكمل بيان لهذه الحقيقة، فتأمل في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلْتُمُومًا وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ ﴿٤٩﴾، وتأمل فيما جعله الله تبارك وتعالى من الفرج والنجاة والروح لأصحاب الكهف، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْفُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ ﴿١٦﴾.

وقال تعالى عن إبراهيم ولوط عليهما السلام: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ [الأنبياء: ٧١ - ٧٢].

وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ [العنكبوت: ٢٧].

• حتى قال بعض أهل العلم: من أراد الذرية الصالحة؛ فعليه أن يحقق معنى اجتناب الطاغوت؛ فإن في ذلك أعظم العون من الله تعالى على تحقيق هذا المراد، فاجتناب الطاغوت جعله الله تعالى

سبباً للإنجاب وصلاح الأبناء، والفرج والنجاة.

وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقال ﷺ في بيان أن أصل كل فساد في الأرض، ظهور الكفر وشيوع الشرك، وأن من أعظم ما يحارب به الطاغوت، اعتزاله واجتنابه، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلَ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ فَأَقْرَٰ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلُ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ، مِن اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَعُونَ ﴿٤٣﴾﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَن عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الروم: ٤١-٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: ١١-١٢].

● كَيْفِيَّةُ تَحْقِيقِ الْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ «مثاله الديمقراطية»:

● وإن مما ينبغي أن نتعلمه ونعمل به: معرفة صفة الكفر بالطاغوت، وإن المتأمل في نصوص الكتاب والسنة؛ يجد أن حقيقة الكفر بالطاغوت، لا تكون إلا من خلال تحقيق جملة من الصفات، من أقوال وأعمال واعتقادات، من أتى بها؛ كان محققاً لمعنى الكفر بالطاغوت، الذي أراده الله تعالى من عباده، وإلا كان متبعاً لهواه، حيث حدد من عند نفسه إيماناً مزعوماً بالله تعالى، وكفراً بالطاغوت، يناسب ويشاكل واقعه وهواه، عياداً بالله من الخذلان.

● فأول تلك الصفات: بغض الطاغوت وأهله، وهذا من صميم عقيدة الولاء والبراء؛ إذ لا يتصور إيمان للعبد إلا مع بغض الطاغوت وعدم موادته، كما قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ
أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ
وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ
الْمُقْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ
وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ

مِّنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢﴾ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ
وِإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ
كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ ﴿٢٣﴾ [التوبة: ٢٣، ٢٤].

ونحو ذلك من الآيات.

• الثانية: عدم توليهم ولا موالاتهم، مع البراءة منهم ومن
آلهتهم، مع معاداتهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا
كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

وقوله: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا
تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عِزِّينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ
إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ
﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ الْآلِفُكُمُونَ
﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي
هُوَ بِطَعْمِي يُسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي
ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾
[الشعراء: ٦٩-٨٢].

وقوله: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوْا مَا عِنتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآأَنْتُمْ أَوْلَآءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لِقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا يَعِظُكُمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٨-١٢٠].

وقوله: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَرْبِدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَ الْمُتَفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمُ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء: ١٤٤-١٤٦].

وقوله: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي

أَنْفُسِهِمْ نَدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللّهُ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللّهِ هُمْ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَنْخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هَرُورًا وَلَعِمًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارُ أَوْلِيَاءُ وَاتَّقُوا اللّهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴿المائدة: ٥١-٥٧﴾،

وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَنْخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءُ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُم وَلَا أَوْلَدَكُم يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْضَلُ بَيْنَكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُغْفِرَ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا

وَالِإِيكَ أَتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ [الممتحنة: ١-٥].

• ثالثاً: اعتقاد كفرهم إن كانوا كفاراً أصليين، وردتهم إن كانوا
ممن آمن ثم كفر وانقلب على عقبيه، بعد توفر الشروط وانتفاء
الموانع في حق المعين، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا
إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً
إِذَا أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [المائدة: ١٧].

وقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ
مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي سَرَايِلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ
يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ ﴿٧٦﴾﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ
إِلَهِ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٢، ٧٣].

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ
يُفْرِقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ
وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا

وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

• رابعاً: إبداء وإظهار العداوة لهم مهما أمكن ذلك، والحث على ذلك، وفضحهم وتسفيه أعلامهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرٍ ﴿٢٥﴾﴾ [العنكبوت: ٢٥].

وقوله: ﴿﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ هَاهُنَا عِبَادُكُمْ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا هَاهَا عِبَادِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مِنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَشَكُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ قَالَ

أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ
 (٦٦) أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا
 حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَبْنَازُ كُونِي بَرْدًا
 وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ
 (٧٠) وَبَجَيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١)
 وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢) [الأنبياء: ٥١-٧٢].

وقوله: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتْ
 التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَتَأْتُمْ هَؤُلَاءِ
 حُجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ
 يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ
 حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧)﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٧].

وقوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا
 يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بِشِرِّ النَّاسِ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ
 أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَآئِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ
 عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ
 عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ۚ

أَفَلَا تَعْقُلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ [يونس: ١٥-١٨].

وقوله: ﴿١٦﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَنْقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٩﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٠﴾ إِنَِّّي إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ إِنَِّّي أَمْنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴿٢٢﴾ فَبَلَغْتُ الْهَيْكَلِ فَأَلَيْتُ الْقَوْمَ يَلِيتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ [يس: ٢٠-٢٧].

ومثل هذا كثير في كتاب الله تعالى.

• خامساً: اجتنابهم واعتزالهم، وعدم مداخلتهم، ولا مخالطتهم، وقد أثنى الله تعالى على فاعلي ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ

وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال عن إبراهيم: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [مريم: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٩].

وكما في «الصحيحين» واللفظ للبخاري من طريق أبي إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مُحَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخْنٌ». قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ». قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمْ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ». قُلْتُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ

الْفَرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ».

وفي «سنن أبي داود» عن ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُؤَانَةٍ فَآتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِبُؤَانَةٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثْنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ». قَالُوا: لَا. قَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا عَيْدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ». قَالُوا: لَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ».

وتأمل كيف أن النبي ﷺ يسأل هذا الرجل عن طاغوت قد زال، فليس له وجود في تلك البقعة، ولكن لما كان المقصود الاجتناب التام العام سأله عما إذا كانت هذه البقعة في يوم من الأيام ولو في غابر الزمن مكانًا لوثن من أوثان الجاهلية، إمعانًا منه ﷺ في تتبع آثار الطاغوت للقضاء عليه، وعلى أعياده ومواسمه، باعتزال حتى البقعة التي كان يُتَعاطى فيها الطاغوت؛ حسماً للمادة، وقطعاً لكل متعلق بالطاغوت؛ وحتى لا تُحيَا شعائره، ولو بذكر آثاره الماضية.

فأين هذا ممن يريد أن يداخل الطاغوت - زعموا للإصلاح - فالشارع الحكيم يشوف إلى إيصاد كل باب يفضي إلى تذكر

الطاغوت ولو بعد حين، فكيف وهو مائل شاخص للعيان؟، فإن الواجب القيام عليه للقضاء المبرم التام عليه، وعلى أعوانه وسدنته، وأشياعه.

وفي «صحيح البخاري» عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفْرُ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ».

• سادساً: لعنهم والإغلاظ عليهم، مهما أمكن ذلك، بالضوابط الشرعية^(١)، كما قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٦) أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ [آل عمران: ٨٦-٨٧].

(١) كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّلْنَا كُلَّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٠٨) [الأنعام: ١٠٨]، وأن يكون ذلك بوجه شرعي لا أن يكون ديدناً للعبد على كل حال، فقد دعا النبي ﷺ على المشركين ولعنهم، ولكنه قال أيضاً كما في «صحيح مسلم» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ؟ قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَنًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً». وفي «صحيح مسلم» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَنْبَغِي لِصَدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَنًا».

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۖ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا أَشْتَرُوا بِهِ ۖ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا ۚ أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۚ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِعَصْبِي عَلَىٰ عَصْبِي ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾ [البقرة: ٨٨-٩٠].

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۚ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦١].

• سابعاً: الدعاء عليهم وعلى أموالهم ومقدراتهم، والفرح بدمارهم وهلاكهم، واعتقاد أنهم شر خلق الله وأبغضهم إليه، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ۚ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس: ٨٨].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٣١﴾﴾

إِنَّكَ إِنْ نَذَرْتَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِراً كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴿[نوح: ٣٦، ٣٧].

وقوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ﴿٣٩﴾ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَنُصِيعَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصِيعَ مَائِهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَتَقَفَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا بَنِيَّ لِمَ أَشْرِكْتُمْ بِيَّ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴿[الكهف: ٣٩-٤٢].

وكما في «الصحيحين» واللفظ للبخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا». قَالَتْ: وَلَوْلَا ذَلِكَ لَا بُرْرُوا قَبْرَهُ غَيْرَ أَنِّي أَخْشَى أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا.

وفي «الصحيحين» أيضًا واللفظ للبخاري عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَذَكَرَتَا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ أَوْلَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوْرَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وفي «صحيح البخاري» عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ، وَمُبْنِعٌ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةٌ

الْبَاحِلِيَّةِ، وَمُطْلَبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهْرِيَقَ دَمُهُ».

وفي «صحيح البخاري» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخْنَى الْأَسْمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسْمَى مَلِكُ الْأَمْلَاكِ»، وفي رواية: «أَخْنَعُ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ».

وفي «الصحيحين» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ».

• ثامنا: السعي في مجاهدتهم وقتالهم عند توفر الشوكة، كما قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَجٍ أَخْرَجَ سَطْرَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

وقوله: ﴿وَإِنْ نَكُنُوا آيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَنْبُلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ ﴿١٢﴾﴾ أَلَا تُقْنِلُون قَوْمًا نَكُنُوا آيْمَنَهُمْ وَهَكُمُوا بِإِخْرَاجِ الرُّسُولِ وَهُمْ بِكَدْءِكُمْ أَوْلَك مَرَّةً أَنْتَخَشَوْهُمْ فَلَّاهُ أَحَقُّ أَنْ

تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَصْرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴿[التوبة: ١٢-١٥].

وقوله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ ﴿[التوبة: ١٢٣].

• تاسعاً: اجتناب إبرام أي عهد فيه غضاضة على الإسلام أو المسلمين في مشارق الأرض أو مغاربها معه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَنَمَسْكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ ﴿[هود: ١١٣].

وقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٢٩﴾ ﴿[يَمَسَّكُمْ فَرَجٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَجٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٤٠﴾ ﴿[آل عمران: ١٣٩، ١٤٠].

وقوله: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَزِيدَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿[إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَنَقَّوْا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿[محمد: ٣٥، ٣٦].

• **عاشراً:** لقاؤهم بوجه مكفهر^(١)، ولكن بالضوابط الشرعية^(٢).

كما في «شعب الإيمان» للبيهقي: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أنا أحمد بن عبيد الصفار نا ابن أبي قماش نا أبو الشعثاء الحسن بن علي عن يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح عن علي بن الأقرع عن عمرو بن أبي جندب عن عبد الله قال: لما نزلت: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جُنْدٌ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ «أمر رسول الله ﷺ أن يجاهد بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فعليه بوجه مكفهر».

وفي «المعجم الكبير» للطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا إبراهيم بن أبي معاوية ثنا أبي عن الأعمش عن علي بن الأقرع عن أبي عطية قال قال عبد الله: «إذا لقيت الفاجر فالقه بوجه مكفهر».

ولنتذكر جميعاً أننا مبتلون بهذا الشأن العظيم أعني تحقيق الكفر بالطاغوت واجتنابه، ولنعلم جميعاً أن هذا الابتلاء على مستوى

(١) فمن ذلك ما جاء في «الصحيحين» واللفظ للبخاري عن عائشة: أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ: «يَسُّ أَخُو الْعَشِيرَةِ، وَيَسُّ ابْنِ الْعَشِيرَةِ». فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، مَتَى عَهْدَتِي فَحَاشَا، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتَّقَاءَ شَرِّهِ».

أصل الإيمان بالله تبارك وتعالى، ولتذكر قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (١) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٢﴾ [العنكبوت: ١-٣].

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَهٍّ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٦) [التوبة: ١٦].

وقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَكُمْ أَخْبَارَكُمْ﴾ (٣١) [محمد: ٣١].

ولنحذر من قول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذُنْ لِي وَلَا يُفْتَنِيَّ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (٤٩) [التوبة: ٤٩].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) [الصف: ٢، ٣].

وقوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (٧) [الروم: ٧].

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ

لَنَصَدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا ءَاتَاهُمْ مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعَقَمَهُمُ نَفَاكًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴿التوبة: ٧٥-٧٧﴾.

● وإليك جملة من الأخبار الدالة على هذه المعاني والمقامات الكبار:

ففي «الصحيحين» واللفظ لمسلم من طريق جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ فَقُلْنَا: حَدِّثْنَا أَصْلَحَكَ اللَّهُ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُ اللَّهُ بِهِ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَالَ: دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَايَعَنَاهُ فَكَانَ فِيْمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا وَأَلَا تُنَازِعُ الْأَمْرَ أَهْلَهُ قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ».

وفي «صحيح مسلم» عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أَمْرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِيَ وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نُقَاتِلُهُمْ قَالَ: «لَا مَا صَلُّوْا».

وفي «صحيح مسلم» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ

فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرَدَلٍ.

وفي «سنن الترمذي» وابن ماجه وأبي داود واللفظ له بسند صحيح عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ! ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْعَدِ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيْبَهُ وَقَعِيدَهُ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ». ثُمَّ قَالَ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَسِفُوتُ﴾ (٨١) [المائدة: ٧٩-٨١]، ثُمَّ قَالَ: «كَأَلَا وَاللَّهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذَنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا».

وفي لفظ للترمذي وابن ماجه: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا وَقَعَ فِيهِمُ النَّقْصُ كَانَ الرَّجُلُ يَرَى أَخَاهُ عَلَى الذَّنْبِ فَيَنْهَاهُ عَنْهُ فَإِذَا كَانَ الْعَدُوُّ لَمْ يَمْنَعَهُ مَا رَأَى مِنْهُ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيْبَهُ وَخَلِيطَهُ فَضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ وَنَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ...» الحديث.

وتأمل في هذا الخبر، كيف أن الرجل من بني إسرائيل كان يباشر الإنكار، إلا أنه لم يمارس الاعتزال، فعمَّهم الله باللعن، فأين

الذين يداخلون الطاغوت من هذه البينات الواضحات؟، فلنحذر من اتباع الهوى، ومن التقليد الأعمى، مع ظهور الأدلة وتظافرها في هذا المعنى العظيم.

وفي «الصحيحين» واللفظ للبخاري من طريق عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَعَ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمًى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

ولاحظ أن النبي ﷺ بيّن بأفصح عبارة وأكمل بيان، أن الجسد تبع للقلب، فإذا أنكر القلب وجب الخروج بالجسد من مكان المنكر، واعتزاله مباشرة، كما بيناه في النصوص المتقدمة من الكتاب والسنة، فلا يتلاعب العبد على نفسه، فيدعي أنه أنكر وكره، ولكنه يريد أن يبقى قابعا في مكان المنكر، فكيف إذا كان المنكر هو الطاغوت، وكيف إذا كان ذلك المكان هو الذي يدار فيه حكم الطاغوت، ومنه تصدر الخباثات والسموم على المجتمعات، فالله المستعان، ونعوذ به من الخذلان.

وفي «صحيح مسلم» عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ مَرْوَانُ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ الصَّلَاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ. فَقَالَ قَدْ تَرَكَ مَا هُنَالِكَ. فَقَالَ: أَبُو سَعِيدٍ أَمَا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ».

وفي «صحيح مسلم» عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خِيَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا تُنَادِيهِمْ بِالسَّيْفِ فَقَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَايَتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ».

● الحادي عشر: وهو من أبرز صور التطبيقات العملية التي أمر الله تبارك وتعالى بها عباده عملاً بعبقيدة الإيمان بالله والكفر بالطاغوت واجتنابه، الهجرة من ديار الكفر إلى ديار الإسلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء: ٩٧].

وقوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَافُوهُمْ فَتُعْصِبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥].

وأخرج مسلم في «صحيحه» في باب مَوَالَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَمُقَاتَعَةِ غَيْرِهِمْ وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُمْ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَهَارًا غَيْرَ سِرٍّ يَقُولُ: «أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي - يَعْنِي فُلَانًا - لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ».

وفي «الصحيحين» عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ».

وفي «الصحيحين» واللفظ لمسلم عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حِلَاوَةَ الْإِيمَانِ مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَقْنَدَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْدَفَ فِي النَّارِ».

وفي «مسند أحمد» و«مستدرک الحاكم» و«سنن النسائي» واللفظ له عن بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا أَتَيْتُكَ حَتَّى حَلَفْتُ أَكْثَرَ مِنْ عَدْدِهِنَّ لِأَصَابِعِ يَدَيْهِ إِلَّا آتَيْكَ

وَلَا آتِي دِينَكَ، وَإِنِّي كُنْتُ أَمْرًا لَا أَعْقِلُ شَيْئًا إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ وَرَسُولُهُ،
وَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِوَجْهِ اللَّهِ ﷻ بِمَا بَعَثَكَ رَبُّكَ إِلَيْنَا قَالَ: «بِالْإِسْلَامِ» قَالَ:
قُلْتُ: وَمَا آيَاتُ الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: «أَنْ تَقُولَ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَى اللَّهِ ﷻ
وَتَخْلِيْتُ وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، كُلُّ مُسْلِمٍ عَلَى مُسْلِمٍ مُحَرَّمٌ
أَخَوَانِ نَصِيرَانِ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ ﷻ مِنْ مُشْرِكٍ بَعْدَ مَا أَسْلَمَ عَمَلًا أَوْ يُفَارِقَ
الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ». وسنده جيد.

وفي رواية لعبد الرزاق في «مُصَنَّفِهِ» وهي في «المعجم الكبير»
للطبراني واللفظ له قَالَ: «تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ
اللَّهِ ﷻ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتُفَارِقُ الشِّرْكَ، وَإِنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ
عَلَى مُسْلِمٍ مُحَرَّمٌ، أَخَوَانِ نَصِيرَانِ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ مُشْرِكٍ أَشْرَكَ مِنْ بَعْدِ
إِسْلَامِهِ عَمَلًا»... الحديث.

وهو في «سنن ابن ماجه» بلفظ: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ مُشْرِكٍ أَشْرَكَ
بَعْدَ مَا أَسْلَمَ عَمَلًا حَتَّى يُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ».

وفي «سنن البيهقي» باب كَرَاهِيَةِ الدُّخُولِ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي
كَتَائِبِهِمْ وَالتَّسْبِيحِ بِهِمْ يَوْمَ نِيْزِهِمْ وَمَهْرَجَانِهِمْ... ثم ذكر: حديثا
سنده جيد من طريق عَوْفٍ عَنِ الْوَلِيدِ أَوْ أَبِي الْوَلِيدِ (١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

(١) هو صدوق، وقد ذكره الإمام الثقة يعقوب بن سفيان في ثقات البصريين، فلا

عَمِرُوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَنْ بَنَى بَيْلَادِ الْأَعَاجِمِ وَصَنَعَ نَيْرُوزَهُمْ وَمَهَرَ جَانَهُمْ وَتَشَبَّهَ بِهِمْ حَتَّى يَمُوتَ وَهُوَ كَذَلِكَ خُشِرَ مَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

والآيات والأحاديث في هذا المعنى أكثر من أن تُحصَر، وأظهر من أن تُنكر.

هذه هي ملة إبراهيم، التي لا يستنكف عنها، ولا يتكبر عليها، ولا يزهدها فيها إلا من سفه نفسه، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وهذه هي الأسوة الحسنة التي حثنا الله تبارك وتعالى عليها، وألزمنا بها، بل لا يتصور الإيمان بدون هذه الملة الإبراهيمية.

وإن تحرير هذه المسألة يُعدُّ أهم المهمات التي يجب الإكثار منها أبداً، والإبداء فيها والإعادة، دون أدنى كلل ولا ملل، فقد وقع فيها غبش عظيم عند كثيرين، بل أضحت خافية المعالم عند الأكثر؛ نتج عن ذلك هذه الممارسات الجائرة مع الطاغوت الفاجر؛ مما تسبب في ترسيخ قدم الطاغوت، والترويج له، والتبليس على عامة الأمة، مع التبرير له والتميرير والترقيع، بل وفي بعض الأحيان

= يضره قول أبي حاتم عنه: إنه مجهول، فإن من عَرَفَ حجةً على من لم يعرف.

الاستماتة للدفاع والمدافعة عنه؛ مما رَوَّضَ كثيرا من أفراد الأمة، على استمراء الطاغوت، وقبوله والتعامل معه، بلا نكير ولا نفير.

● مقتطفات من بحث مفيد منقول عن شبكة: أنا المسلم للحوار

الإسلامي - القسم العام - المنتدى العام - بعنوان «اعبدوا الله

واجتنبوا الطاغوت - الاجتناب -»:

● «مصطلح الاجتناب في اللغة:

وجنب الشيء وتجنبه وجانبه وتجنبه واجتنبه بُعد عنه، وجنبه الشيء وجنبه إياه وجنبه يجنبه وأجنبه نَحَاهُ عنه، وفي التنزيل العزيز إخبارًا عن إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، أي: نجني وقد قرئ وأجنبني وبني بالقطع ويقال: جنبته الشر وأجنبته وجنبته بمعنى واحد. ١. هـ «لسان العرب» (٢٧٨١)، «القاموس المحيط» للفيروز أبادي.

﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦]، أي: البعيد، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنْ تَجَتَّبُوا كِبَارَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء: ٣١]، .. و: ﴿وَأَجْتَنِبُوا أَطْلُغُوتَ﴾ [الزمر: ١٧]، عبارة عن تركهم إياه، ﴿فَأَجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، وذلك أبلغ من قولهم: اتركوه. اهـ. «المفردات في غريب القرآن للأصفهاني».

● معنى الاجتناب عند علماء الحديث:

«قوله: «اجتنبوا» أي: ابتعدوا من الاجتناب من باب الافتعال من الجنب وهو أبلغ من أبعادوا واحذروا ونحو ذلك». اهـ. «عمدة القاري» (١٤/٦١).

● «اتقوا دعوة المظلوم» أي: اجتنبوا دعوة من تظلمونه، وذلك مستلزم لتجنب جميع أنواع الظلم على أبلغ وجه وأوجز إشارة وأفصح عبارة لأنه إذا اتقى دعاء المظلوم لم يظلم فهو أبلغ من قوله لا تظلم وهذا نوع شريف من أنواع البديع يسمى تعليقاً. اهـ. «فيض القدير» ١/١٤١.

● «اجتنبوا»: ابعادوا وهو أبلغ من: لا تفعلوا؛ لأن نهي القربان أبلغ من نهي المباشرة». اهـ. «فيض القدير» ١/١٥٣.

● «فاجتنبوا الطريق» أي: اعدلوا وأعرضوا عنها وانزلوا يَمَنَةً أو يسرة». اهـ. «فيض القدير» (١/٣٧٠).

● مصطلح التَّرك:

«التَّركُ وَدَعُكُ الشَّيْءِ وَتَرَكْتُ الشَّيْءَ تَرْكًا خَلِيَّةً». اهـ. «لسان العرب»: (١٠/٤٠٥).

«تَرَكْتُ المنزلَ تَرْكًا» رحلت عنه و«تَرَكْتُ الرجلَ فارقه ثم

استعير للإسقاط في المعاني ف قيل: «تَرَكَ» حقه إذا أسقطه و«تَرَكَ» ركعة من الصلاة لم يأت بها». اهـ. «المصباح المنير: ١/ ٧٤»، «تَرَكَ الشيء خلاه». اهـ. «مختار الصحاح» (١/ ٨٣).

ولم يأت مصطلح التَّرك في القرآن والسنة إلا على المعنى اللغوي المعهود عند العرب في لغتهم ولم يفهموا منه إلا لما وضع له.

● مصطلح نذر في اللغة:

قال الراغب الأصفهاني: «وذَر: يقال: فلان يذر الشيء؛ أي: يقذفه لقلة اعتداده به، ولم يستعمل ماضيه وقال تعالى: قالوا: ﴿قَالُوا أَأَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]، ﴿وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]. «الغريب في مفردات القرآن»، «وذَرُهُ؛ أي: دَعُهُ، يَذَرُهُ تَرْكًا». اهـ. «القاموس المحيط».

● مصطلح نذر عند علماء التفسير:

﴿وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ﴾، أي: يدعك أنت وآلهتك، وينهى عنك، ويصد الناس عن اتباعك». اهـ. «تفسير السعدي».

● مصطلح نذر في السنة:

«ذره» أي: أتركه ودعه». اهـ. «جامع الأصول: (ذ/ ٢٤٩).

وأما مصطلحي أُنْهَانَا وتلفتنا، ف﴿أُنْهَيْتَنَا﴾ من النهي وهو الكف و﴿تلفتنا﴾ من لفته؛ أي: صرفته وكلاهما يتضمن معنى الترك أيضًا.

فالاجتناب يعني: ترك المعبودات من دون الله تعالى تركًا عامًا، وهذا الأمر تجلّى من خلال التطبيق العملي الذي بينه الله تعالى في كتابه لأهل التوحيد من خلال إبراهيم عليه الصلاة والسلام، والذي لا يقبل الله عِبَادَةً إِلَّا لِمَلِئَتْهُ، فأمر بها خير رسله محمد عبد الله ورسوله عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، فملة إبراهيم ﷺ هي التوحيد قولاً وعملاً ظاهرًا وباطنًا وما سواها الشرك، وقد تجلّى هذا التطبيق العملي من خلال مصطلحين عمليين هما الاعتزال والبراءة.

فالاعتزال في القرآن كما بينه ﷺ من خلال إبراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ [الصافات: ٩٩]، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، فهو المفارقة والهجرة وهو ما نص عليه أهل التفسير واللغة بالإجماع.

● مصطلح الاعتزال في اللغة:

«اعتزل الشيء، إذا كان بمعزل منه، فمعنى اعتزلي أي كوني

وحذك في جانب». اهـ. «المطلع» (١/ ٣٣٦).

«العزلة خروج عن مخالطة الخلق بالانزواء والانقطاع». اهـ.

«التعاريف» (١/ ٥١٣)، «الاعتزال: طلب العزل وهو الانفراد عما شأنه الاشتراك، والاعتزال: تجنب الشيء عمالة أو إمارة أو غيرهما بالبدن أو القلب». اهـ. «التعاريف» (١/ ٧٥).

«عزلت الشيء: نحّيته». اهـ. «كتاب العين» (١/ ٣٥٣).

«العزلة جانبهم وزايلهم وفارقهم وبات منهم وانفصل عنهم». اهـ.
«الألفاظ المؤتلفة» (١/ ١٨٣).

«الاعتزال والأعزل: الرَّمْلُ الْمُتَفَرِّدُ الْمُتَفَرِّعُ». اهـ. «القاموس المحيط» (١/ ١٣٣٣).

«واعتزلت القوم؛ أي: فارقتهم وتَنَحَّيت عنهم». اهـ. «لسان العرب» (١١/ ٤٤٠).

● مصطلح الاعتزال في السنة وعند علماء الحديث:

«إذا قرأ ابن آدم السجدة» أي: آيتها، «فسجد» للتلاوة «اعتزل» أي: تباعد وكل من عدل إلى جانب فهو معتزل ومنه سميت الفرقة العدلية معتزلة». اهـ. «فيض القدير» (١/ ٤١٥).

«فلما كان جواب رسول الله ﷺ لمعاوية بن حيدة لما سئل عن آية الإسلام أن تقول: «أسلمت وجهي لله وتخليت وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتفارق المشركين إلى المسلمين» وكان التخلي هو ترك كل الأديان إلى الله ثبت بذلك أن كل من لم يتخل مما سوى الإسلام لم يعلم بذلك دخوله في الإسلام». اهـ. «شرح معاني الآثار» (٣/٢١٦).

«وتخليت: التخلي: التفرغ أراد التبعد من الشرك وعقد القلب على الإيمان؛ أي: تركت جميع ما يعبد من دون الله وصرت عن الميل إليه فارغاً، ولعل هذا كان بعد أن نطق بالشهادتين لزيادة رسوخ الإيمان في القلب.

ويحتمل أن يكون هذا إنشاء الإسلام لأنه في معنى الشهادة بالتوحيد، والشهادة بالرسالة قد سبقت منه بقوله: «إلا ما علمني الله ورسوله» أو أن هذا الكلام يتضمن الشهادة بالرسالة لما في «أسلمت وجهي» من الدلالة على قبوله جميع أحكامه تعالى، ومن جملة تلك الأحكام أن يشهد الإنسان لرسوله بالرسالة؛ ففيه أن المقصود الأصلي هو إظهار التوحيد والشهادة بالرسالة بأي عبارة كانت والله تعالى أعلم». اهـ. «حاشية السندي على النسائي» (٥/٥).

● **مصطلح البراءة فيما يتعلق بأصل التوحيد ورد في تسع آيات**
مرادفة لمعنى الاعتزال وهي قوله تعالى:

١- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزخرف: ٢٦].

٢- ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرُ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: ٤].

٣- ﴿قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام: ١٩].

٤- ﴿فَلَمَّا رَأَى السَّمْسُ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّى هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّى بَرِءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام: ٧٨].

٥- ﴿وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِزٌّ مُعْجِزٌ لِلَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾ [التوبة: ٣].

٦- ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا

أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ [يونس: ٤١].

٧- ﴿أَم يَقُولُونَ أَفْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ، فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا يُجْرِمُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ [هود: ٣٥].

٨- ﴿إِنْ نَقُولْ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَآشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ [هود: ٥٤].

٩- ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ [الشعراء: ٦٦].

● مصطلح البراءة في اللغة:

«بَرِيءٌ إِذَا تَخَلَّصَ وَبَرِيءٌ إِذَا تَنَزَّهَ وَتَبَاعَدَ وَبَرِيءٌ إِلَيَّ وَبَارَأْتُ شَرِيكِي إِذَا فَارَقْتُهُ، بَرِيءٌ مِنْهُ وَمَنْ الدِّينَ وَالْعَيْبَ سَلِمَ». اهـ. «لسان العرب» (٣١/١)، «تاج العروس» (٧٧/١). «مختار الصحاح» (٧٣/١). «التنزيه التبرئة ونزهت الله عن السوء برأته منه». اهـ. «التعاريف» (٢٠٩/١).

● مصطلح البراءة عند علماء التفسير:

«برئت من الشيء أبرأ براءة فأنا منه بريء إذا أزلته عن نفسك وقطعت سبب ما بينك وبينه». اهـ. «تفسير القرطبي» (٦٠/٨)، «فتح القدير» (٤٨١/٢)، «المراد من قوله: ﴿لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي: أنت منهم بريء وهم منك براء تقول العرب: إن فعلت كذا فلست مني ولست منك أي: كل واحد منا بريء من صاحبه». اهـ. «معالم

التنزيل» للبغوي (١/ ٢٠٨).

«وأصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره، إما على سبيل التقصي كقولهم برئ المريض من مرضه المديون من دينه، أو الإنشاء كقولهم: برأ الله آدم من الطين». اهـ. «تفسير البيضاوي» (١/ ٣٢٤).

«برئت من الأمر إذا تخليت منه». اهـ. «روح المعاني» (٢٥/ ١١١).

«والتبرؤ تكلف البراءة وهي التباعد من الأمر الذي من شأن قربه أن يكون مضرًا؛ ولذلك يقال تبارا إذا أبعد كل الآخر من تبعه محققة أو متوقعة». اهـ. «التحرير والتنوير» (١/ ٤٨٠).

«أصل البرء والبراء والتبري: التقصي مما يكره مجاورته». اهـ. «مفردات القرآن» (١/ ١١٢).

● مصطلح البراءة في السنة وعند علماء الحديث:

«قوله: «تخليت» معناه: تبرأت من الشرك وانقطعت عنه». اهـ. «غريب الحديث» للخطابي (١/ ٣٢٣). «أُسْلِمْتُ وَجُهِي إِلَى اللَّهِ وَتَخَلَّيْتُ أَي تَبَرَّأْتُ مِنَ الشَّرْكِ». اهـ. «غريب الحديث» لابن الجوزي (١/ ٣٠٢).

● الخلاصة:

اتفاق علماء اللغة والتفسير والحديث بالإجماع على أن

الاجتناب هو الترك والاعتزال والبراءة والمراد به العموم المطلق لما وضعت له ولا يوجد نص في كتاب الله تعالى ولا في سنة المصطفى ﷺ ولا في أقوال الصحابة أو قول للتابعين أو تابعي التابعين أو أحد من علماء المسلمين قال بغير ذلك....» انتهى باختصار.

• قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٥٥٤-٥٥٦): «فَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ ﴿١﴾ أَيُّ نَفْسِي لَا تَقْبَلُ وَلَا يَصْلُحُ لَهَا أَنْ تَعْبُدَ مَا عَبَدْتُمُوهُ قَطُّ وَلَوْ كُنْتُمْ عَبَدْتُمُوهُ فِي الْمَاضِي فَقَطُّ. فَأَيُّ مَعْبُودٍ عَبَدْتُمُوهُ فِي وَفْتٍ فَأَنَا لَا أَقْبَلُ أَنْ أَعْبُدَهُ فِي وَفْتٍ مِنْ الْأَوْقَاتِ.

فَفِي هَذَا مِنْ عُمُومِ عِبَادَتِهِمْ فِي الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ وَمِنْ قُوَّةِ بَرَاءَتِهِ وَامْتِنَاعِهِ وَعَدَمِ قَبُولِهِ لِهَذِهِ الْعِبَادَةِ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ مَا لَيْسَ فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى. تِلْكَ تَضَمَّنَتْ نَفْيَ الْفِعْلِ فِي الزَّمَانِ غَيْرِ الْمَاضِي وَهَذِهِ تَضَمَّنَتْ نَفْيَ إِمْكَانِهِ وَقَبُولِهِ لِمَا كَانَ مَعْبُودًا لَهُمْ وَلَوْ فِي بَعْضِ الزَّمَانِ الْمَاضِي فَقَطُّ. وَالتَّقْدِيرُ: مَا عَبَدْتُمُوهُ وَلَوْ فِي بَعْضِ الْأَزْمَانِ الْمَاضِيَةِ فَأَنَا لَا يُمَكِّنُنِي وَلَا يَسُوعُ لِي أَنْ أَعْبُدَهُ أَبَدًا. وَلَكِنْ لَمْ يَنْفِ إِلَّا مَا يَكُونُ مِنْهُ فِي الْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بَرَاءَتَهُ هُوَ فِي الْحَالِ وَالْإِسْتِقْبَالِ.

وَهَذِهِ السُّورَةُ يُؤَمَّرُ بِهَا كُلُّ مُسْلِمٍ وَإِنْ كَانَ قَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ قَبْلَ

قِرَاءَتِهَا؛ فَهُوَ يَتَّبِرُ فِي الْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ مِمَّا يَعْبُدُهُ الْمُشْرِكُونَ فِي أَيِّ زَمَانٍ كَانَ وَيَنْفِي جَوَازَ عِبَادَتِهِ لِمَعْبُودِهِمْ وَيُبَيِّنُ أَنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يَكُونُ وَلَا يَصْلُحُ وَلَا يَسُوعُ؛ فَهُوَ يَنْفِي جَوَازَهُ شَرْعًا وَوُقُوعًا؛ فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ لَا يُقَالُ إِلَّا فِيمَا يُسْتَقْبَحُ مِنَ الْأَفْعَالِ كَمَنْ دُعِيَ إِلَى ظُلْمٍ أَوْ فَاحِشَةٍ فَقَالَ: «أَنَا أَفْعَلُ هَذَا؟ مَا أَنَا بِفَاعِلٍ هَذَا أَبَدًا». فَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ قَوْلِهِ: «لَا أَفْعَلُهُ أَبَدًا».

وَهَذَا كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِيلَةٍ بَعْضٍ﴾. فَهُوَ يَتَضَمَّنُ نَفْيَ الْفِعْلِ بُغْضًا فِيهِ وَكَرَاهَةً لَهُ بِخِلَافِ قَوْلِهِ: «لَا أَفْعَلُ». فَقَدْ يَتَرَكُّهُ الْإِنْسَانُ وَهُوَ يُحِبُّهُ لِعَرَضٍ آخَرَ. فَإِذَا قَالَ: «مَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ» دَلَّ عَلَى الْبُغْضِ وَالْكَرَاهَةِ وَالْمَقْتِ لِمَعْبُودِهِمْ وَلِعِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ. وَهَذِهِ هِيَ الْبَرَاءَةُ. وَلِهَذَا تُسْتَعْمَلُ فِي ضِدِّ الْوِلَايَةِ فَيُقَالُ: تَوَلَّى فُلَانًا وَتَبَرَّأُ مِنْ فُلَانٍ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الْآيَةَ. وَأَمَّا قَوْلُهُ عَنِ الْكُفَّارِ: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عِبَادُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (٢) فَهُوَ خِطَابٌ لِحَنْسِ الْكُفَّارِ وَإِنْ أَسْلَمُوا فِيمَا بَعْدَ فَهُوَ خِطَابٌ لَهُمْ مَا دَامُوا كُفَّارًا. فَإِذَا أَسْلَمُوا لَمْ يَتَنَوَّلْهُمْ ذَلِكَ. فَإِنَّهُمْ حِينَئِذٍ مُؤْمِنُونَ لَا كَافِرُونَ. وَإِنْ كَانُوا مُنَافِقِينَ فَهُمْ كَافِرُونَ فِي الْبَاطِنِ فَيَتَنَوَّلْهُمْ الْخِطَابُ. وَهَذَا كَمَا يُقَالُ: قُلْ يَا أَيُّهَا الْمُحَارِبُونَ وَالْمُخَاصِمُونَ وَالْمُقَاتِلُونَ وَالْمُعَادُونَ. فَهُوَ خِطَابٌ لَهُمْ مَا

دَامُوا مُتَّصِفِينَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ. وَمَا دَامَ الْكَافِرُ كَافِرًا فَإِنَّهُ لَا يَعْبُدُ اللَّهَ وَإِنَّمَا يَعْبُدُ الشَّيْطَانَ؛ سَوَاءٌ كَانَ مُتَّظَاهِرًا أَوْ غَيْرَ مُتَّظَاهِرٍ بِهِ كَالْيَهُودِ. فَإِنَّ الْيَهُودَ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَإِنَّمَا يَعْبُدُونَ الشَّيْطَانَ لِأَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ إِنَّمَا تَكُونُ بِمَا شَرَعَ وَأَمَرَ، وَهُمْ وَإِنْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَهُ فِتْلِكَ الْأَعْمَالُ الْمُبَدَّلَةُ وَالْمُنْهَيَّ عَنْهَا هُوَ يَكْرَهُهَا وَيُبْغِضُهَا وَيَنْهَى عَنْهَا فَلَيْسَتْ عِبَادَةً. فَكُلُّ كَافِرٍ بِمُحَمَّدٍ لَا يَعْبُدُ مَا يَعْبُدُهُ مُحَمَّدٌ مَا دَامَ كَافِرًا» اهـ.

وأعود لأذكر وأؤكد على أن في اعتزال الطاغوت تحجيماً ومحاصرة له ولآثاره السيئة على العباد والبلاد، وأن في مُدَاخَلَتِهِ والتَّطْبِيعِ معه تَرْوِيجًا له ونَشْرًا لآثاره الخبيثة في عرض البلاد وطولها، وإن ما نراه جليلاً في المجتمعات الإسلامية، من انحلال وتحلل عقدي وأخلاقي، ما هو إلا نتيجة حتمية من نتائج وآثار الركون إلى الطاغوت ومداخلته.

وليت شعري متى سينبذ الناس الطاغوت، وهم يعملون على تَرْسِيخِ حُكْمِهِ بِتَوَلِّيِ المناصب له، والعمل في مؤسساته؟! لا شك أن هذا من العبث والتلاعب بدين الله جل وعلا، ولو اعتزلوه كما أمر الله تبارك وتعالى لحصل التزييل والتمايز الذي يريده الله تبارك وتعالى من عباده، ولكان في ذلك من الخير للعباد والبلاد ما الله

تعالى به عليم.

بل لربما كان في اعتزال الطاغوت وعمله هداية للطاغوت نفسه؛ إذ هو إِنَّمَا يَتَقَوَّى بِمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْمَلَأِ وَالرَّعِيَّةِ، فَإِنْ نَابَذُوهُ لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ أَنْ يُعَاوِدَ أَمْرَ رَبِّهِ؛ فَيَهْتَدِي، أَوْ يَمْضِي قُدُمًا فِي عَيْهِ؛ فَيَقْصِمُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَيَهْلِكُهُ وَيُدِيلُ دَوْلَتَهُ، كَمَا فَعَلَ وَيَفْعَلُ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَاللَّهُ قَادِرٌ قَدِيرٌ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ.

قال تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥].

ولكن كثيرًا من الناس لا يبكي، بل ولا يتباكى على دينه، ولكنه حريص شحيح على أمر دنياه، فلا همّة للأكثرين في الذود عن حق الله تبارك وتعالى؛ ولهذا ترى الأمة تعيش ألوانا من الهم والغم والضنك، بل حتى هذا الطاغوت هو من عذاب الله، نسأل الله العافية والسلامة، فلتنق الله ولنفق فإن الأمر جد ليس بالهزل، وكل ما هو آت قريب، وإذا حانت لحظة العذاب، وَحَقَّتْ كَلِمَتُهُ فَلَاتِ حِينَ مَنَدَمٍ، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

ولنعبر بقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ

عَقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَزَيَّجْتُهُ أَهْلَكْنَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِىٰ مُعْطَلَةٌ وَقَصْرِ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَلَمْ تَكُن فِي الْأَرْضِ فَنَنْتَهِمْ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا يُرِيدُ أَنْ يَبْعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا لَّا يَفْقَهُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَفَلَمْ تَكُن تَعْلَمُ أَنَّ إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَهُوَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عِندَ رَبِّكَ ذِخْرًا مِّمَّا ظَلَمُوا لَافْتَحْنَا خَزَائِنَهُمْ لَافْتَحْتُمُوعًا وَذُخْرًا مُّزِينًا ﴿٤٧﴾ فَتَوَلَّوْا عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَقَدْ مَكَرْتُمْ لَكُمْ يَوْمَ الْتَقَىٰ بُرْجُ الْقَوْمِ ذِي الْأَعْنَاقِ وَالْجَبَلُ يَتَخَفَتَانِ يَحْصُرَانِ الْوَيْلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴿٤٨﴾ فَتَوَلَّوْا عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَقَدْ مَكَرْتُمْ لَكُمْ يَوْمَ الْتَقَىٰ بُرْجُ الْقَوْمِ ذِي الْأَعْنَاقِ وَالْجَبَلُ يَتَخَفَتَانِ يَحْصُرَانِ الْوَيْلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴿٤٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَقَدْ مَكَرْتُمْ لَكُمْ يَوْمَ الْتَقَىٰ بُرْجُ الْقَوْمِ ذِي الْأَعْنَاقِ وَالْجَبَلُ يَتَخَفَتَانِ يَحْصُرَانِ الْوَيْلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴿٥٠﴾ فَتَوَلَّوْا عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَقَدْ مَكَرْتُمْ لَكُمْ يَوْمَ الْتَقَىٰ بُرْجُ الْقَوْمِ ذِي الْأَعْنَاقِ وَالْجَبَلُ يَتَخَفَتَانِ يَحْصُرَانِ الْوَيْلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴿٥١﴾ [الحج: ٤١-٥١].

- فاعتزال الطاغوت وتركه واجتنابه خير محض، كما أن مداخلته أو الركون إليه شر محض.
- كلام خطير ومُخيف ونفيس:

قال الإمام العلامة ابن القيم في كتابه: «إعلام الموقعين عن رب العالمين»: «وَمَنْ لَهُ خِبْرَةٌ بِمَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ وَبِمَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ

وَأَصْحَابُهُ رَأَى أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ يُشَارُ إِلَيْهِم بِالَّذِينَ هُمْ أَقَلُّ النَّاسِ دِينًا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَأَيُّ دِينٍ وَأَيُّ خَيْرٍ فِيمَنْ يَرَى مُحَارِمَ اللَّهِ تُتَنَهَكُ وَحُدُودُهُ تُضَاعُ وَدِينُهُ يُتْرَكُ وَسُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُرْغَبُ عَنْهَا وَهُوَ بَارِدُ الْقَلْبِ سَاكِتُ اللِّسَانِ؟ شَيْطَانٌ أَخْرَسُ، كَمَا أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ بِالْبَاطِلِ شَيْطَانٌ نَاطِقٌ، وَهَلْ بَلِيَّةُ الدِّينِ إِلَّا مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ إِذَا سَلَّمَتْ لَهُمْ مَا كَلَّمَهُمْ وَرِيَّاسَاتِهِمْ فَلَا مُبَالَاةَ بِمَا جَرَى عَلَى الدِّينِ؟، وَخِيَارُهُمُ الْمُتَحَرِّزُ الْمُتَكَلِّمُ، وَلَوْ نُوزِعَ فِي بَعْضِ مَا فِيهِ غَضَاصَةٌ عَلَيْهِ فِي جَاهِهِ أَوْ مَالِهِ بَذَلٌ وَتَبَدَّلَ وَجَدٌ وَاجْتَهَدَ، وَاسْتَعْمَلَ مَرَاتِبَ الْإِنْكَارِ الثَّلَاثَةِ بِحَسَبِ وَسْعِهِ.

وهؤلاء - مع سُقُوطِهِمْ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ وَمَقَاتِ اللَّهِ لَهُمْ - قَدْ بُلُوا فِي الدُّنْيَا بِأَعْظَمِ بَلِيَّةٍ تَكُونُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، وَهُوَ مَوْتُ الْقُلُوبِ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ كُلَّمَا كَانَتْ حَيَاتُهُ أَتَمَّ كَانَ غَضَبُهُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ أَقْوَى، وَانْتِصَارُهُ لِلَّذِينَ أَكْمَلُ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ أَثَرًا «أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَوْحَى إِلَى مَلِكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَنْ اخْسِفْ بِقَرْيَةِ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ وَفِيهِمْ فَلَانُ الْعَابِدِ؟ فَقَالَ: بِهِ فَابِدًا؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَتَمَعَّرْ وَجْهَهُ فِي يَوْمًا قَطُّ».

وَذَكَرَ أَبُو عُمَرَ فِي كِتَابِ «التَّمْهِيدِ»: «أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَوْحَى إِلَى

نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ أَنْ قُلْ لِفُلَانٍ الزَّاهِدِ: أَمَّا زُهْدُكَ فِي الدُّنْيَا فَقَدْ تَعَجَّلْتَ بِهِ
الرَّاحَةَ، وَأَمَّا انْقِطَاعُكَ إِلَيَّ فَقَدْ اكْتَسَبْتَ بِهِ الْعِزَّ، وَلَكِنْ مَازَا عَمِلْتَ
فِيمَا لِي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ لَكَ عَلَيَّ؟ قَالَ: هَلْ وَالَيْتَ فِي
وَلِيًّا أَوْ عَادَيْتَ فِي عَدُوًّا؟ اهـ.



تحرير القول في كلام القرطبي وابن تيمية

رحمهما الله في أن يوسف عليه السلام

تولى خزائن الأرض للملك مع بقاء الملك

على كفره وحكمه بالطاغوت

إن من المقطوع به بل هو من المُسَلَّمات المعلومة لدى جميع أهل العلم أن العالم ليس بمعصوم، مهما أوتي من العلم والحكمة، وأن أقوال العلماء يحتج لها ولا يحتج بها، وعلى هذا تربي السلف الصالح، وعلى هذا كان يربي العلماء في القرون الثلاثة المفضلة أتباعهم، وسار على ذلك من وفقه الله تعالى من التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

مع التنبيه والتنبه إلى أن خطأ العالم - ذو الأصول المنضبطة الموافقة للكتاب والسنة على فهم الصحابة الكرام - لا ينقص منزلته، ولا يستوجب القدح فيه، بل هو مجتهد دائر بين الأجر والأجرين، كما في «الصحيحين» واللفظ للبخاري عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ».

إلا أن الحق أعلى وأجل من قدر كل عالم، وإنما ابتلينا بإصابة الحق، لا أن نتعبد بالخلاف، مع الإقرار بأن لكل مجتهد نصيباً، إلا أنه ليس كل مجتهد مصيباً.

• كيف وبم يُعرف خطأ العالم؟.

هذه المسألة من أهم المسائل، التي يجب على أهل العلم مراعاتها، والنظر فيها بهمة عالية، حتى يكون الحق دائماً هو المعظم عندهم، لا الرجال، وإن كثيراً من الناس يذهل عن هذه المسألة؛ فيقع في معارضة صريحة للكتاب والسنة، بدعوى أن العالم الفلاني أو العلماء الفلانيون قالوا بذلك؟!!!.

فنقول: إن من الأمور المتفق عليها بين أهل العلم في القرون الثلاثة المفضلة، أن العالم إذا خالف الأدلة من الكتاب والسنة، أو خالف فهم السلف لاسيما في الأصول أنه مخطئ في تلك المسألة التي خالف فيها، وإن كان من كان.

وبعدما تقدم تقريره من النُّقولات المستفيضة المتكاثرة من الكتاب والسنة وأقوال السلف؛ تبين وبكل جلاء ووضوح أن اجتناب الطاغوت سنة إلهية، وشريعة ماضية، إلى قيام الساعة، وأن المرء لا يسعه أبداً أن يتولى منصباً للطاغوت، الذي أمر باجتنابه ومعاداته، وإظهار المقت له، ومقاتلته والسعي في اجتثاثه، كما تقدم في الحديث

عن حقيقة الكفر بالطاغوت واجتنابه.

وقد تعلق بعض المتأخرين ببعض المنقول عن القرطبي وشيخ الإسلام ابن تيمية، في إمكانية مداخله الطاغوت بغرض الإصلاح، بتحصيل خير الخيرين، ولو بتفويت أدناهما، وترك شر الشرين، ولو بركوب أدناهما.

وقد تقدم تقرير هذه المسألة في الحديث عن حقيقة الكفر بالطاغوت واجتنابه، وأنه ليس هناك شرٌّ أعلى من الطاغوت أصلاً، ولهذا جاءت النصوص واضحة جلية في اعتزاله واجتنابه والكفر به جملة وتفصيلاً؛ لأنه ليس هناك من المنافع أصلاً ما يصح ويسوغ شرعاً تحصيله بمداخله الطاغوت؛ وإلا سنكون قد دفعنا الشر الأدنى بالشر الأعلى، وهذا باطل وممتنع شرعاً، بل حتى العقول السليمة تمجّه وتمقته.

• وعليه؛ فإن هذا القول يُعدُّ مخالفة صريحة للكتاب والسنة وسلف الأمة، ولكنها لا تحط من قدر العالم ومكانته؛ فالخطأ كما تقدم وارد على كل أحد، بعد رسول الله ﷺ.

• ولكن المهم ألا نتابع العالم على الخطأ، كما هو مقرر معلوم لدي جميع أهل العلم.

مع استصحاب ضرورة جمع أقوال العالم، ومعرفة أصوله؛
 نعرف هل هذا النفس والطرح مطرد في منهجه أم لا؟، أم أنها مجرد
 زلة وغفلة وقعت من العالم؟، فإن المتأمل يجد أن تقرير ابن تيمية في
 كتبه واضح وجلي، أنه لا شيء أكبر، ولا أعظم مفسدة، ولا ضرراً،
 ولا شراً، من الشرك بالله تعالى، وكذلك القرطبي رحمه الله تعالى،
 وإنما وقع الخطأ من جراء توهم أن يوسف عليه السلام تولى خزائن الأرض
 للملك، مع بقاء الملك على كفره، وهذا القول قد تقدم بيان خطئه،
 وأنه مخالف مخالفته تامة للكتاب والسنة وسلف الأمة، فتأمل!.

وإنه لمن الظلم لقول العالم أن نحمله على ما لا يحتمل، فإن
 الذين أجازوا ذلك قيدوه بشرط ألا يكون للطاغوت عليهم أدنى
 تصرف، بل لمن تولى لهم المنصب مطلق التصرف، وله القيام بالحق
 التام من كل وجوهه.

وإليك ما قاله القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٢١٥): «قال بعض أهل
 العلم: في هذه الآية ما يبيح للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر،
 والسلطان الكافر، بشرط أن يعلم أنه يفوض إليه في فعل لا يعارضه
 فيه، فيصلح منه ما شاء، وأما إذا كان عمله بحسب اختيار الفاجر
 وشهواته وفجوره فلا يجوز ذلك.

وقال قوم: إن هذا كان ليوسف خاصة، وهذا اليوم غير جائز،

والأول أولى إذا كان على الشرط الذي ذكرناه. والله أعلم. اهـ.

• فأين هذا الشرط من طواغيت العالم اليوم، أم أننا نجعل من قول العالم جسراً نمر عبره إلى أهوائنا، ثم نلقيه ونطرحه بعيداً عنا؟! على أننا نقول: إن هذا القول وحتى بهذا الشرط كذلك هو مخالف للكتاب والسنة وفهم سلف الأمة، كما بيناه هنا ومن قبل.

وقد أشار القرطبي في «تفسيره» (٢١٥/٩) إلى أن هناك من منع ذلك مطلقاً؛ حيث قال: «قال الماوردي: فإن كان المولي ظالماً فقد اختلف الناس في جواز الولاية من قبله على قولين:

• أحدهما: جوازها إذا عمل بالحق فيما تقلده، لأن يوسف ولي من قبل فرعون، ولأن الاعتبار في حقه بفعله لا بفعل غيره.

• الثاني: أنه لا يجوز ذلك، لما فيه من تولي الظالمين بالمعونة لهم، وتزكيتهم بتقلد أعمالهم، فأجاب من ذهب إلى هذا المذهب عن ولاية يوسف من قبل فرعون بجوابين:

• أحدهما: أن فرعون يوسف كان صالحاً، وإنما الطاعني فرعون موسى.

• الثاني: أنه نظر في أملاكه دون أعماله، فزالت عنه التبعة فيه. اهـ.

• فيا سبحان الله هؤلاء الخلف قد اختلفوا في هذه المسألة،
ككيف نرد كلام السلف المنضبط فيها، الموافق لنصوص الكتاب
والسنة، بقول للخلف قد اختلفوا فيه؟!.

وإليك مثالا مما كتبه ابن تيمية في هذا الصدد كما في «مجموع
الفتاوى» (١٦/ ٥٣٤-٥٤٦): «سُورَةُ الْكَافِرُونَ: قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ: فَصُلُّ:
فِي سُورَةِ ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١﴾ لِلنَّاسِ فِي وَجْهِ تَكْرِيرِ
الْبَرَاءَةِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ طُرُقٌ...» إِلَى أَنْ قَالَ: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: طَلَبُوا أَنْ
يَعْبُدُوا اللَّهَ مَعَهُ عَامًا وَيَعْبُدَ آلَهُتَهُمْ مَعَهُمْ عَامًا.

• وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: طَلَبُوا أَنْ يَسْتَلِمَ آلَهُتَهُمْ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ:
طَلَبُوا الْإِشْتِرَاكَ كَمَا رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَغَيْرُهُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ:
حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ مَوْلَى أَبِي الْبَخْتَرِيِّ قَالَ: لَقِيَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ
وَالْعَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
فَقَالُوا: هَلُمَّ فَلْنَعْبُدْ مَا تَعْبُدُ وَتَعْبُدُ مَا نَعْبُدُ وَلْنَشْتَرِكَ نَحْنُ وَأَنْتَ فِي أَمْرِنَا
كُلِّهِ. فَإِنْ كَانَ الَّذِي جِئْتَ بِهِ خَيْرًا مِمَّا بِأَيْدِينَا كُنَّا قَدْ شَرِكْنَاكَ فِيهِ
وَأَخَذْنَا بِحَظِّنَا مِنْهُ. وَإِنْ كَانَ الَّذِي بِأَيْدِينَا خَيْرًا مِمَّا بِيَدِكَ كُنْتَ قَدْ
شَرِكْنَا فِي أَمْرِنَا وَأَخَذْتَ بِحَظِّكَ مِنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ. وَهَذَا مَنْقُولٌ
عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَفِيهِ أَنَّ الْقَائِلَ لَهُ عْتَبَةٌ وَأُمِّيَّةٌ.

فَهَذِهِ الرِّوَايَاتُ مُتَطَابِقَةٌ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ وَهُوَ أَنَّهُمْ طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ

يَدْخُلَ فِي شَيْءٍ مِنْ دِينِهِمْ وَيَدْخُلُوا فِي شَيْءٍ مِنْ دِينِهِ ثُمَّ إِنْ كَانَتْ كُلُّهَا صَحِيحَةً فَقَدْ طَلَبَ مِنْهُ تَارَةً هَذَا وَتَارَةً هَذَا وَقَوْمٌ هَذَا.

وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ فَالْخِطَابُ لِلْمُشْرِكِينَ كُلِّهِمْ مَنْ مَضَى وَمَنْ يَأْتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَقَدْ أَمَرَهُ اللَّهُ بِالْبَرَاءَةِ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ. وَهَذِهِ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَهُوَ مَبْعُوثٌ بِمِلَّتِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ، سَيِّدُنِي ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ. ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨]. وَقَالَ الْخَلِيلُ أَيْضًا: ﴿يَقَوْمُ إِنِّي بَرِيٌّ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجْهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٨، ٧٩]. وَقَالَ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ.﴾

وَقَالَ لِنَبِيِّهِ: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيْتُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيٌّ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾.

فَقَدْ أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْ عَمَلِ كُلِّ مَنْ كَذَّبَهُ وَتَبَرَّيَهُ هَذَا يَتَنَاوَلُ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْكِتَابِ. اهـ.

فإذا انضاف إلى ذلك موقف ابن تيمية من جنكز خان وباسقه الملقب؛ نعلم يقيناً أن ابن تيمية كان معتزلاً للطاغوت، محذراً الناس

من مداخلته، ومقررًا ضرورة اجتنابه، وأنه أحد أئمة الكفر والطاغوت، ومقاتلة ابن تيمية للتتار أشهر من أن تذكر، وأظهر من أن تنكر.

كما أن الأمثلة التي مثل بها ابن تيمية في قضية شرّ الشرين، لا تسعفه فيما ذهب إليه من التمثيل بقصة يوسف عليه السلام، هذا مع استصحاب خطأ هذا التصور من أصله.

• وإليك كلامه من «الفتاوى» لترى ذلك واضحًا جليًا:

قال رحمه الله تعالى كما في «مجموع الفتاوى» (٢٠/٤٨-٥٧):
«فَصُلِّ جَامِعٌ فِي تَعَارُضِ الْحَسَنَاتِ أَوْ السَّيِّئَاتِ، أَوْ هُمَا جَمِيعًا. إِذَا اجْتَمَعَا وَلَمْ يُمْكِنْ التَّفْرِيقُ بَيْنَهُمَا، بَلَّ الْمُؤْمِنُ إِمَّا فِعْلُهُمَا جَمِيعًا وَإِمَّا تَرَكُهُمَا جَمِيعًا.

وَقَدْ كَتَبْتُ مَا يُشَبِّهُ هَذَا فِي «قَاعِدَةِ الْإِمَارَةِ وَالْخِلَافَةِ» وَفِي أَنَّ الشَّرِيعَةَ جَاءَتْ بِتَخْصِيلِ الْمَصَالِحِ وَتَكْمِيلِهَا وَتَعْطِيلِ الْمَفَاسِدِ وَتَقْلِيلِهَا وَأَنَّهَا تُرَجِّحُ خَيْرَ الْخَيْرَيْنِ وَشَرَّ الشَّرَّيْنِ وَتَخْصِيلِ أَعْظَمِ الْمَصْلَحَتَيْنِ بِتَقْوِيَةِ أَذْنَاهُمَا وَتَدْفِعُ أَعْظَمَ الْمَفْسَدَتَيْنِ بِإِحْتِمَالِ أَذْنَاهُمَا فَنَقُولُ: قَدْ أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِأَفْعَالٍ وَاجِبَةٍ وَمُسْتَحَبَّةٍ، وَإِنْ كَانَ الْوَاجِبُ مُسْتَحَبًّا وَزِيَادَةً. وَنَهَى عَنِ أَفْعَالٍ مُحَرَّمَةٍ أَوْ مَكْرُوهَةٍ، وَالدِّينُ هُوَ طَاعَتُهُ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ، وَهُوَ الدِّينُ وَالتَّقْوَى، وَالْبِرُّ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ،

وَالشَّرْعَةُ وَالْمِنْهَاجُ، وَإِنْ كَانَ بَيْنَ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ فُرُوقٌ. وَكَذَلِكَ حَمْدٌ أَفْعَالًا هِيَ الْحَسَنَاتُ، وَوَعْدٌ عَلَيْهَا، وَذَمٌّ أَفْعَالًا هِيَ السَّيِّئَاتُ، وَأَوْعَدٌ عَلَيْهَا، وَفَيْدٌ الْأُمُورَ بِالْقُدْرَةِ وَالِاسْتِطَاعَةِ وَالْوُسْعِ وَالطَّاقَةِ..... إِلَى أَنْ قَالَ: «وَنَقُولُ: إِذَا ثُبِتَ أَنَّ الْحَسَنَاتِ لَهَا مَنَافِعُ وَإِنْ كَانَتْ وَاجِبَةً؛ كَانَ فِي تَرْكِهَا مَضَارٌّ وَالسَّيِّئَاتِ فِيهَا مَضَارٌّ، وَفِي الْمَكْرُوهِ بَعْضُ حَسَنَاتٍ.

فَالْتَعَارُضُ إِمَّا بَيْنَ حَسَنَتَيْنِ لَا يُمَكِّنُ الْجَمْعَ بَيْنَهُمَا؛ فَتَقَدَّمَ أَحْسَنُهُمَا بِتَقْوِيَةِ الْمَرْجُوحِ.

• وَإِمَّا بَيْنَ سَيِّئَتَيْنِ لَا يُمَكِّنُ الْخُلُوءُ مِنْهُمَا؛ فَيَدْفَعُ أَسْوَأَهُمَا بِاحْتِمَالٍ أَذْنَاهُمَا.

وَإِمَّا بَيْنَ حَسَنَةٍ وَسَيِّئَةٍ لَا يُمَكِّنُ التَّفْرِيقُ بَيْنَهُمَا؛ بَلْ فِعْلُ الْحَسَنَةِ مُسْتَلَزِمٌ لَوْقُوعِ السَّيِّئَةِ؛ وَتَرْكُ السَّيِّئَةِ مُسْتَلَزِمٌ لِتَرْكِ الْحَسَنَةِ؛ فَيَرْجَحُ الْأَرْجَحُ مِنْ مَنَفَعَةِ الْحَسَنَةِ وَمَضَرَّةِ السَّيِّئَةِ.

• فَالْأَوَّلُ: كَالْوَاجِبِ وَالْمُسْتَحَبِّ؛ وَكَفَرَضِ الْعَيْنِ وَفَرَضِ الْكِفَايَةِ؛ مِثْلَ تَقْدِيمِ قِضَاءِ الدَّيْنِ الْمُطَالَبِ بِهِ عَلَى صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ.

• وَالثَّانِي: كَتَقْدِيمِ نَفَقَةِ الْأَهْلِ عَلَى نَفَقَةِ الْجِهَادِ الَّذِي لَمْ يَتَّعِنَنَّ، وَتَقْدِيمِ نَفَقَةِ الْوَالِدَيْنِ عَلَيْهِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: أَيُّ الْعَمَلِ

أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى مَوَاقِيتِهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟، قَالَ: «ثُمَّ بِرُ الْوَالِدَيْنِ»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟، قَالَ: «ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

وَتَقْدِيمُ الْجِهَادِ عَلَى الْحَجِّ كَمَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مُتَعَيَّنٌ عَلَى مُتَعَيَّنٍ وَمُسْتَحَبٌّ عَلَى مُسْتَحَبٍّ وَتَقْدِيمُ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَلَى الذِّكْرِ إِذَا اسْتَوَيَا فِي عَمَلِ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَتَقْدِيمُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِمَا إِذَا شَارَكَتَهُمَا فِي عَمَلِ الْقَلْبِ وَإِلَّا فَقَدْ يَتَرَجَّحُ الذِّكْرُ بِالْفَهْمِ وَالْوَجَلِ عَلَى الْقِرَاءَةِ الَّتِي لَا تُجَاوِزُ الْحَنَاجِرَ وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ.

• وَالثَّالِثُ: كَتَقْدِيمِ الْمَرْأَةِ الْمُهَاجِرَةِ لِسَفَرِ الْهَجَرَةِ بِلَا مَحَرَمٍ عَلَى بَقَائِهَا بِدَارِ الْحَرْبِ كَمَا فَعَلْتُ أُمُّ كُثُومٍ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا آيَةَ الْاِمْتِحَانِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجِرَاتٍ﴾، وَكَتَقْدِيمِ قَتْلِ النَّفْسِ عَلَى الْكُفْرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ فَتَقْتُلُ النَّفْسُ الَّتِي تَحْصُلُ بِهَا الْفِتْنَةُ عَنِ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ ضَرَرَ الْكُفْرِ أَعْظَمُ مِنْ ضَرَرِ قَتْلِ النَّفْسِ، وَكَتَقْدِيمِ قَطْعِ السَّارِقِ وَرَجْمِ الزَّانِي وَجَلْدِ الشَّارِبِ عَلَى مَضَرَّةِ السَّرِقَةِ وَالزَّانَا وَالشُّرْبِ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْعُقُوبَاتِ الْمَأْمُورِ بِهَا، فَإِنَّمَا أَمَرَ بِهَا مَعَ أَنَّهَا فِي الْأَصْلِ سَيِّئَةٌ وَفِيهَا ضَرَرٌ؛ لِدَفْعِ مَا هُوَ أَعْظَمُ ضَرَرًا مِنْهَا، وَهِيَ جَرَائِمُهَا؛ إِذْ لَا يُمَكِّنُ دَفْعُ ذَلِكَ الْفَسَادِ الْكَبِيرِ إِلَّا بِهِذَا الْفَسَادِ الصَّغِيرِ.

وَكَذَلِكَ فِي «بَابِ الْجِهَادِ» وَإِنْ كَانَ قَتْلُ مَنْ لَمْ يُقَاتِلْ مِنَ النِّسَاءِ

وَالصَّبِيَّانَ وَغَيْرَهُمْ حَرَامًا فَمَتَى أُحْتِجَ إِلَى قِتَالٍ قَدْ يَعْمُهُمْ مِثْلُ: الرَّمِيِّ
بِالْمَنْجَنِيْقِ وَالتَّبْيِيتِ بِاللَّيْلِ جَارَ ذَلِكَ، كَمَا جَاءَتْ فِيهَا السُّنَّةُ فِي حِصَارِ
الطَّائِفِ وَرَمِيهِمْ بِالْمَنْجَنِيْقِ، وَفِي أَهْلِ الدَّارِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَبِيتُونَ،
وَهُوَ دَفْعُ لِفْسَادِ الْفِتْنَةِ أَيْضًا بِقَتْلِ مَنْ لَا يَجُوزُ قَصْدُ قَتْلِهِ. وَكَذَلِكَ
«مَسْأَلَةُ التَّرْسِ» الَّتِي ذَكَرَهَا الْفُقَهَاءُ، فَإِنَّ الْجِهَادَ هُوَ دَفْعُ فِتْنَةِ الْكُفْرِ؛
فَيَحْصُلُ فِيهَا مِنَ الْمَضَرَّةِ مَا هُوَ دُونَهَا، وَلِهَذَا اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّهُ مَتَى
لَمْ يُمْكِنْ دَفْعُ الضَّرَرِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا بِمَا يُفْضِي إِلَى قَتْلِ أَوْلِيكَ
الْمُتَرَسِّ بِهِمْ جَارَ ذَلِكَ...».

إِلَى أَنْ قَالَ: «وَأَمَّا الرَّابِعُ: فَمِثْلُ أَكْلِ الْمَيْتَةِ عِنْدَ الْمَحْمَصَةِ، فَإِنَّ
الْأَكْلَ حَسَنَةً وَاجِبَةً لَا يُمْكِنُ إِلَّا بِهَذِهِ السَّيِّئَةِ وَمَصْلَحَتُهَا رَاجِحَةٌ
وَعَكْسُهُ الدَّوَاءُ الْخَبِيثُ، فَإِنَّ مَضَرَّتَهُ رَاجِحَةٌ عَلَى مَصْلَحَتِهِ مِنْ مَنَفْعَةٍ
الْعِلَاجِ لِقِيَامِ غَيْرِهِ مَقَامُهُ؛ وَلِأَنَّ الْبُرْءَ لَا يُتَيَقَّنُ بِهِ وَكَذَلِكَ شُرْبُ الْخَمْرِ
لِلدَّوَاءِ.

فَبَيَّنَ أَنَّ السَّيِّئَةَ تُحْتَمَلُ فِي مَوْضِعَيْنِ دَفْعَ مَا هُوَ أَسْوَأُ مِنْهَا إِذَا لَمْ
تُدْفَعْ إِلَّا بِهَا وَتَحْصُلُ بِمَا هُوَ أَنْفَعُ مِنْ تَرْكِهَا إِذَا لَمْ تَحْصُلْ إِلَّا بِهَا،
وَالْحَسَنَةُ تُتْرَكُ فِي مَوْضِعَيْنِ إِذَا كَانَتْ مُفَوِّتَةً لِمَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهَا؛ أَوْ
مُسْتَلْزِمَةً لِسَيِّئَةٍ تَزِيدُ مَضَرَّتُهَا عَلَى مَنَفْعَةِ الْحَسَنَةِ. هَذَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ
بِالْمَوَازِنَاتِ الدِّينِيَّةِ.

وَأَمَّا سُقُوطُ الْوَاجِبِ لِمَضَرَّةٍ فِي الدُّنْيَا ؛ وَإِبَاحَةُ الْمُحَرَّمِ لِحَاجَةٍ فِي الدُّنْيَا؛ كَسُقُوطِ الصَّيَامِ لِأَجْلِ السَّفَرِ ؛ وَسُقُوطِ مَحْظُورَاتِ الْإِحْرَامِ وَأَرْكَانِ الصَّلَاةِ لِأَجْلِ الْمَرَضِ فَهَذَا بَابٌ آخَرٌ يَدْخُلُ فِي سِعَةِ الدِّينِ وَرَفَعَ الْحَرَجَ الَّذِي قَدْ تَخْتَلَفُ فِيهِ الشَّرَائِعُ؛ بِخِلَافِ الْبَابِ الْأَوَّلِ؛ فَإِنَّ جِنْسَهُ مِمَّا لَا يُمَكِّنُ اخْتِلَافَ الشَّرَائِعِ فِيهِ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ فِي أَعْيَانِهِ بَلْ ذَلِكَ نَابِتٌ فِي الْعَقْلِ، كَمَا يُقَالُ: لَيْسَ الْعَاقِلُ الَّذِي يَعْلَمُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ الَّذِي يَعْلَمُ خَيْرَ الْخَيْرَيْنِ وَشَرَّ الشَّرَّيْنِ...».

إِلَى أَنْ قَالَ: «وَيُرَجِّحُونَ وُجُودَ السُّلْطَانِ مَعَ ظُلْمِهِ عَلَى عَدَمِ السُّلْطَانِ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعُقَلَاءِ: سِتُّونَ سَنَةً مِنْ سُلْطَانٍ ظَالِمٍ خَيْرٌ مِنْ لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ بِلا سُلْطَانٍ.

ثُمَّ السُّلْطَانُ يُؤَاخِذُ عَلَى مَا يَفْعَلُهُ مِنَ الْعُدْوَانِ وَيُفَرِّطُ فِيهِ مِنَ الْحُقُوقِ مَعَ التَّمَكُّنِ.

لَكِنْ أَقُولُ هُنَا: إِذَا كَانَ الْمُتَوَلَّى لِلْسُّلْطَانِ الْعَامِّ أَوْ بَعْضُ فُرُوعِهِ كَالْإِمَارَةِ وَالْوِلَايَةِ وَالْقَضَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ إِذَا كَانَ لَا يُمْكِنُهُ أَدَاءُ وَاجِبَاتِهِ وَتَرْكُ مُحَرَّمَاتِهِ وَلَكِنْ يَتَعَمَّدُ ذَلِكَ مَا لَا يَفْعَلُهُ غَيْرُهُ قَصْدًا وَقُدْرَةً: جَارَتْ لَهُ الْوِلَايَةُ وَرُبَّمَا وَجَبَتْ...».

إِلَى أَنْ قَالَ: «وَمِنْ هَذَا الْبَابِ تَوَلَّى يُوسُفَ الصَّدِّيقَ عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ لِمَلِكٍ مَضَرَّ بَلْ وَمَسْأَلَتُهُ أَنْ يَجْعَلَهُ عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ وَكَانَ

هُوَ وَقَوْمُهُ كُفَّارًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ ﴿الآيَةُ﴾، وَقَالَ تَعَالَى عَنْهُ: ﴿يَصْدَحِي السِّجْنَءُ أَزْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿٣٩﴾، ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ﴾ ﴿الآيَةُ﴾.

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ مَعَ كُفْرِهِمْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ عَادَةٌ وَسُنَّةٌ فِي قَبْضِ الْأَمْوَالِ وَصَرْفِهَا عَلَى حَاشِيَةِ الْمَلِكِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَجُنْدِهِ وَرَعِيَّتِهِ وَلَا تَكُونُ تِلْكَ جَارِيَةً عَلَى سُنَّةِ الْأَنْبِيَاءِ وَعَدْلِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ يُوسُفُ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَفْعَلَ كُلَّ مَا يُرِيدُ وَهُوَ مَا يَرَاهُ مِنْ دِينِ اللَّهِ، فَإِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ، لَكِنْ فَعَلَ الْمُمَكِّنَ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَنَالَ بِالْسُلْطَانِ مِنْ إِكْرَامِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُمَكِّنُ أَنْ يَنَالَهُ بِدُونِ ذَلِكَ وَهَذَا كُلُّهُ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَالْتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ﴿١٠٠﴾. اهـ.

● قلت: والاحتجاج بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٧٤﴾ [غافر: ٣٤] عَلَى أَنَّ الْمَلِكَ وَقَوْمَهُ كَانُوا كُفَّارًا فِيهِ نَظَرٌ مِنْ وَجْهِهِ:

● الأول: أَنَّ يُوسُفَ الْمَذْكُورَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُخْتَلَفٌ فِيهِ هَلْ هُوَ

ابن يعقوب أو ابن أفريثم أو ابن إبراهيم، أو رجل من الجن يقال له يوسف، وقيل غير ذلك كما هو مذكور في كتب التفسير. فبطل الاستدلال.

● ثانيًا: أنه على فرض أنه يوسف بن يعقوب عليه السلام، فالآية حجة على أن القوم كانوا مرتابين، وهذه حالة المنافق الذي لا يقوى على إظهار كفره، والمعنى أن الذي كان ظاهرًا هو دين الله تبارك وتعالى، وتلك هي البينات التي جاء بها يوسف عليه السلام إلى الملك وقومه، كما في قوله تعالى: ﴿يَصْحَبِي السَّجَنُ أَرْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَلِيُّ الْقَهَّارُ﴾ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠]، وهي التي كلم بها يوسف عليه السلام الملك؛ فقبلها منه وأسلم لله مع يوسف، وسَلَّمَ مقاليد الأمور ليوسف عليه السلام.

● ثالثًا: أن الخطاب دال على أن القوم تَرَقَّوْا من حال الشك إلى القطع بالكفر، وهذا دال على أنهم كانوا يعيشون حالة النفاق في زمان يوسف عليه السلام، وليس كلهم كان كذلك، كما هو واضح من استقامة الأمور ليوسف عليه السلام.

● رابعًا: أن السياق دال على أن الكفر لم يظهر منهم إلى بعد

موت يوسف عليه السلام، وهذا دال على أنهم كانوا يظهرون الإيمان ويكتمون الشك والريب، وعلى كل حال فكلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، وهذا هو المراد الأعظم.

• خامساً: أن هؤلاء الذين شكوا ثم أظهروا الكفر، لا يلزم أن يكونوا هم الملك وقومه، بل هناك احتمال قوي أشار إليه بعض أهل التفسير أن هذا كان في أبنائهم، فيوسف عليه السلام جاء آباءهم بالتوحيد؛ فقبلوه وأسلموا معه، ثم دب الريب والشك إلى الأبناء حتى أظهروا الكفر واستمروا عليه، حتى خرج فرعون موسى.

• سادساً: أن الآية كما ترى هي من المتشابه الذي يجب رده إلى المحكم فيزول الإشكال.

وأيًا ما كان فإن الأمر في هذه المسألة في غاية الوضوح، فيما يتعلق بالكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة في قرونها الثلاثة المفضلة، وهذا هو القدر المعبر في تحديد التصور الصحيح للمسائل والقضايا الشرعية.

وحتى لا تكبر علينا قضية المخالفة لهؤلاء الأئمة، لابد أن نتصور إمكانية خفاء بعض المسائل، والحقائق الشرعية على العالم، وخطئه فيها، وإن كان إمامًا، وبالرجوع إلى الكتاب والسنة على فهم وطريقة الصحابة الكرام والسلف الصالحين؛ يتبين الأمر وتتكشف

المسألة، ونعرف وجه الصواب فيها.

ونقول لمن انتحل منهج التقليد في هذه المسألة؛ لكونه غير قادر على أن يحقق في المسألة، وينظر فيها بتجرد؛ لإصابة الحق فيها، إن كنت ولا بد مُقلداً، فلأن تقلد السلف خير لك وأولى بك من أن تقلد بعض الخلف، بل هذا هو المتعين.

وعلينا جميعاً أن نغضب لحق الله تعالى أشد وأعظم من غضب المشركين لطاغوتهم أو طواغيتهم، فقد قص الله تعالى علينا عظيم ولاء ومولاة المشركين في شركهم، كما قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾ (٤) ﴿أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (٥) ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ إِلَهِتِهِمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ (٦) ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ﴾ (٧) [ص: ٤-٧].

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (٨) ﴿وَلَوْ أَنَّ عَلَىٰ أَذْبَرِهِمْ نُفُورًا﴾ (٩) [الإسراء: ٤٦].

وقوله: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (١٠) [غافر: ١٢]، وقوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١١) [الزمر: ٢٥].

فلنكن أشد حبا لله تعالى من المشركين لطاغوتهم وطواغيتهم،
كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ
كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ
الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وإذا كان الأصل في المنهيات أن تُجتنب وتترك وتناذر ويتعد عنها، كما في «الصحيحين» واللفظ لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»، فكيف إذا كان المنهي عنه هو الذنب الأعظم، والإثم الأكبر؟، ألا وهو الطاغوت؛ فإن ذلك من باب أولى وأجدر وأحرى، ولنعلم أن الطاغوت هو اسم لما ينتقض به دين الإسلام، فالشرك والكفر والنفاق والوثن والصنم وغير ذلك كله داخل في مسمى الطاغوت.

ولنتذكر أن الطاغوت يفرح بمداخلة الصالحين له، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ يُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) وَلَا تَطْعِ كُلَّ حُلَافٍ مِّمَّهِنَّ (١٠) هَمَزَ مَسْأَلٍ بَنِيمٍ (١١) مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالِ اسْطِطِرُّ الْآوَلِينَ (١٥)﴾ [القلم: ٨ - ١٥]، وقوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ

خَلِيلًا ﴿٧٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٣﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضَعْفَ الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْهَا نَصِيرًا ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥].

بل إن الطاغوت «الدستور الجاهلي» ليعمل على ترسيخ الديمقراطية، في عقل الناشئة منذ نعومة أظفارهم، ودونك المناهج التعليمية في المدارس في مراحل الأساس «وكمثال نذكر كتاب «الإنسان والكون»، للصف الرابع في السودان، كما في تعريف السلطة التشريعية، والمؤسسات الإدارية والاجتماعية؛ لترى ذلك واضحاً جلياً، كل ذلك لتهيئة المجتمع لتلقي الطاغوت، وقبوله والفرح به، والتصويت له، ومداخلته ومناصرته، والحرص عليه وعلى بقاءه، نعوذ بالله من الخذلان.



الانتخابات صورة صارخة من صور

التشريعات الجاهلية

ومصادمة صريحة

لعقيدة الولاء والبراء

إن الفتنة بالانتخابات قد أضحت اليوم هي فتنة العصر، وهي أحد أصرح الممارسات الجاهلية لشريعة الطاغوت، فيما يسمى بالديمقراطية.

وإن من البلايا الكبار والطوام العظام، ما يمارسه بعض الإسلاميين، من التلبيس والتضليل، فيما يتعلق بشأن هذه الانتخابات، من حيث شعروا أو لم يشعروا، فإنك ترى وبكل جلاء ووضوح، المحاولات الجادة الجاهدة من هؤلاء الإسلاميين؛ لتبرير طاغوت الانتخابات، بدعوى باطلة، مخالفة تمامًا لنصوص الكتاب والسنة، في أعظم القضايا على الإطلاق «الإيمان بالله والكفر بالطاغوت واجتنابه».

وترى ذرَّ الرَّماد على العيون، وبلا أدنى مُوَارَبَة، وذلك من خلال اختزال قضية الانتخابات في صناديق الاقتراع، وأنها لا تعدو أن

تكون وسيلة موصلة للشورى الإسلامية، فلها أحكام مثلها من الوسائل الغير تعبدية، التي لا حرج من أخذها من الغرب الكافر، كالسيارة والطائرة ونحو ذلك، مما يصح ويجوز تلقيه عن الحضارات الأخرى، ولو كانت كافرة؟!.

وإن من له أدنى اطلاع على حقيقة الانتخابات؛ يكتشف وبكل سهولة ويسر هذا الزيف الذي يحاول من يحاول إقناع الناس به.

فمن المقطوع به لدى الجميع أن كل حزب من الأحزاب التي تتقدم إلى الانتخابات، لها أجندتها ودستورها وأهدافها ووسائلها، التي حددها القائمون على هذه الأحزاب، كل بحسب فهمه وفكره وقناعاته التي اجتمع عليها أصحاب هذا الحزب أو ذاك، ومن أسس هذه الانتخابات الجاهلية، أنه يحق لجميع الأحزاب طرح ما تشاء من الأسس والدساتير، التي ستقود بها البلاد وتسوس من خلالها العباد.

وللجميع الحقوق المتساوية، التي يكفلها الدستور العلماني الجاهلي، الجاثم على أنفاس العباد والبلاد، حكما بشريعة الشيطان الرجيم. بل ويلتزم الدستور العلماني بتقديم كافة المساعدات المادية والمعنوية والعينية، وتوفير الفرص المواتية والمتكافئة لكل حزب؛ ليمارس حقه المشروع له «مِنْ قِبَلِ الطاغوت».

ولا يجوز لأحد أن يعترض على أجندة أي حزب من هذه

الأحزاب، فإن لها الحق التام المكفول من الدستور الطاغوتي، أن يقدم ما يشاء، ثم الاختيار للشعب!!.

• ولها الحماية والرعاية والصيانة التامة العامة من الطاغوت وزبانيته.

فيستوي الإسلامي مع الشيوعي مع البرالي مع العلماني مع النصراني مع اليهودي مع الشيطان الرجيم... إلخ.

وحتى هذا الإسلامي عليه أن يعلم أنه لا يحق له أن يتقدم بأجندة يطبق فيها الإسلام بحذافيره، بل لابد من استصحاب العهود والمواثيق الدولية، وحقوق الإنسان، وقرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن، و... إلخ.

فمن الممتنع، بل ومن الممنوع أصلاً عند سدنة الطاغوت أن يكون الحكم كله لله، وإلا اشمأزت نفوس الذين لا يؤمنون بالآخرة.

فليس هناك إيمان يُحقَّق، ولا كفر بالطاغوت يُطبَّق، إلا على سبيل اتخاذ القرآن عِصِينَ، بالإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه.

والأمر فيه أكثر من هذه الفضائح والتفاصيل لهذه الانتخابات المأفونة، التي يحاول البعض اختزالها في أنها مجرد صناديق الاقتراع،

ولكن فيما ذكرناه كفاية لمن عقل حقيقة ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وأنت كما ترى، وكما يعلمه كل متابع للانتخابات، أن المطروح هو عبارة عن جملة من الدساتير والقوانين والأجندات، التي منها الكفري ومنها النفاق المتسريل باسم الإسلام.

• الفرق بين الشورى والديمقراطية:

وأما الشورى في الإسلام فإنها تتمثل في اختيار العبد المؤمن، الذي توفرت فيه أسباب الولاية والخلافة، باختيار أهل الحل والعقد «العلماء أصالة»؛ ليحكم الناس بالكتاب والسنة على هدي وفهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

فالاختيار في الشورى، لا يقع أبداً على طبيعة ونوعية المحكوم به، بحيث تتم المقارنة بين جملة من الرجال المؤمنين -إذ ليس للكافر من أي ملة مكان هنا، وكذلك ليس للإناث حظ ولا نصيب هنا- من أصحاب الأهلية ليقع الاختيار على أحدهم ليحكم الناس بالإسلام الخالص (كتاب وسنة على سبيل المؤمنين) وإنما على الحاكم فقط، فإن المحكوم به على كل حال في الشورى هو الإسلام الذي بعث الله تعالى به النبي ﷺ، ولا يُسمح أبداً أن يُعرض على العباد حكم سوى حكم الله تبارك وتعالى.

فالاختيار في الشورى، لا يقع أبداً على طبيعة ونوعية المحكوم به، وإنما على الحاكم فقط، حيث تتم المقارنة بين جملة من الرجال المؤمنين - إذ ليس للكافر من أي ملة مكان هنا، وكذلك ليس للإناث حظ ولا نصيب هنا - من أصحاب الأهلية ليقع الاختيار على أحدهم ليحكم الناس بالإسلام الخالص «كتاب وسنة على سبيل المؤمنين»، فإن المحكوم به على كل حال في الشورى هو الإسلام الذي بعث الله تعالى به النبي ﷺ، ولا يُسمح أبداً أن يُعرض على العباد حكم سوى حكم الله تبارك وتعالى.

• فأبي علاقة إذن بين الانتخابات «الديمقراطية»، والشورى الإسلامية».

والله الذي لا إله غيره إنهما ضدان لا يجتمعان، وخصمان لا يصطلحان، إلا على طريقة المنافقين، الذين يتصورون اجتماع الطاغوت مع الإسلام.

فإن المطروح في الانتخابات الديمقراطية محكوم به لا مجرد حاكم، بل الحاكم فيها أصالة هو الدستور المطروح، ولا يعدو من يتم اختياره من البشر أن يكون مطبقاً ومنفذاً لهذا الدستور، فلو جاء أعبد وأعلم العباد اليوم لم يعد أن يكون محكوماً لا حاكماً، فالكل محكوم بهذا الدستور، وما هو إلا التطبيق والتنفيذ؛ ولهذا يؤدي القسم على

احترام الدستور، والإخلاص له، والعمل بمقتضاه، وإن خالف ما يعتقده ويدين به.

أما الشورى فليس لأحد أن يختار طبيعة ما يحكم به؛ لأنه لا خيار للعباد في ذلك، فإن الحكم كله لله أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ ٥٧﴾ [الأنعام: ٥٧].

وقوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَتِمُ وَلَكِن أَكْثَر النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ١٠٤﴾ [يوسف: ١٠٤].

وقوله: ﴿وَقَالَ يَبْنَىٰ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾ [يوسف: ٦٧].

فليس للمؤمنين خيار فيما يُحكمون به؛ إذ لا خيار لهم إن أرادوا البقاء على الإيمان إلا أن يرضوا بالله ورسوله حكمًا في القليل والكثير والدقيق والجليل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا

يَعْظُمُ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ نَنْزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولُ إِنْ كُنْتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى
الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ
أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ
أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
وَالِى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ
إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ
إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي
قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا
﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ
ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ
لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ
فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ
وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ
أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ
لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيهًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَأْتِنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا
﴿٦٧﴾ وَلَهْدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ
الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ

وَحَسَنَ أَوْلِيَّتِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ
عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء: ٥٨-٧٠].

واستفتاح هذه الآيات بأداء الأمانات وإقامة العدل، دال على أن أداء هذه الأمانة، يتمثل في إقامة حكم الله تعالى، ونُصِبَ العدل المقرر في الكتاب والسنة.

وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ [القصص: ٦٨]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ ﴿٣٦﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وأما الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر، والتشهيى واتباع الهوى، وحُصِرَ حكم الله تعالى في الأحوال الشخصية، وتنجيئه عن باقي مناجي الحياة، من اقتصاد وسياسة، وعلاقات الدول، ونمط اجتماعي، وحكم غير المسلمين في بلاد الإسلام، فهذا هو الكفر الصراح البواح، عياداً بالله من الخذلان.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فِرْقٌ مِّنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ

لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِقُوا مِنْهُمْ مَعْرُضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْمَقُودُ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ ﴿٤٩﴾ أِفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ أَوْ لَتِيكَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُفْسِمُوا طَاعَةُ مَعْرُوفُهُ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الدَّيْكَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [النور: ٤٦-٥٥].

فالإيمان بالله ورسوله لا يمكن أبداً أن يجتمع مع الانتخابات الديمقراطية، ومن توهم ذلك فعليه بمراجعة إيمانه، وعرضه على هذه النصوص المحكمة في الكتاب العزيز والسنة.

● تصورات فاسدة، وأسئلة مُحْرِجَة، لمُعَذِّرَة التشريعات الجاهلية:

كما أننا لا نتصور إسلام عبد، مع اتباعه لتعاليم الإنجيل

وأحكامه، سواء كان ذلك الإنجيل محرّفًا أو غير محرّف، فكيف تتصور إسلام عبد مع حكمه بالطاغوت الوضعي؟! وإذا كان الإسلام لا يفرق بين أنواع الطاغوت، إلا من جهة التفاوت في دركاته، مع القطع بأن الكل كفر وشرك أكبر، فكيف حكمنا على من اتبع التوراة والإنجيل بأنه كافر مشرك، الكفر والشرك الأكبر، ولا نحكم على متبع القوانين الوضعية التي هي من وضع البشر بذلك؟!!

وإذا كنا نقطع بأن متبع التوراة والإنجيل أنه كافر بالله تعالى، وإن لم يستحل ذلك؛ لأن مجرد هذا العمل كفر وشرك أكبر، فلماذا نشترط الاستحلال في كفر من اتبع القانون الوضعي؟!.

وكيف نَحْكُمُ على مَنْ نَزَلَ التعاليم النصرانية واليهودية - التي في كتبهم - على رقاب المسلمين بالكفر البواح، دون أن نشترط الاستحلال، ولا نحكم بكفر المشرع من دون الله تعالى بالقانون الوضعي بالكفر البواح إلا بشرط الاستحلال؟!.

هذا مع تذكّر واستصحاب أن التوراة والإنجيل فيهما بقايا من كتاب الله تعالى، فكيف بالقانون الوضعي، الذي هو نحاة أفكار وزبالة أذهان؟!.

وإذا كنا نعلم يقينًا أن آيات المائدة نزلت أصالة في أهل الكتاب الذين بدلوا شرع الله تبارك وتعالى، فصاروا كفارًا بذلك، الكفر

والشرك الأكبر، دون اشتراط الاستحلال أو الاعتقاد؛ فالصحابة مجمعون على أن أهل الكتاب قد أتوا كفرًا أكبر بمجرد فعلهم ذلك، فكيف نتصور أنه إذا أتى أحد أفراد هذه الأمة ما فعله أهل الكتاب هنا، أنه لا يكون بذلك كافرًا، الكفر والشرك الأكبر، أم أن الكفر والشرك يختلف في أصله باختلاف الأحوال والأشخاص والأمم؟!، كلا والله، فإن الكفر ملة واحدة، متى ما وجد كان كفرًا، ولتأمل في هذه الآية: ﴿أَكْفَرُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: ٤٣].

أم أننا نتصور أن يتحول الكفر والشرك الأكبر في أمة من الأمم إلى أصغر؟! قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] قال: «نِعَمَ الإِخْوَةَ لَكُمْ بنو إسرائيل إن كانت لكم كل حُلُوةٍ ولهم كل مُرَّةٍ!! وَلَتَسْلُكُنَّ طَرِيقَهُمْ قَدَى الشَّرَاكِ». اهـ.

وإذا كان الإجماع منعقدًا على أن من عمل بالشرائع المنسوخة - التي كانت في يوم من الأيام هي حكم الله تعالى ثم نسخها تبارك وتعالى - أنه كافر بالله تعالى الكفر والشرك الأكبر، فكيف لا يكفر الكفر والشرك الأكبر من يعمل بالقوانين الوضعية؟!.

وإذا كان ليس لأحد من المسلمين أن يحكم بين أهل الكتاب

إلا بشرع الله تعالى^(١)، وإلا كان مبتغياً حكم الجاهلية، منتفياً عنه

(١) جاء في «مصنف عبد الرزاق» بسند صحيح عن معمر عن الزهري: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، قال: مَضَتْ السُّنَّةُ أَنْ يُرَدُّوا فِي حَقِّهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ إِلَى أَهْلِ دِينِهِمْ، إِلَّا أَنْ يَأْتُوا رَاغِبِينَ فِي حَدِّ نَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فِيهِ؛ فَنَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بَكْتَابِ اللَّهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾.

وفيه أيضاً عن بن جريج قال: «على أهل العهد حدود إذا كانوا فينا فحدهم كحد المسلم».

عن إسماعيل بن محمد ويعقوب بن عتبة قال ابن جريج: وقال لي عطاء: «ونحن مخيرون إن شئنا حكمنا بين أهل الكتاب وإن شئنا أعرضنا فلم نحكم بينهم فإن حكمنا بينهم حكمنا بحكمنا بيننا أو تركناهم وحكمهم بينهم فذلك قوله: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾... اهـ..»

وفيه أيضاً قال: «أخبرنا الثوري عن مغيرة عن إبراهيم وعامر قالا في أهل الكتاب: «إذا رفعوا إلى قضاة المسلمين قالا إن شاء الوالي قضى بينهم وإن شاء أعرض عنهم فإن قضى بينهم قضى بما أنزل الله». اهـ.

وفيه أيضاً قال: «أخبرنا معمر عن عبد الكريم الجزري أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدي بن أرطاة: إذ جاءك أهل الكتاب فاحكم بينهم». اهـ.

وفيه أيضاً: عن ابن جريج قال: «قالوا: إن زنى رجل من أهل الكتاب بمسلمة أو سرق لمسلم شيئاً أقيم عليه الحد ولم يعرض الإمام عن ذلك يقول كل شيء بين المسلمين وأهل الكتاب لا يعرض عنه الإمام». اهـ.

قال الشافعي في «الأم» (١/٤٤): «وإن تداعوا إلى حكمانا فجاء المتنازعون معاً متراضين فالحاكم بالخيار إن شاء حكم وإن شاء لم يحكم وأحب إلينا

= ألا يحكم، فإن أراد الحكم بينهم قال لهم قبل أن ينظر فيه: إني إنما أحكم بينكم بحكمي بين المسلمين، ولا أجز بينكم إلا شهادة العدول المسلمين وأحرم بينكم ما يحرم في الاسلام. اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في «مجموع الفتاوى» (٣٥/٤٠٧-٤٠٨): «لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؛ لَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا الْكُفَّارِ وَلَا الْفُتَيَانِ وَلَا رُمَاةِ الْبُنْدُقِ وَلَا الْجَيْشِ وَلَا الْفُقَرَاءِ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ: إِلَّا بِحُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَمَنْ ابْتَغَى غَيْرَ ذَلِكَ تَنَاوَلَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُؤْفِكُونَ ﴿٥٠﴾»، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾، فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُحْكُمُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِي كُلِّ مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ وَمَنْ حَكَمَ بِحُكْمِ الْبُنْدُقِ وَسَرَعَ الْبُنْدُقِ أَوْ غَيْرِهِ مِمَّا يُخَالِفُ سَرَعَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَحُكْمَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ ذَلِكَ: فَهُوَ مِنْ جَنْسِ التَّارِ الَّذِينَ يُقَدِّمُونَ حُكْمَ «الْيَاسِقِ» عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. اهـ.

وقال ابن القيم في «أحكام أهل الذمة» (ص ١٣٧): «فصل: ما يصح من أنكحتهم وما لا يصح: إذا ارتفعوا إلى حاكم المسلمين في ابتداء العقد إذا ارتفعوا إلى الحاكم في ابتداء العقد لم نزوجهم إلا بشروط نكاح الإسلام، لقوله ﷺ: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ وقوله: ﴿وَأَنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾. اهـ.

وقال السعدي في «تفسيره» (ص ٢٣٤): ﴿وَأَنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ هذه الآية هي التي قيل: إنها ناسخة لقوله: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾. والصحيح: أنها ليست بناسخة، وأن تلك الآية تدل على أنه ﷺ مخير بين

اليقين، متولياً لليهود والنصارى، مرتدّاً عن دين الإسلام، فكيف يمكن حكم بين المسلمين بشريعة الطاغوت؟!.

ومن هنا تعلم يقيناً الخطأ الفادح الذي وقع فيه مَنْ قال بجواز أن نحكم بين أهل الكتاب بشريعتهم إن تَرَفَعُوا إلينا؟!.

وليت شعري كيف يَحِلُّ ذلك وهو الكفر الصراح، وهو التحاكم والحكم بالطاغوت الذي أمرنا باجتنابه والكفر به وعداوته وعداوة أهله؟! وعلى كل حال فالمرد إلى هدي النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم.

وتأمل في قول الزهري كما في الحاشية السابقة: «مَضَتِ السُّنَّةُ أَنْ يُرَدُّوا فِي حَقُوقِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ إِلَى أَهْلِ دِينِهِمْ، إِلَّا أَنْ يَأْتُوا رَاغِبِينَ فِي حَدِّ نَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيهِ؛ فَنَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بَكِتَابِ اللَّهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾». اهـ.

وإليك هذه العجيبة: وهي أننا نقطع بكفر اليهودي أو النصراني،

= الحكم بينهم وبين عدمه، وذلك لعدم قصدهم بالتحاكم للحق. وهذه الآية تدل على أنه إذا حكم فإنه يحكم بينهم بما أنزل الله من الكتاب والسنة، وهو القسط الذي تقدم أن الله قال: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ ودل هذا على بيان القسط، وأن مادته هو ما شرعه الله من الأحكام؛ فإنها المشتملة على غاية العدل والقسط، وما خالف ذلك فهو جور وظلم». اهـ.

الذي قال: سأوحد الله تعالى، وأعتقد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنا كافر بعقيدة اليهود في عزيز، والنصارى في عيسى، ولكني لن أتبع رسول الله، أو سأتبعه اتباعًا جزئيًا وأتم الباقي من غيره، أو سأعمل ببعض الشرائع اليهودية أو النصرانية، والباقي سأأخذه من القرآن والسنة. فكيف لا نقطع بكفر من قال إنه مؤمن بالله وحده، مع امتناعه عن اتباع شريعة الرسول ﷺ، أو يقول سأتبعه اتباعًا جزئيًا وأتم الباقي من غيره، أو سأعمل بالقوانين الوضعية، والباقي سأأخذه من القرآن والسنة!!؟.

فلتلق الله أيها المسلمون، ولتُنقِ أيها المؤمنون!! فكما أننا لا نتصور وجود مسلم نصراني، ولا مسلم يهودي، ولا مسلم علماني، ولا مسلم شيعي، فكيف نتصور وجود مسلم طاغوتي، أي: يريد أن يبقى في دائرة الإسلام، مع بقائه حاكمًا بالطاغوت، مشرعًا من دون الله تعالى، ممتنعًا عن اتباع الرسول ﷺ؟.

ولنحذر من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]، ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [المائدة: ٤١].

وعليه؛ فالحذر كل الحذر من اتباع الهوى فإنه يُضِلُّ عن الهدى، واحذر أصحاب مقولة: الديمقراطية كفر ولكن.

فالشيء إذا ثبت أنه كفر، فقد عَلِمَتْ من النصوص في الأدلة السابقة أنه يجب اجتنابه جملة وتفصيلاً؛ إذ لا خير فيه ألبتة، وإن زينه الشيطان لنا بزخرف القول هو وأتباعه ومن اغتر به.

● الخاتمة:

إِنَّ التَّحَرَّرَ مِنَ الدِّينِ، وَفَضَلَ الدِّينَ عَنِ الْحَيَاةِ وَمَنَاجِيهَا، وَمُحَاصَرَةَ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي دُورٍ مُّعَيَّنَةٍ وَمَوَاسِمٍ مُّوَقَّتَةٍ، وَتَخْوِيلُ الشُّعُوبِ حَقَّ التَّشْرِيعِ وَالْحُكْمِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، هَذِهِ الثَّلَاثُ مِنْ أَكْدٍ وَأَبْرَزِ الشُّعَارَاتِ الَّتِي تَرْفَعُهَا هَذِهِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ الْكَافِرَةُ الْمَافُونَةُ، وَإِنْ سَاسَتْهَا لَيْسَعُونَ خَبِيثًا فِي التَّرْوِيجِ لَهَا، وَالْوُقُوفِ بِالْمِرْصَادِ لِكُلِّ مَنْ يُخَالِفُهَا، وَتَرْمِيهِ بِالتَّخْلُفِ وَالرَّجْعِيَّةِ، وَالتَّشَدُّدِ وَالتَّطَرُّفِ وَالْإِرْهَابِ.

حَتَّى صَارَتْ الْفِتْنَةُ تُعَرِّضُ عَلَى الْمَلَأِ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ حَقٌّ لِمَنْ يَغْرِضُهَا، بِاسْمِ الْحَرِيَّةِ، بَلْ وَتُوفِّرُ لَهُ الْحِمَايَةَ، وَيُلْزِمُ الْآخَرُونَ بِاحْتِرَامِهَا.

وَمِنَ الرِّزَايَا الْعِظَامِ الَّتِي تَتَفَطَّرُ لَهَا الْأَكْبَادُ، سَرَيَانُ هَذَا الضَّلَالِ الْمُبِينِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِلَا نَكِيرٍ إِلَّا مِنْ أَقَلِّ الْقَلِيلِ.

مَعَ أَنَّ هَذِهِ الدَّعَوَاتُ هِيَ مِنَ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ الصَّرَاحِ، الَّذِي قُوبِلَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ مِنْ قَبْلِ مَنْ قَبْلَ أَقْوَامِهِمْ.

إِنَّهَا دَعْوَةٌ صَرِيحَةٌ لِّتَعَدُّ الْآلِهَةَ، وَالرَّفْضُ الصَّرِيحُ الْمُعْلَنُ لشرع الله تبارك وتعالى، وألا يكون التَّشْرِيعُ إِلَّا لِإِرَادَةِ الشَّعْبِ، لَا إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ!!، وَإِنَّمَا وَاللَّهِ كَمَا تَقْدُمُ صُورَةٌ مِنْ صُورِ الْإِشْرَاقِ الْأَوَّلِ، عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنَ الضَّلَالِ وَالْكَفْرِ وَالشِّرْكِ الْأَكْبَرِ.

• وَإِنَّ الرِّسَالَةَ الْوَاضِحَةَ الَّتِي يُرَادُ إِصْصَالُهَا لِلْأَفْرَادِ وَالْمَجْتَمَعَاتِ:

أَنَّهُ لَا مُقَدَّسَاتٍ يُلْزَمُ الْمَجْتَمَعُ احْتِرَامَهَا، بَلِ الْمُحْتَرَمُ عَلَى كُلِّ حَالٍ هُوَ إِرَادَةُ الشَّعْبِ، وَحَقُوقُ الْإِنْسَانِ، وَكِفَالَةُ الْحُرِّيَّاتِ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَإِنْ قَالَ مَا قَالَ، وَإِنْ فَعَلَ مَا فَعَلَ!!.

فِيهَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ إِنَّمَا دَاهِيَةٌ دَهِيَاءُ نَزَلَتْ بِسَاحَتِكُمْ، فَلَا تَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، فَإِنْ كُنْتُمْ جَاهِلِينَ فَتَعَلَّمُوا، وَإِنْ كُنْتُمْ مُتَأَوِّلِينَ فِيهَا قَدْ عَلِمْتُمْ بِمَا فِي الْأَمْرِ مِنْ ضَلَالٍ وَزَنْدَقَةٍ وَكُفْرٍ وَإِلْحَادٍ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَرَاجِعُوا أَمْرَ رَبِّكُمْ وَاحْفَظُوا وَحَافِظُوا عَلَى إِسْلَامِكُمْ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ جَهْلٍ مُعْتَبَرٍ، وَلَيْسَ كُلُّ تَأْوِيلٍ مُقْبُولًا، وَاحْذَرُوا، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (٤٧) ﴿[الزمر: ٤٧].

قَالَهَا فِي أَقْوَامٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَإِلَيْكُمْ تَمَامُ سِيَاقِهَا: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ

دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَأَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْسَبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴿الزمر: ٤٥ - ٤٧﴾.

• ولنحذر من أن نكون ممن إذا ذكر الله وحده، وأمر بإفراده تعالى بحقه كله، أشمأزت النفوس، وإذا ذكرت الديمقراطية والحريات استبشرت النفوس، فهذه حالة رديئة جاهلية، عياداً بالله من الكفر والزندقة والضلال.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنِي وَأَحْيَيْتَنَا أَتَلْتَنِي فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: ١٠ - ١٢].

• وأخيراً:

علينا جميعاً أن نتذكر أن الله تعالى بنا راحم، وأنه علينا قادر، وأننا لن نضر الله شيئاً، ولن نفعزه هرباً، ولن نفعه بشيء، وإنما ننجي أنفسنا أو نوبقها ونهلكها، نسأل الله تعالى العفو والعافية والنجاة.

• ولتذكر هذا الحديث العظيم الذي رواه مسلم في «صحيحه»
 عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: (يَا
 عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا
 تَظَالَمُوا! يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ! يَا
 عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعَمَكُمْ! يَا عِبَادِي،
 كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسَكُمْ! يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ
 تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ
 لَكُمْ! يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي
 فَتَنْفَعُونِي! يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى
 أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا! يَا عِبَادِي، لَوْ
 أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ
 مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا! يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ
 وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ
 مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ
 الْبَحْرَ! يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ
 وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ!)).

ولقد كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْحَوَّلَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ
 جَثًّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ. كما في «صحيح مسلم».

وفي «صحيح مسلم» عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَشُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُبَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا».

• ولنتذكر أَنَّ الدنيا فانية وَأَنَّ الآخرة هي الباقية، وأنها هي دار القرار، وَأَنَّ علينا أَنْ نأتي الله تعالى مسلمين، كما قال تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

• وأختم بذكر وصايا ومواعظ مؤمن فرعون لقومه، وهو يدعوهم إلى سبيل النجاة، ولو أطاعوه لكان خيراً لهم، ولكنهم أبوا فهلكوا: قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (٣٨) يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتْعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَثْنَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤١﴾ وَيَقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّوْحَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤٢﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ. مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٣﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي

الْذُنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَّهْهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ بِإِثَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ [غافر: ٣٨ - ٤٥]

• فعلينا جميعاً أن نَعْلَمَ أَنَّ ضِيقَ الدُّنْيَا يُمَكِّنُ اخْتِمَالَهُ، وَلَكِنَّا لَا قَبْلَ لَنَا بِعَذَابِ الْآخِرَةِ، فَلْنَشْتَرِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ الْفَوْزُ الْمُبِينُ الْكَبِيرُ.

• ما ليوسف ﷺ وللطواغيت وحكم الجاهلية؟!

وأما الاحتجاج بقول الله تبارك وتعالى:

(كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) [سورة يوسف ٧٦]. على أن دين الملك كان دين الكفر والشرك والطاغوت فهذا احتجاج ساقط باطل ولوازمه الفاسدة تدل على بطلانه وفساده.

ولكن قبل بيان هذه اللوازم الفاسدة لابد أن نثبت على أمر مهم للغاية ، ألا وهو أن مجرد النسبة إلى دين ما سواء إلى ملك أو حاكم أو قوم لا يعني بالضرورة أن هذا الدين هو الذي اختلقه أو هو الذي وضعه ، وإنما هي مجرد نسبة ثم بعد ذلك يُنظر إلى هذا الدين الذي نُسب إليه ما هو.

وشواهد ذلك كثيرة في كتاب الله تبارك وتعالى ، فمن ذلك قول الله تبارك وتعالى:

(لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) [سورة الكافرون ٦].

فنسب دينا إليه ونسب دينا إليهم ، فهنا نسبتان ، وإنما تبين الدين الفاسد من الدين الحق بالنظر إلى الدين الذي نسب إليه العبد.

فان كان هو دين الله عز وجل فهذا دين الحق المبارك وإلا كان الدين الباطل الفاجر الكافر نسأل الله العافية والسلامة.

وقد تقدم معنا أن الملك قدم أسلم وسلم مقاليد الأمور لـيوسف ﷺ ؛ وعليه فدين الملك هو الإسلام الذي اتبع فيه يوسف عليه الصلاة والسلام.

كما قررنا من قبل أن الملك قد دخل في الإسلام ، وهذه عقيدة السلف رحمهم الله تعالى ، كما ذكر ذلك مجاهد بن جبر رحمه الله تعالى ، ولا يعرف عن السلف قول مخالف لقول مجاهد رحمه الله تعالى ، ومجاهد قد أخذ التفسير آية آية من الخبر البحر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وقد قرر أن الملك قد أسلم مع يوسف لله رب العالمين ، ثم ولاه مقاليد الحكم كما ذكر أهل التفسير ؛ فحكم بشرع الله تبارك وتعالى الذي أوحى إليه به ، وهذا هو الموافق تماما لما عليه جميع الأنبياء والمرسلين وهو ما صرح به يوسف ﷺ من أنه متبع في ذلك تماما ملة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، ليس فيه شرك بالله عز وجل ، وليس فيه حكم بالطاغوت أبدا بل هو الكفر العام التام بجميع أنواع الكفر كلها بمختلف مسمياتها علمانية كانت أو ديمقراطية كما تسمى اليوم ، فعقيدة الرسل جميعا بما فيهم يوسف ﷺ الكفر بالطاغوت كله بجميع مسمياته التي يسميها الناس من عند انفسهم ليتحاكموا إليها ويصدروا عنها ، ويجمع ذلك قوله تبارك وتعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام وهو يخاطب صاحبيه في السجن: (يُصَلِّحْنِي آلِيسْحَنَ ءَأَرْبَابٌ مُتَتَّقُونَ

خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ أَحْكَمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. [سورة يوسف ٣٩ - ٤٠].

نعود لنذكر آيات تبين مسألة الدين والانتساب إليه، فأقول: وكذلك في قول الله تبارك وتعالى: (وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَزِيدُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [سورة البقرة ٢١٧].

ومنه قوله تبارك وتعالى (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) [سورة النساء ١٢٥].

وقوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [سورة المائدة ٣].

وقوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفُهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ قَامُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) [سورة النساء ١٧١].

وغير ذلك كثير في كتاب الله جل وعلا وله شواهد من سنة النبي عليه الصلاة والسلام.

وهكذا نسب الفقيه العالم أبو مجلز الدين إلى بني أمية في معرض مناظرته للخوارج ، وحتى الخوارج لم يعترضوا على هذه النسبة ؛ لأن المتقرر أن الدين ينسب للقائم به ملكًا كان أو غيره ، ومعلوم أن الحكم بعد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم صار ملكا.

وإليك النقل المحكم عن هذا العلم من أعلام السلف الصالحين: قال أبو مجلز : [[هو دينهم الذي يدينون به، وبه يقولون، وإليه يدعون]].

إذا مجرد النسبة لا تدل على أن المنتسب إلى الدين أنه هو الذي وضعه ، أو أن هذا الدين هو دين محرف أو حق ، حتى يُنظر في ذات ذلك الدين ، كما تقدم فإن كان حقا فهو الهدى والصراط المستقيم ، وإن كان باطلا فهو الكفر والسبيل إلى نار الجحيم نسأل الله العافية والسلامة.

هذه مسألة ، أما المسألة الأخرى وهي التي تدل على فساد الاحتجاج بآية سورة يوسف على موضع النزاع ، أننا نسأل المنازع هذا السؤال ، ولكن ينبغي أن ننبه أن المنازع لا يقول بإسلام الملك -مع أنه قول فاسد باطل كما تقدم ولكن على التنزل معه فقط-، وفي نفس الوقت فإن المنازع يقرر بأن التشريع الطاغوتي والحكم به كفر أكبر:

فنقول له:

عندما أخذ يوسف عليه الصلاة والسلام أخاه في دين يعقوب عليه الصلاة والسلام ، فبماذا إذا كان يحكم وبماذا كان يأخذ من قبل؟

أفتقول بأن يوسف عليه الصلاة والسلام كان يأخذ بدين الملك الذي كان يحكم بالطاغوت؟! فيكون يوسف حاكما بالطاغوت!! معاذ الله ، معاذ الله ، كيف وقد تقدم أنه قرر أنه ترك ملة قوم لا يؤمنوا بالله وهم بالآخرة هم كافرون ، وأنه اتبع ملة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، ثم بين مسألة الحاكمية وأن صرف الحكم لله وحده عبادة وبين أن أكثر الناس لا يعلمون ذلك ولا يقومون به لله وحده لا شريك له كما قال النبي ﷺ فيما رواه أبو داود وغيره بسند صحيح من طريق : يزيد بن المِقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ - عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ شُرَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ هَانِئٍ أَنَّهُ لَمَّا وَقَدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ قَوْمِهِ سَمِعَهُمْ يَكُونُونَ بِأَبِي الْحَكَمِ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : ((إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ)).

أفيعود يوسف ﷺ إلى ذلك ؛ فيكون من الذين لا يعلمون!! معاذ الله ، معاذ الله ، معاذ الله .

إن هذه اللوازم الباطلة إنما تدل على فساد هذا القول ونكارتة نسأل الله العافية والسلامة ، بل حقيقة هذا القول شهادة على نبي من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم على أنه كان يحكم بالطاغوت نسأل الله العافية والسلامة .

وأما المسألة الثالثة فهي أن نقول:

هذا الاحتجاج بهذه الآية ما المراد به ومنه؟

فإن كان المراد منه أن يقرروا أن يوسف عليه السلام كان يحكم بالطاغوت ، ولهذا هم يريدون إجازة ذلك ليسوغوا لطواغيثهم أن يحكموا بالطاغوت كذلك ، وأنه يمكن أن يكون هناك وزراء وأمراء تحت حاكم طاغوتي أو ملك فرعوي فهم يحكمون بحكم الملك الطاغوت الفرعوي ويطبقون أجندته ودستوره وقانونه الكفري الشرقي.

فليصرحوا بهذه الزندقة ليفتضح حالهم ، وينكشف أمرهم ، ويظهر حكمهم.

وأما إن قالوا : لا ، فإن الحكم بالطاغوت والتحاكم إلى الطاغوت كفر أكبر ، وكذلك الأخذ بتشريعات الجاهلية وتقريرها وفض النزاعات بها كفر أكبر كما قال الله جل وعلا : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [سورة النساء ٦٥].

وقوله تعالى :

(وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٠٧﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَبَىٰ قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمْ آذُنَاوْا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ

وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَشْتُلُوا سَمْعَنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [سورة النور ٤٧ - ٥١].

وقوله تعالى: (وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ) [سورة المائدة ٤٣].

شهادات من الله تعالى متوالية على نفي الإيمان عن هؤلاء.

فنقول : أما وإنكم قررتم أنه ما كان يوسف حاكما بالطاغوت أبدا ولا منزلا له ولا حاميا له ، وأنه ما كان لنبي أصلا أن يكون كذلك.

فنقول لكم ، فما وجه المشابهة والقياس هنا إذا!!

فإن الكلام معكم عن حاكم طاغوتي يحكم بالعلمانية ، ويدافع عنها ، ويبررها ويروج لها ، وينصح بها ، ويقدمها نموذجا يُتَحَذَى ويُتَقْتَدَى به ، ويجعلها ملجأ لفض النزاعات والتخلص من الورطات الدولية والمحلية.

هذا حال الحكام اليوم ، وأنتم تريدون أن تبرروا هؤلاء الطواغيت تعاطيهم الكفر والشرك الأكبر بفعل يوسف عليه السلام ، الذي تشهدون بأنه ﷺ لم يحكم بالطاغوت وما كان ولم يكن من المشركين.

فأين وجه القياس؟! وأين وجه الشبهه؟!

كلا والله بل إنما هو الإفلاس واتباع الهوى المخزي المعمي المضل المصم.

وإلا فلا حجة لكم في هذه الآية أصلا ، ولا متعلق لها بموضع النزاع لا جملة ولا تفصيلا.

فبالله عليكم أي عمى وعته وإظلام بصيرة تلك التي جعلتكم تعرضون بهذا النبي الكريم لتمرروا هذا القول الخبيث ، الذي لو تأملتموه لوجدتموه كفرا وزندقة والعياذ بالله.

وإلا فما علاقة حال يوسف النبي الكريم ﷺ بحال هؤلاء الطواغيت وكفرهم وزندقتهم ؟!

وثالثة الأثافي أن يكون من استدلالكم بهذا الباطل على أن تسوغوا للحكام ركوب الكفر والشرك ريشما يتمكن الطاغوت من الإتيان بالإسلام الحق!! ، فإن كان كذلك فقد بينا الرد على هذا الدجل والخبيث والكفر والعبث في موضعه من الكتاب ، ونكتفي هنا بالتذكير بهذه الآيات:

قال الله تعالى:

(وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوْحِيََّا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرُْم
وَإِذَا لَتَأْخُذُوكَ خُلَيْلًا ۖ وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئِنَّا لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا
قَلِيلًا ۖ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ
عَلَيْنَا نَصِيرًا) [سورة الإسراء ٧٣ - ٧٥].

وقال تعالى:

(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ ۚ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ) [سورة النحل ٣٦].

وقال تعالى:

(۞ وَأَنْزَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ يَقُومِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيَّاتٍ اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ) [سورة يونس ٧١].

وقال تعالى:

(وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ ۚ إِن أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۝ يَقُومِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ وَيَقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ۝ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝ إِن نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوِّ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ ۝ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِن رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِن رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ) [سورة هود ٥٠ - ٥٧].

وقال تعالى:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عِبُدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عِبُدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) [سورة الكافرون ١ - ٦].

وقال تعالى:

(قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَانِي مِّنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿١﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنْ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٢﴾ قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّآ لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ) [سورة هود ٦٣ - ٦٢].

وقال تعالى:

(﴿١﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٢﴾ وَيَقَوْمِ أَوفُوا بِالْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣﴾ بَقِيتُ لِلَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٤﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلَوْنَا نَكُنْ مَّعَكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٥﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ

بَيْنَهُ مِنْ رَبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) [سورة هود ٨٤ - ٨٨] ، إلى قوله تعالى :
(وَيَقَوْمَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿١٠٦﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿١٠٧﴾ قَالُوا يُشْعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا إِنَّمَا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ ﴿١٠٨﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَّ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٠٩﴾ وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ) [سورة هود ٨٩ - ٩٣].

وقال تعالى عن صالح ﷺ وقومه:

(فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ) [سورة الأعراف ٧٩].

وقال تعالى عن شعيب ﷺ وقومه:

(فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ) [سورة الأعراف ٩٣].

وقال تعالى عن سليمان ﷺ وهديـة بلقيس:

(فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أُمِّدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرَ مِمَّا آتَيْنَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِحَدِيثِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) [سورة النمل ٣٦ - ٣٧].

وقال النبي ﷺ في صلح الحديبية كما في صحيح البخاري من حديث المسور ومروان:

(والذي نفسي بيده ، لا يسألوني اليوم حُطَّةً يُعْظَمُونَ بِهَا حَرَمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ إِيَّاهَا). وقال: (أَمَّا الإسلامُ فَأَقْبَلُ ، وَأَمَّا المَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ).

ولنتذكر قصة هرقل عندما عرف الهدى ، ولكنه لما أبى عليه قومه العمل بالإسلام الحق ؛ مضى قُدُماً يحكم بالطاغوت ؛ فأيس من الإيمان. والله المستعان.

فليس في الإسلام في تنزيل التوحيد الخالص لله وحده لا شريك له أنصاف حلول ، ولا مساحة للجاهلية في الإسلام ، ولا محل للطاغوت مع الإيمان.

فإما التوحيد أو الشرك والكفر.

وإما الكفر بالطاغوت وإما فلا إيمان أصلاً.

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٠﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٥٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [سورة البقرة ٢٥٦ - ٢٥٨].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



تم الفراغ منه في منتصف شهر ربيع الأول لعام (١٤٣٨) للهجرة النبوية المباركة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم ﷺ.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه وإحسانه

أبو عبد الله الصادق بن عبد الله الهاشمي



﴿ فهرس الموضوعات ﴾

مدخل الكتاب	٣
الرَّحْمَةُ الْمُهْدَاة:	١٥
وَعْدٌ ووَعِيد وترغيب وتهديد:	١٧
فالحذر الحذر من التلاعب بحق الله تعالى، فإن أخذه أليم شديد.	٢٤
والحذر الحذر من التسويف، وأماني إبليس، فإن سنة الله تعالى لا	
تحابي أحداً.	٢٤
الله الغني والعباد الفقراء:	٢٤
ولنتفكر في هذه الآيات:	٢٥
الديمقراطية ورطة العالم اليوم «الثورات الشعبية»:	٢٦
الظلم الذي سيملا الأرض:	٢٨
لا خيار، فإما الكفر أو الإسلام:	٣٠
رُبُوبِيَّةُ الشَّعْب:	٣١
وَتَكَلَّمَ هَذِهِ الْمَعَانِي فِي هَذِهِ الْآيَات:	٣٢
نداء إلى علماء المسلمين الصادقين الربانيين:	٣٣
الجامعات والتشريعات الجاهلية:	٣٤
مثال صارخ:	٣٧

٣٨		إنها يحق جامعات الشر، لقد جمعت الشر من أطرافه.
٣٨		خلل في التصور وقصور في الفتوى:
٣٩		سؤال مُهمٌ ومُلِحٌ:
٤٢		وللمدارس حظ عظيم من التهيئة لهذا الخبث:
		المرجئة والمفتونون والمُعَرَّر بهم يتهمون ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ زوراً
٤٣		وبهتاناً:
٤٥		معنى الإقرار في سياقات التشريع والعهد:
٤٦		ويل للمرجئة:
٤٦		معنى الإقرار في السياق القرآني:
٤٩		عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ سيهدم الديمقراطية ويكسر الصليب:
٥١		المصالح والمفاسد والدين الجديد:
٥٢		ولهذه الأسباب قال بعض المحققين:
٥٤		التوحيد أعظم المصالح والشرك أعظم المفاسد:
٥٤		مثال نبوي عظيم دال على أن درء مفسدة الشرك لا تعدلها مصلحة:
٥٧		اجتناب الطاغوت فريضة لازمة في الإيمان:
٦٤		لا يجوز عرض الكفر على الأمة تحت أي دعوى أو شعار:
٦٧		سراب الشبهات:
٦٧		الرد على شبهة قصة قتل كعب بن الأشرف:
٦٩		هذا الحديث لا يسعفهم أبداً، وإليك بيان ذلك من وجوه:
٧١		الرد على شبهة الاحتجاج بحلف الفضول:

- الرد على من شبه ذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أماكن الخبث: ٧٣
- الرد على شبهة من قال: ندخل ولا نستجيب لهم ولا نُقرُّهم: ٧٦
- والعجائب لا تكاد تنقضي: ١٢٢
- فائدة نفيسة عزيزة: ١٢٦
- شبهة: الاحتجاج بالتجربة الناجحة: ١٢٧
- شبهة ما جاء في «الصحيحين» من قول أسماء بنت عميس: «وَكُنَّا فِي دَارٍ أَوْ فِي أَرْضٍ الْبُعْدَاءِ الْبُعْضَاءِ فِي الْحَبَشَةِ»: ١٢٨
- شبهة الاحتجاج بالأثار الحسنة والمنافع التي وقعت وتقع، وأن هذا من فقه السياسة والأصول التي لا يحسنها كل أحد، والاحتجاج بـ«صلاح الدين» و«حاكم علماني» تركيا مثلاً: ١٣٩
- البيئة العلمية وتأثيرها على التصور والفتوى: ١٤٣
- بين المجاهد صلاح الدين، ومن ضربوه مثلاً وهو «الحاكم العلماني» في تركيا: ١٤٦
- هذه القول بهدي الأنبياء والمرسلين وعلى رأسهم نبينا الكريم ﷺ، ثم بعمل الصحابة رضي الله عنهم: ١٤٧
- شبهة الإكراه والتقية عند الاستضعاف ومسألة حُسن المقصد: ١٥٢
- وإليك هذا النقل من كتابي «فتنة العصر التشريع»: ١٥٣
- حسن المقصد لا محل له في هذه المقامات العلوية: ١٦٩
- شبهة إن ناقل الكفر ليس بكافر: ١٧٣
- الفرق بين علمانية أتاتورك و«علمانية الحاكم العلماني اليوم»: ١٧٦

- أيهما أخبث وأخطر: العلمانية المعتدلة، أم المتشددة: ١٧٨
- فتح تركيا «القسطنطينية - إسطنبول»: ١٨٥
- البرلمانات إرصادًا لمن حارب الله ورسوله: ١٨٦
- ولإزالة هذه الطواغيت الغربية: ١٩٣
- الداهية الدهياء: ١٩٥
- هدم عقيدة الولاء والبراء: ١٩٧
- ولا يفوتني أن أذكر بأولئك النفر من دعاة الوسطية، الذين صاروا من حيث شعروا أو لم يشعروا فتيلًا لإسعار جذوة هذه الفتنة والترويج لها، عياذا بالله من الخذلان..... ١٩٨
- فضح الديمقراطية وتعريتها: «الديمقراطية في عيون أصحابها»: ٢٠٢
- الديمقراطية فشلت وحُقَّ لها أن تفشل: ٢١٢
- أوباما والفوز الصعب: ٢٢٩
- شيء من تفاصيل الانتخابات: ٢٣٣
- أقول حقًا: ٢٣٤
- بين النظرية والتطبيق: ٢٣٧
- ويمكن تلخيص أبرز محاور هذا التباين في النقاط التالية: ٢٣٨
- أولاً: الوصاية على الشعب: ٢٣٨
- ثانيًا: التمثيل: ٢٣٩
- معنى اجتناب الطاغوت والكفر به «الديمقراطية مثلاً»: ٢٤٣
- معنى الاجتناب في أي الذكر الحكيم: ٢٥٨
- كَيْفِيَّةُ تحقيق الكفر بالطاغوت «مثاله الديمقراطية»: ٢٦٥

وإليك جملةً من الأخبار الدالة على هذه المعاني والمقامات الكبار:.....٢٨٢	
مقتطفات من بحث مفيد منقول عن شبكة: أنا المسلم للحوار	
الإسلامي - القسم العام - المنتدى العام- بعنوان «اعبدوا الله	
واجتنبوا الطاغوت - الاجتناب -»:.....٢٨٩	
«مصطلح الاجتناب في اللغة:.....٢٨٩	
معنى الاجتناب عند علماء الحديث:.....٢٩٠	
مصطلح التَّرك:.....٢٩٠	
مصطلح نَذَر في اللغة:.....٢٩١	
مصطلح نذر عند علماء التفسير:.....٢٩١	
مصطلح نذر في السنة:.....٢٩١	
مصطلح الاعتزال في اللغة:.....٢٩٢	
مصطلح الاعتزال في السنة وعند علماء الحديث:.....٢٩٣	
مصطلح البراءة فيما يتعلق بأصل التوحيد ورد في تسع آيات مرادفة	
لمعنى الاعتزال وهي قوله تعالى:.....٢٩٥	
مصطلح البراءة في اللغة:.....٢٩٦	
مصطلح البراءة عند علماء التفسير:.....٢٩٦	
مصطلح البراءة في السنة وعند علماء الحديث:.....٢٩٧	
الخلاصة:.....٢٩٧	
كلام خطير ومُخيفٌ وَنَفِيسٌ:.....٣٠٢	

تحرير القول في كلام القرطبي وابن تيمية رحمهما الله في أن يوسف	
عليه السلام تولى خزائن الأرض للملك مع بقاء الملك على كفره وحكمه	
بالطاغوت	٣٠٥
كيف وبم يُعرف خطأ العالم؟	٣٠٦
الانتخابات صورة صارخة من صور التشريعات الجاهلية ومصادمة	
صريحة لعقيدة الولاء والبراء	٣٢٣
الفرق بين الشورى والديمقراطية:	٣٢٦
تصورات فاسدة، وأسئلة مُحرجة، لمُعَدِّرة التشريعات الجاهلية:	٣٣١
الخاتمة:	٣٣٨
وأخيرًا:	٣٤٠
ما ليوسف عليه السلام وللطواغيت وحكم الجاهلية؟!	٣٤٤



**** قائمة كتب المؤلف ****

• صدر للمؤلف:

- ١- التوسل المشروع وما يضاده.
- ٢- الاستنباطات البهية من الأدلة الشرعية.
- ٣- الدُرُرُ والزُّهُور من حديث جبريل المشهور (أكثر من ٤٠٠ فائدة).
- ٤- المحبة الحقيقية للأزواج والذرية.
- ٥- الداء العضال.
- ٦- القول المبين في أخطاء بعض الحجاج والمعتزمين.
- ٧- يا أمة الإسلام الاستعلاء بالإيمان.
- ٨- رسائل رمضان إلى أمة القرآن.
- ٩- الإنسان والأمانة الكبرى.
- ١٠- المفاهيم والحقائق الغائبة.
- ١١- فتنة العصر (التشريع).

١٢- أجهزة الدمار الشامل.

١٣- الموسوعة الكبرى (الجامع الثمين لأخطاء بعض المصلين والأئمة والمؤذنين والمساجد والمتهجدين).

١٤- إسعاف السُّؤُول بشرح ثلاثة الأصول.

١٥- الديمقراطية والإسلام ضدَّان لا يجتمعان.

• كتب ستصدر قريبًا إن شاء الله تعالى:

١- الحقوق العَلِيَّة لخير البرية ﷺ.

٢- الإجماعات السنية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٣- الطائفة البرهانية في ميزان الإسلام.

٤- الأمراض الشائعة.

٥- الكيفيات المتعددة لصفات الوضوء والتيمم وغسل الجنابة والصلاة.

٦- الهوى سر الهوان.

٧- فساد التَّصَوُّر.

٨- المخرج من الفتن.

• كتب تحت الإعداد:

- ١- تفسير جزأي عَمَّ وتبارك.
- ٢- شرح العقيدة الواسطية.
- ٣- شرح علل النسائي.
- ٤- ما ضَعَفَ من الأحاديث والآثار في سيرة النبي المختار ﷺ.
- ٥- الكلمات الرَضِيَّة في الخطب المِنبرِيَّة.
- ٦- ما خالف الدليل من أخبار بني إسرائيل.
- ٧- الصراط المستقيم.
- ٨- الطريق إلى السعادة.
- ٩- إنهم فتية آمنوا بربهم.
- ١٠- موزع الحسنات.

